

المنهج القويم
في الدين والعقيدة والدعوة والفقه
محمد العزام

المنهج القويم

في الدين والعقيدة والدعوة والفقه

تأليف

محمد احمد مزعل العزام

الطبعة الأولى

كانون ثاني 2024

عمان - الأردن

الرقم المعياري الدولي: (ردمك) ISBN 978-9923-0-0968-0
البريد الإلكتروني: mamkalazzam@yahoo.com

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2024/1/621)

بيانات الفهرسة الأولية للكتاب:

عنوان الكتاب المنهج القويم في الدين والعقيدة والدعوة والفقه

تأليف العزام، محمد احمد مزعل

بيانات النشر عمان: محمد احمد مزعل العزام، 2024

الوصف المادي 420 صفحة

رقم التصنيف 210

الواصفات /الإسلام//الإيمان بالله//العقيدة الدينية//الفقه الإسلامي//الدين المقارن//الدعوة الإسلامية/

الطبعة الطبعة الأولى

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

الفهرس

المقدمة

الحمد لله رب العالمين المتفرد في ألوهيته الأحد الصمد المستحق للعبادة وحده، والصلاة والسلام على رسوله الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين وسيد الثقلين محمد بن عبد الله وعلى آله المطهرين وصحبه الأخيار الغر المحجلين والسلام على أئمة المسلمين المتبوعين المعتبرين وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اما بعد، فإني اقدم هذا الكتاب إلى كل باحث عن الحقيقة يبتغي الوصول إلى المنهج القويم في ضوء معمعة عالم اليوم المليئ بالفتن والملهيات والدعوات الهدامة، ولذلك سميته بهذا الإسم ولا ادعي بأن كل ما في هذا الكتاب هو الحق المبين ولا العصمه عن السهو والخطأ في الاجتهاد وكل بني ادم خطاء والكمال لله وحده ولا ينبغي لأحد غيره، ولكن هو اجتهاد حرصت على تطبيق الموضوعية فيه و تجنب الهوى والميول العاطفية ما امكن، علما بأنني لست ممن حباهم الله بالملكة الأدبية وقوة العبارة وكما أن جميع خبراتي تتعلق بتخصصي الأكاديمي الهندسي وتفرعاته من تصميم مشاريع الطاقة والكهرباء والبنية التحتية والرسومات الهندسية والدراسات الفنية والمالية والتي معظمها ليست حتى باللغة العربية، واما دوافعي واهدافي في كتابة هذا الكتاب فهي ناتجة من اسباب شخصية تتمثل في قدوم بكري من الذكور ابني الحسن وأردت بهذا الكتاب بأن اضمن نقل المعرفة التي اكتسبتها خلال هذه السنين والقناعات التي توصلت اليها إلى الحسن وأقرانه من أبناء الإخوة والأخوات وأبناء العمومة وغيرهم من أبناء المسلمين ومنطلقا من حقيقة أن الأعمار بيد الله، يقول جل وعلا (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ

عَلِيمٌ خَبِيرٌ)(لقمان: 34)، فلا أعلم إن كان الله سيكتب لي العمر الكافي لكي اربيه واضبط افكاره ومعتقداته وأبين له فساد الدعوات الهدامة والأفكار الضالة التي تزداد نشوبا في جسم المجتمع الإسلامي يوما بعد يوم، ولسان حالي في ذلك، وما يسعدني يا بني لو انك حصلت كل الشهادات العلمية أو نجحت في امتلاك جميع الثروات المادية وبنيت القصور المشيدة وانت ضال على غير هدى الله، وأكون أكثر الناس فخرا لو علمت بأنك افضل مني عند الله ولو لم تمتلك يوما الا قوت يومك، يقول الله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ)(آل عمران: 10)، وبقي ان أنوه ايضا إلى أن دراستي والافكار التي توصلت اليها بالأصل منطلقة من تجربتي الخاصة وحيث انني بحكم عملي في مجال الهندسة والاستشارات الفنية مع شركات اوروبية وامريكية قد اختلطت بالكثير من الخبراء والمهندسين والفنيين الذين يعملون في هذا المجال من مختلف الجنسيات واذكر منها الامريكية والالمانية والصينية والايطالية والاسبانية والفرنسية واليونانية والرومانية والبريطانية والصربية وغيرها، وانني وبحكم تديني دخلت في حوارات بما يخص الدين مع معظم من طالت فترة مخالطتي له وهو على غير دين الإسلام وذلك بهدف التعريف بدين الإسلام ودعوته اليه، ووجدت ان لسان حال معظمهم يصدق قول الله تعالى فيهم (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ)(البقرة : 170)، وكان من بعض ردودهم بأنني ايضا اتبع دين الإسلام بحكم الوراثة والتقليد وأن معظم الناس على هذا المنوال وانني لو ولدت في مجتمع مسيحي أو حتى وثني هندوسي لما فكرت في تغيير معتقدي أو البحث عن الحقيقة في دين آخر، وقد وجدت بأن هذا

الاعتراض له وجه من الصحة وذلك من المشاهد في الواقع بأن معظم الناس يبقون على دين ومعتقد آباءهم أو المجتمع الذي يعيشون فيه ولا يجتهدون في طلب الحق في غيره، وعليه فقد عقدت العزم على دراسة و تمحيص أهم النظريات والأفكار والأديان التي تخالف الإسلام والتي لها أتباع معتبرين بين البشر في عموم هذا العالم وهي الإلحاد والربوبية ثم المسيحية بمذاهبها وطوائفها واليهودية وبشكل أقل الهندوسية و البوذية والشنتو والكونفوشية وباقي العقائد والأديان ضعيفة التأثير في عالم اليوم.

وكما انني وانطلاقا من نفس الفكرة أي فكرة التخلي عن التقليد المجتمعي قررت استكمال بحثي وذلك بالنظر في الاختلافات بين المسلمين أنفسهم وإلى العقائد والمذاهب المختلفة وهو ما قادني إلى جملة من التغييرات الشخصية أهمها التغيير في نظرتي إلى الفقه الإسلامي من اللامذهبية والنظر في الأدلة والنصوص مباشرة أو تقليد ترجيحات الشيوخ الغير منضبطين بأصول المذاهب السنية المعتبرة إلى التمذهب على مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، وكذا بعض الافكار والمعتقدات التي كنت اؤمن بها بسبب الجهل في بعض فروع الفقه والعقيدة وطريقة استنباط الأحكام الشرعية من النصوص بالطريقة الصحيحة، ولا أزكي نفسي ولكنني أعتقد بأن هذا التغيير يدل على صدق التوجه وتحري الموضوعية في البحث فكيف يصح أن يدعي شخص بأنه كان موضوعيا في مثل هكذا دراسة ثم يجير كل الدلائل والبراهين لخدمة معتقده ومذهبه، بل لا يكون ذلك إلا التعصب بعينه ليس للمنطق والعقل فيه نصيب.

بناء على ما ذكرت من دراستي لهذه المواضيع قمت بترتيب هذا الكتاب بحيث يتكون من عدة أجزاء وذلك بحيث يفضي كل جزء إلى الجزء الذي يليه ويكون الجزء اللاحق معتمدا على ما تم إثباته في الجزء الذي قبله فيبدأ الكتاب بعنوان دين الحق وكما هو متوقع يستند هذا الجزء على الأدلة المنطقية والحجج العلمية بشكل رئيسي ويتجنب قدر الإمكان الاحتجاج بالنصوص الغير معتبرة لدى الطرف المخالف إلا في السياق المناسب وكما يتجنب المغالطات المنطقية أو تجيير الإستنتاجات للمسائل التي تحتمل عدة نتائج منطقية، وبعدها يأتي جزء المعتقد الصحيح في دين الإسلام وهو يبني على ما تم إثباته في الجزء الأول ومن ثم يأتي جزء نظام الإسلام وفيه الدعوة الإسلامية ونظام الحكم في الإسلام وثم أخيرا ينتهي الكتاب بترجيح المذهب الأصح في أصول الفقه وفروعه، وبذلك يغطي هذا الكتاب تقريبا جميع المواضيع الأساسية في الجانب الديني للإنسان بحيث يصل به إلى تصور أساسي واضح يستطيع أن يبني عليه قناعاته الدينية ولوازم هذه القناعات سواء اعتقادا أو عملا.

العبد الفقير إلى الله

محمد العزام

ترجمة المؤلف

هو المهندس محمد احمد مزعل العزام المولود سنة 1987 للميلاد في بلدة ججين من نواحي مدينة اربد التي تقع في شمال الأردن وهي احدى الكيانات السياسية في بلاد الشام في وقت كتابة هذا الكتاب، وتلقى تعليمه في المدارس الحكومية في بلدته ثم حصل على البكالوريوس في تخصص هندسة القوى الكهربائية من جامعة اليرموك في اربد، وثم بدأ العمل في شركة والده المتخصصة في الدراسات الفنية والاقتصادية في مجال الطاقة والكهرباء وعمل في مجال تصميم محطات التحويل الكهربائية وخطوط الجهد الكهربائي العالي مع عدة شركات أوروبية وثم عمل في مجال تطوير وإنشاء مشاريع الطاقة المتجددة والذي كان بالتعاون مع عدة شركات اوروبية وعالمية ايضا، ثم اصبح خبير واستشاري دولي في مجال عمله (International Energy and RE Expert)، انتسب إلى حزب جبهة العمل الإسلامي في عام 2015 وأصبح عضوا في المؤتمر العام للحزب وعضو في اللجنة السياسية والثقافية في فرع اربد.

بما يخص العلوم الشرعية فإن المؤلف لم يتلقاها بشكل رسمي وإنما درسها من الكتب مباشرة وعليه فإنه لا يرى أن يوصف بأنه طالب علم شرعي بمعناها المتعارف عليه، وإنما يصف نفسه بأنه متبع ومقلد لما استقر عليه نظره ووافق أفكاره من مذاهب العلماء المعتبرين المجتهدين وذلك في العقيدة و نظام الإسلام والدعوة الإسلامية وأصول الفقه وفروعه، وأنه مسلم على عقيدة أهل السنة

والجماعة والتي يوردها الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في متنه المسند إلى الإمام ابو حنيفة وصاحبيه عليهم رضوان الله والمسمى متن العقيدة الطحاوية، وأنه يؤمن بمبادئ الدعوة الإسلامية كما أصل لها الإمام حسن البنا عليه رحمة الله وأنه في أصول الفقه وفروعه على مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه.

وأنه استقر على هذه المعتقدات والآراء بعد قراءة الكثير من الكتب والمقالات بل ومشاهدة مئات الفيديوهات والتي تختص بشتى المجالات سابقة الذكر ويذكر منها في مجال العقيدة، متن العقيدة الطحاوية للإمام ابو جعفر الطحاوي مع عدة شروح لها، جميع المؤلفات المنسوبة للإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه، رسالة العقائد للإمام حسن البنا، كتاب التوحيد للإمام ابو منصور الماتيريدي، اشارات المرام من عبارات الإمام لكمال الدين البياضي، شرح العقائد النسفية للتفتزاني، الإبانة عن أصول الديانة للإمام ابو الحسن الأشعري، المنقذ من الضلال للإمام ابو حامد الغزالي، دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه للإمام ابو الفرج ابن الجوزي، العقيدة الواسطية والتدمرية لتقي الدين ابن تيمية، كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب، كشف الشبهات لمحمد بن عبد الوهاب، الجزء الخاص بالعقيدة في كتاب الدرر السنية، الدر النضيد للشيخ محمد الشوكاني، كتاب أساس التقديس لفخر الدين الرازي، اجزاء من كتاب تلبيس الجهمية ودرء تعارض النقل والعقل لتقي الدين إبن تيمية، القول التمام بإثبات التفويض مذهبا للسلف الكرام لسيف بن علي العصري، الجزء الخاص بالعقيدة في كتب الحديث مثل صحيح البخاري ومسلم وكتاب معالم السنة للشيخ صالح الشامي، مختصرات ومناظرات عن الفرق الاسلامية مثل المذهب الإباضي والشيعه

الزيدية والاثني عشرية والطوائف الباطنية مثل الطائفة الاسماعيلية والطائفة النصيرية العلوية وطائفة الموحدين الدروز، وغيرها الكثير من المختصرات والمناظرات والمرئيات في هذا المجال.

أما في مجال الدعوة الاسلامية ونظام الحكم في الإسلام فنذكر أهم ما تم دراسته وهي رسائل الإمام حسن البنا، دين الحق للإمام أبو الأعلى المودودي، الجهاد في سبيل الله للإمام أبو الأعلى المودودي، الحكومة الإسلامية للإمام أبو الأعلى المودودي، الخلافة والملك للإمام أبو الأعلى المودودي، هذا الدين لسيد قطب، معالم في الطريق لسيد قطب، أجزاء من كتاب في ظلال القرآن لسيد قطب، جولات في الفقهين الكبير والأكبر وأصولهما للشيخ سعيد حوى، تربيتنا الروحية للشيخ سعيد حوى، العقيدة والعبادة والسلوك للشيخ أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للشيخ أبو الحسن الندوي، وغيرها الكثير من المختصرات والمناظرات والمرئيات.

وفي أصول الفقه وفروعه، أصول الشاشي، الأصول لشمس الأئمة أبو بكر السرخسي، سمت الوصول إلى علم الأصول لحسن كافي الأقحصاري، القواعد الفقهية لمجلة الأحكام العدلية، مختصر القدوري في الفقه الحنفي، أجزاء من حاشية الإمام ابن عابدين، أجزاء من المبسوط لشمس الأئمة أبو بكر السرخسي، مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه للذهبي، أجزاء من كتاب إحياء علوم الدين للإمام أبو حامد الغزالي، مختصرات للأصول الفقهية للمذهب الشافعي والمالكي والحنبلي، أجزاء من فقه السنة للشيخ سيد سابق، أجزاء من كتب في فروع الفقه للمذاهب السنية الأربعة بشكل عام، بالإضافة إلى أجزاء من تفاسير مختلفة

للقرآن الكريم مثل كتاب تأويلات السنة للإمام الماتريدي ومفاتيح الغيب للفخر الرازي و جامع البيان في تأويل القرآن المعروف بتفسير الطبري وتفسير ابن كثير، وغيرها من المختصرات والمناظرات والمرئيات.

وكما درس في عقائد الأديان الأخرى ومجال مكافحة الإلحاد عدة كتب ومرئيات ومختصرات أبرزها كتاب براهين وجود الله للدكتور سامي العامري، كتاب بصائر للدكتور هيثم طلعت، مرئيات نقد الإلحاد للدكتور هيثم طلعت، ومرئيات سلسلة رحلة يقين للدكتور إياد القنيبي، عدة مقالات ومرئيات لريتشارد دوكينز، عدة مقالات لأنتوني فلو بما فيها كتاب هناك إله، مرئيات مناظرات الشيخ احمد ديدات، عدد كبير من مرئيات المناظرات بين المسلمين والمخالفين من يهود ونصارى وملحدين وعلمانيين وغيرهم باللغة العربية والانجليزية، عدد كبير من المقالات والمرئيات التي تتناول شبهات حول الإيمان بالله وشبهات حول الدين الاسلامي باللغة الانجليزية لكتاب وأصحاب محتوى مرئي غربيين وعرب، دراسة مستفيضة لنظرية التطور لداروين وفروعها وتطورها عبر الزمن بكلا اللغتين العربية والإنجليزية، دراسة الكتاب المقدس كاملا بشقيه العهد القديم والجديد باللغة العربية ودراسة بعض النصوص المختارة باللغة الانجليزية، مختصرات من كتب البهائية، مختارات من كتب للطائفة الأحمدية القاديانية، مختصرات عن الهندوسية، مختصرات عن البوذية، معلومات أساسية عن ديانات أخرى مثل الارواحية والشنتو الكونفوشية والطاوية وغيرها.

الجزء الاول دين الحق

لقد ترددت كثيرا في اختيار الاسم المناسب لهذا الجزء من الكتاب، كما ترددت في توحيد موضوعي الإيمان بالله والدين الحق في جزء واحد وحيث أن الموضوعية تقتضي بأن نثبت وجود الله أو الخالق بداية قبل أن نقرر ما هو الدين الصحيح الذي يجب على الإنسان إتباعه، ولكن بعد طول النظر في هذا الموضوع وجدت ان لا دليل أقوى على وجود الخالق من وجود الإسلام نفسه ومن رسالته التي يمثلها القرآن الكريم الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وعليه استقر الرأي.

وأما الفصول التي اوردتها في هذا الجزء فهي تمثل البراهين الرئيسية الأربعة على وجود الخالق وصحة الإسلام في نفس الوقت، والتي تبدأ في الكون أو الوجود العام وثم الحياة أو الوجود الخاص وثم الإنسان وتركيبه الفيزيائي والنفسي وثم فصل أخير يتضمن مقارنة مختلف الأديان ومحاكمتها إلى النتائج المنطقية التي تبين صفات وخصائص الخالق اللازمة بالضرورة العقلية، بالإضافة إلى ادلة الدين الإسلامي وإظهار مدى توافق عقيدته مع هذه الصفات اللازمة.

لا شك بأن وجود الكون من الأساس هو من أعظم المسائل التي فكر بها الإنسان فهي مجال نقاش الفلاسفة والمفكرين منذ فجر التاريخ وإلى اليوم و لكن في الفترة الأخيرة ونتيجة للثورة المعرفية والتكنولوجية التي وصلت إليها البشرية أصبح الفهم لطبيعة هذا الكون والوجود أكثر عمقا وتفصيلا فاليوم يوجد لدينا معلومات عن هذا الكون كما لم يوجد من قبل ولدينا نظريات بعضها يصل لدرجة الإجماع العلمي وهي تشمل الخصائص الفيزيائية والكيميائية والكمية لهذا الكون بأدق التفاصيل والمكونات، ومنها حقيقة أن هذا الكون له عمر محدد وهو 13.8 مليار سنة شمسية (حسب نظرية الإنفجار العظيم) وان كمية المادة هي 10^{79} جسيم [1]، وكما أن كمية الطاقة الموجودة فيه محدودة ايضا وهناك عدة نظريات تستند على حسابات دقيقة تعطي قيما لنسب الطاقة المظلمة ولطاقة الجاذبية بكلا نوعيها الصغرى (بين الأجسام الذرية) والكبرى بين المجرات والنجوم والكواكب وغيرها من الأجسام الجرمية بل وهناك نظريات تحدد التوافق الدقيق للكون بحيث يسبب أي تغيير بسيط في الثوابت الفيزيائية للمادة والطاقة تغييرا جذريا في الكون يجعل من قيام الحياة كما نعرفها الآن أمرًا مستحيلًا. ونعطي مثالا بأنه لو أن القوة النووية كانت أقوى ب 2% من قوتها الحالية، مع بقاء جميع الثوابت الأخرى بدون تغيير، فإن ثنائي البروتون في نواة الذرة سيكون مستقرا وسيندمج مع الهيدروجين بدلا من الديوتيريوم والهليوم[2].

[1] Quantity of Matter in the Universe. Nature 129، 19–20 (1932).
[2] Paul Davies، 1993. The Accidental Universe، Cambridge University p70-71.

وبناء على هذه الحقائق العلمية السابقة الذكر نأطر لحقيقتين دامغتين اولهما ان الكون محدود وثانيهما بأن الكون حادث أي أنه نشأ في وقت معين، ويجدر الإشارة هنا إلى أن هذا ليس استنتاجا مني أو من غيري بل هناك اجماع علمي على ذلك حتى من العلماء الغربيين اللادينيين أو الملحدين، وهنا يجب عليك أيها القارئ أن تفهم بعض المسائل أو الاستنتاجات المنطقية التي تتبع هاتين الحقيقتين وهي أن كل من المكان والزمان هي ايضا حادثة ومحدودة وبأنه لا يوجد مكان خارج هذا الكون وكذا بالنسبة للزمان ونوضح هذين الاستنتاجين بشكل أكبر في نظريات ايضا يجمع عليها العلماء وهي حقيقة توسع الكون والناشئة ايضا من إثبات نظرية الإنفجار العظيم والنظرية النسبية لاينشتاين، وباختصار فإن النظرية النسبية لاينشتاين توضح كيفية ارتباط المكان والزمان بالأشياء المتحركة بسرعة ثابتة في خط مستقيم، ومن أشهر جوانبها هي أن الأجسام التي تتحرك بسرعة كبيرة جدا وعندما تقترب هذه الأجسام من سرعة الضوء، فإن كتلتها تؤول إلى الصفر لذا لا يمكن لأي جسم التحرك بسرعة أكبر من سرعة انتقال الضوء وهي 299,792,458 متر لكل ثانية أي 300 ألف كم\ثانية تقريبا. كما أن النظرية توضح علاقة الكتلة بالطاقة وذلك حسب المعادلة $E = mc^2$ والتي من تطبيقاتها العملية أنه يمكن حساب كمية الطاقة الناتجة من الانشطار النووي في القنابل النووية بناء عليها.

ويمكن اعطاء مثال توضيحي يعزز من فهمك أيها القارئ لهذه النظرية وعلاقتها بالزمان والمكان فإننا لو افترضنا بأن هناك كوكب (س) يدور حول نجم له أضعاف الجاذبية مما لدى الشمس وأن هناك كوكب (ص) يدور حول نجم

جاذبيته أقل بنفس نسبة الزيادة في جاذبية النجم الأول من جاذبية الشمس وافترضنا أن كل من الكوكبين مأهولين بالحياة ويمكن مراقبتهما من خلال التلسكوب لراصد موجود على كوكب الارض فإنه وحسب النظرية النسبية سيلاحظ الراصد بأن الأشياء تتحرك ببطء شديد جدا على الكوكب (س) بحيث أنك إذا كنت تراقب رجل يمشي عليه فأنك تراه كأنه واقف بلا حركة، رغم أنه في الحقيقة يتحرك بسرعة عادية وكذا لو راقبت رجل يمشي على الكوكب (ص) فسوف تراه يتحرك بسرعة كبيرة جدا أو إذا راقبت نبتة معينة على نفس الكوكب سوف تصبح شجرة كبيرة خلال شهور رغم أنها أيضا تنمو بنفس السرعة التي تنمو عليها أي نبتة عادية على كوكب الأرض، بل لو سافرت إلى أحد الكوكبين بنفسك فسوف ترصد إختلاف مرور الزمن بنفس الطريقة على كوكب الأرض أما تسارعا أو تباطأً، إذن فالزمن يختلف مروره بحسب المكان ومتعلقات المكان الفيزيائية وهذا دليل دامغ على محدودية وحدوث الزمن بلا شك.

وللعلم فإنه يوجد إجماع علمي أيضا على حدوث ومحدودية الزمان والمكان، ولكن أنا أعطيت بعض الأدلة على ذلك من باب إيراد الأدلة على جميع الاستنتاجات التي اذكرها في كتابي هذا، حتى ولو كان ليس عليها خلاف معتبر.

بناء على ماسبق نختصر ما تم استنتاجه بأن الكون هو محدود مكانا وزمانا وأن الزمان والمكان موجودان فقط في هذا الكون وعليه فالزمان بدأ بنشوء الكون أي لا يمكن التعبير بكلمة (قبل) نشوء الكون وكذا بالنسبة للمكان أي أنه لا يوجد

مكان خارج الكون ولا يمكن التعبير بكلمة (اين) الكون أو بكلمة (خارج) الكون، فالكون مكوناته هي الزمان والمكان والمادة والطاقة[3].

إذن فالكون هو نقيض العدم، والعدم هي فكرة فلسفية أكثر منها شيء حقيقي لأن العدم هو غياب كل شيء أي غياب المادة والطاقة والأهم غياب الزمان والمكان، ومن المهم جدا أن تفرق عزيزي القارئ بين العدم والفراغ، فالفراغ حتى لو كان مثاليا مثل المسافة التي بين المجرات والتي هي فراغ من المادة بشكل كبير جدا (المسافة بين الكواكب والنجوم في الفضاء أيضا فراغ ولكن ليس فراغ مثالي حيث توجد بعض الذرات من المادة أو غبار في المتر المكعب أو الاحجام الاكبر بحسب البعد عن المجموعة النجمية)، ولكن هذا الفراغ يعتبر مكان ويجري فيه الزمان فهو قابل لمرور الضوء فيه وهو قابل لوجود المادة فيه أي أنه حيز له أبعاد طولية وعرضية وعمق يمكن قياسها ويمكن التحيز بها مهما كبرت هذه المسافات على عكس العدم فالعدم لا يمر الضوء منه أو فيه ولا يتحيز الجسم به بطبيعة التعريف.

ونعطي مثالا لو أنك استطعت جدلا السير بمركبة بسرعة أكبر من سرعة الضوء بكثير (وهذا مستحيل وفقا للنظرية النسبية انفة الذكر) فإنك عندما تصل

---

[3] حسب نظرية الأوتار الفائقة (Superstring theory) فإن الكواركات التي تكون الأجسام الذرية (البروتونات والنيوترونات والإلكترونات) هي ليست اجسام نقطية ولكن هي عبارة عن أوتار من الطاقة تلتف وتهتز بطرق مختلفة مكونة أنواع الكواركات المكتشفة من قبل العلماء مثل (الكواركات العلوية والسفلية والغريبة والساحرة والقمية والقعرية) وبناء على هذه النظرية فإن المادة هي في الحقيقة نفسها الطاقة ولكن نتيجة اختلاف هذه الأوتار فإنها تكون أنواع كواركات مختلفة التي بدورها تكون مكونات الذرة الأساسية المختلفة، بكل الأحوال هذه النظرية لا يمكن إثباتها لأنها تفترض وجود 11 بعد فيزيائي أي الأبعاد الأربعة المعروفة بالإضافة إلى 7 ابعاد اضافية وذلك لحل المشاكل في المعادلات الرياضية التي تثبتها وهذا تكلف كبير يصل إلى درجة السفسطة، لذلك نحن نفترض أن الكوارك هو أصغر مكون للمادة والذي كونه يمتلك كتلة وحجم محدد يعني ان المادة والطاقة ليست نفس الشيء وانه هناك اختلاف بينهما، على الرغم من قابلية التحويل بينهما.

إلى الحدود القصوى لتوسع الكون سوف لن تعبر منها وإنما سوف ينحني المسار الخاص بالمركبة وكأنك قطرة ماء داخل كرة وسوف تعدل المركبة مسارها تدريجيا حتى تعود إلى داخل الكون مجددا.

إن من الضروري جدا عليك أيها القارئ فهم ماهية العدم وحيث انه بدون التصور الصحيح له لن تستطيع فهم الاستنتاجات المنطقية التي نوردها في هذا الفصل، وحيث أننا سوف نبين الإحتمالات التي تفسر نشوء الكون الذي أثبتنا حدوثه ومحدوديته قطعا، وهما احتمالين لا ثالث لهما:

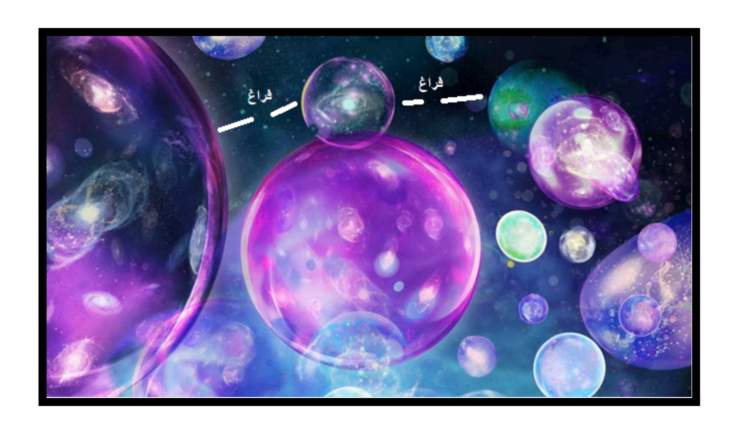
اولا: أن الكون نشأ من العدم.

ثانيا: أن الكون نشأ من شيء آخر غيره.

لنبدأ في الخيار الأول وهو أن الكون نشأ من العدم أي ان اللاشيء انبثق منه الطاقة والمادة والزمان والمكان، طبعا هذا الخيار يخالف كل القوانين المنطقية والعقلية والفيزيائية فحتى الفلاسفة الذين عاشوا منذ آلاف السنين مثل ارسطو طاليس وافلاطون قررا بأنه يجب ان يكون هناك مادة اولية نشأ منها الكون وأما الفيلسوف الروماني لوكريتيوس فقد قرر منذ ألفي عام إلى أن لا شيء ينشأ من اللا شيء (العدم).

أما المخالفات للقوانين الفيزيائية فهي كثيرة جدا وأولها مخالفة قانون حفظ الطاقة والذي ينص على أنه في أي نظام معزول، الطاقة لا تفنى ولا تستحدث من العدم، ولكن يمكن تحويلها من صورة لأخرى، وكذا يناقض هذا الخيار قانون السببية والذي ينص على أن هُناك سبب أو علة وراء كل حدث في الوجود.

ونحن بالتأكيد لسنا بحاجة إلى الكثير من الادلة حتى نثبت بأن لا شيء ينتج من العدم، فحتى الفراغ والذي يخلو من المادة والطاقة لا يمكن أن ينشأ به أي شيء فما بالك بالعدم الذي هو ليس مكان ولا يجري عليه الزمان اصلا. وهنا يجب أن ننوه إلى بعض المغالطات والشبهات التي قد تخيل لك أيها القارئ بأن هناك نظريات لنشوء الكون من العدم مثل نظرية التذبذبات الكمية للأوتار الفائقة (Superstring theory) ونظرية محصلة الطاقة الصفرية و نظرية الاكوان المتعددة، أما النظرية الأولى فمن الواضح بأنك بحاجة إلى مكان وقوانين الكم من اجل ان تتذبذب الجسيمات الكمية وهذا ليس عدم، اما محصلة الطاقة الصفرية فهي ايضا تفترض وجود المكان والزمان والسبب والذي هو التذبذبات الكمية سالفة الذكر وهذا ايضا خلط لمفهوم الفراغ مع العدم، طبعا نظرية الأكوان المتعددة هي الأسخف والأكثر خرافية وحيث أنه بالإضافة إلى عدم وجود ادنى شبهة دليل أو قصاصة من علم عليها فهي تفترض أن الاكوان الاخرى موجودة في فقاعات كونية لانهائية اخرى وهذا يعقد المسألة ولا يحلها، وكما اننا اثبتنا سابقا بأن المكان محصور في الكون نفسه فأين ستكون هذه الأكوان المتعددة؟.



شكل (1) رسم تخيلي لشكل الأكوان المتعددة

اتمنى انه أصبح واضحا لديك عزيزي القارئ بأن جميع هذه النظريات تلبس على المتابع بين مفهوم الفراغ أو وجود شيء والعدم المحض وكلها تدور في هذا الفلك.

والآن نذهب إلى الخيار الثاني والوحيد وهو بأن الكون نشأ من شيء آخر، وهذا الخيار يمكن تقسيمه إلى احتمالين، الاحتمال الأول وهو بأن الكون ينفجر ويضمحل منذ الأزل، أي أنه رغم انه محدود وحادث العين ولكن هو ليس حادث النوع أي أن الكون عندما يصل إلى أقصى توسع يعود فيضمحل ليصل إلى نقطة الصفر زمان ومكان ثم يعود ينفجر منها مجددا ليتوسع من جديد.

مشكلة هذا الإفتراض بأنه يوقعك في مغالطة التسلسل اللانهائي وهي أن يحدث قبل كل حادث حادث آخر إلى لا بداية. فمهما تصورت حادثاً في القدم فيجوز أن تتصور حادثاً قبله لا إلى بداية. فيتكون من مجموع هذه الحوادث سلسلة غير منقطعة من جهة القدم ومنقطعة الآن في الحاضر.

ومغالطة التسلسل اللانهائي منقوضة عقليا وعلميا ولمزيد من الفهم اعطيك هذا المثال المشهور لنفترض أن لديك قناص يسدد على هدف معين وهو بحاجة إلى موافقة على إطلاق النار من الضابط المسؤول عنه وهذا الضابط بحاجة إلى الموافقة من الضابط الأعلى رتبة وهكذا إلى ما لانهاية من الضباط فإن القناص لن يقوم بإطلاق النار ابدا وعليه فإن التسلسل اللانهائي غير موجود حقيقة أي أنها فكرة عدمية لأنه لا يمكن أن ينشأ عنها أي شيء.

اعطيك مثالا آخر أيضا بأنك إذا كنت تمسك بيدك بمفتاح وتريد إعطائه لشخص معين لنسميه (زيد)، وذلك ليفتح الباب به ولنفترض ان بينك وبين زيد عدد (س) من الأشخاص وكل شخص يحتاج إلى دقيقة ليعطي المفتاح للشخص الذي يليه حتى يصل المفتاح إلى (زيد)، يعني لو كان العدد (س) يساوي (1) فإن المفتاح سيصل إلى (زيد) خلال دقيقتين أما إذا كان العدد (س) يساوي (10) فإن المفتاح سيصل (زيد) بعد (11) دقيقة وهكذا بحسب عدد الاشخاص (العدد س)، وإذا كان عدد الأشخاص (س) يساوي (∞) مالانهاية فإن المفتاح سيحتاج إلى مالانهاية من الدقائق، أي أنه لن يصل أبدا إلى (زيد) وسيبقى الباب مغلقا إلى الأبد وهكذا الكون إذا كانت الانفجارات والاضمحلالات مستمرة منذ الأزل أي مالا نهاية في القدم فإن الكون الحالي لن ينشأ ابدا كما في الأمثلة السابقة.

إذا ما الذي يتبقى لدينا، أن الكون نشأ من شيء آخر مختلف عنه ومغاير له، إذن ما هي صفات هذا الشيء المختلف عن الكون وما هي الخصائص التي يجب أن تتوافر في هذا الشيء حتى يكون افتراضنا منطقيا و صحيح علميا:

1- يجب أن يكون هذا الشيء غير حادث أي موجود بلا بداية يعني يجب أن يكون هو المسبب الأول، لإنه إذا كان حادثا أو أن شيء تسبب به فعندها سوف نقع بالمغالطة سابقة الذكر أي التسلسل اللانهائي.

2- يجب أن يكون هذا المسبب الأول غير محكوم بقوانين الكون الحالي وعليه فهو ليس شيء مادي (ليس جسم) ويجب ألا تكون صفاته خاضعة لأبعاد الزمكان وذلك لأن كل من الزمان والمكان ناشئ عن وجود الكون نفسه وهذا يمكن التعبير عنه بأنه غني عن غيره أو قائم بذاته.

3- يجب أن يمتلك هذا المسبب الأول الطاقة وإلا كان عدما، لأن تعريف العدم كما بينا هو غياب الطاقة والمادة والزمان والمكان جميعا، وكما أنه من المثبت عقليا وعلميا أنه عند نقطة انفجار الكون أي النقطة صفر من الزمان والمكان والمادة كانت الطاقة هي فقط الموجودة، وهنا يطرح سؤال هل طاقة هذا الشيء طاقة محدودة أو غير محدوده، والإجابة بسيطة جدا وهي أنها لو كانت محدودة فإن لها قيمة محددة قطعا والذي لديه قيمة محدودة يكون حادثا أو متسبب به كما هو الكون نفسه الذي وضحنا بأنه كان عند نقطة ما (صفر زمان- صفر مكان- صفر مادة- طاقة محدودة) وهو ما يوقعك في مغالطة التسلسل اللانهائي مجددا، وهنا يجب الإشارة إلى أن الطاقة في غياب الزمان والمكان هي نفس مفهوم القوة والقدرة الفيزيائيتين حيث أن المعادلات التي تجمعها هي إما متغيرة بالزمن أو المسافة (المكان) وحيث أن:

وحيث $dU(x) = f(x) * d(x)$ dU (x) التغير بالطاقة بالجول، و f(x) القوة بالنيوتن،وd(x) التغير بالمسافة أو الإزاحة بالمتر.

وحيث $P = E/t$ P القدرة بالواط ، E الطاقة بالجول ، t المسافة بالزمن.

وعليه تكون مصطلحات القدرة غير المحدودة والقوة غير المحدودة والطاقة غير المحدودة (من الناحية الفيزيائية) للمسبب الأول متساوية و متماثلة تماما.

ونحن هنا لا نعني أن هذه التماثلات من الناحية الفيزيائية تنطبق على المسبب الأول، ولكن هي فقط طريقة لتقريب سبب استخدام هذه المصطلحات بالتناوب وحيث ان شكل الطاقة في غياب الزمان والمكان لا يمكن تصوره اصلا ولا يمكن تطبيق أي معادلة فيزيائية عليه، ولذلك فإن طاقة وقوة المسبب الأول لا يمكن التعبير عنها بأي معادلة رياضية أو نظرية فيزيائية، بل لا يمكن حتى أن نتخيلها والشيء الوحيد الذي نستطيع اثباته هو أنها موجودة ولا نهائية فقط لا غير.

4- يجب أن يكون هذا المسبب الأول (الخالق) واحد وليس متعدد وذلك لأنه لا يمكن وجود أكثر من شيء ذو طاقة لا نهائية، وهذا للعلم ينطبق على جميع مكونات الكون الناشئة ويمكن الاستدلال عليه ببساطة بأنه لو قلنا بأنه يوجد مكان لا نهائي (على الرغم بأنه يمكن تخيله عقلا ولكنه مناقض لنظرية نشوء الكون وجميع قوانين الفيزياء) فإنه يستحيل أن

يوجد مكان آخر لا نهائي لأنه لا يوجد له متسع بوجود المكان اللانهائي الأول، وكذا بالنسبة للمادة فإذا كان لدينا جسم مادي لانهائي فإنه يستحيل أن يوجد جسم آخر لانهائي لأنه ليس له متسع في المكان اللانهائي الذي يشغله الجسم الأول اللانهائي.

كما يمكن الإستدلال على انفراد المسبب الأول بالوجود بأن هذا المسبب الأول قد أحدث الكون فماذا فعل المسببين الآخرين وما هي آثار وجودهم!!! وكما أن افتراض تعدد الأشياء لانهائية الطاقة لن يصل بك إلى حد بالتعدد فإذا فرضت وجود شيء لا نهائي ثاني فما يمنع وجود شيء ثالث ورابع إلى ما لانهاية وكل واحد منهم له طاقة لا نهائية وخارج حدود الزمان والمكان وهذه سفسطة واضحة.

كما أن وجود الإرادة اللامحدودة للمسبب الأول (الخالق) تمنع افتراض وجود ارادة غير مقيدة لاي شيء آخر وذلك لأن هذا الافتراض يناقض تعريف الإرادة اللامحدودة بالأساس، فوجود الكون يعبر عن إرادة المسبب الأول (الخالق) وإذا كان هناك عدد لا نهائي من الذين يتمتعون بالإرادة اللامحدودة فبالضرورة سوف يريد ولو واحد منهم عدم وجود الكون وهذا ما لم يحصل في الواقع (الكون موجود بالفعل) وعليه ينهار أي افتراض لتعدد أصحاب الإرادة اللامحدودة قطعا.

5- يجب أن يكون هذا المسبب الأول قاصدا وذكيا وذلك بسبب تعدد الخيارات التي يمكن أن ينشأ عليها الكون، فهناك عدد لا حصر له من الاشكال التي يمكن أن ينشأ عليها الكون والتي سيكون نتيجتها كون بلا نجوم أو بلا كواكب مثلا أو كون دخاني أو كون لا يوجد فيه العناصر

الضرورية للحياة أو كون غير مستقر من ناحية توازن طاقات الجاذبية الكبرى والصغرى وغيرها من القوانين الفيزيائية، والآن السؤال الذي قد يسأله شخص ما هل الذكاء المثبت للمسبب الأول محدود أم غير محدود؟

وسيكون الجواب عليه أنك لا تحتاج إلى ذكاء غير محدود لتصميم شكل معين واختبار أعداد لا نهائية من تراكيبه الهندسية والكيميائية، وأعطي مثالا لو أعطينا عالما في مختبر مجموعة من العناصر الكيميائية واخبرناه أن يصمم لنا جسم من تراكيب كيميائية مختلفة بأشكال هندسية مختلفة فإنه سيستمر بإنتاج عدد لا نهائي من هذه الأجسام بلا توقف رغم ذكائه المحدود.

ولكن في حالة المسبب الأول فإن تصميم هذه الأجسام اللانهائية يجب أن يحصل في نقطة الصفر زمان على عكس العالم في المختبر الذي أتيح له زمن لا نهائي للخروج بهذه التصاميم، ويمكن إعطاء مثال واقعي آخر بأنه لو ادخلنا عملية حسابية لجهاز كمبيوتر من جيل تسعينات القرن العشرين واستغرق ساعة كاملة لإخراج النتيجة فإن الكمبيوتر الحالي ربما سيستغرق عدة ثواني لإعطاء نفس النتيجة وأما الكمبيوتر فائق السرعة (supercomputer) الذي يوجد في مختبرات البحث العلمي فقد يستغرق أجزاء من الثانية بالمايكرو أو النانو ثانية وهكذا كلما زاد ذكاء الكمبيوتر يقل الوقت اللازم لإعطاء النتيجة، وعليه فإننا نثبت أن ذكاء المسبب الأول غير محدود بلا شك لأن تصميم الكون كان عند النقطة صفر زمان كما بينا آنفا.

6- يجب أن يكون المسبب الاول كلي العلم، أي أن علمه غير محدود وذلك من لوازم اثبات الذكاء غير المحدود لأن اختبار أو إجراء جميع المعادلات الرياضية أو الفيزيائية لتصميم الكون بغض النظر إذا كانت لا نهائية أو محدودة (وهي لا نهائية بحكم تعدد الخيارات التي يمكن أن تأخذ قيمها الثوابت الفيزيائية) يثبت بالضرورة العلم بها والعلم بنتائجها وكل ذلك عند النقطة صفر زمان كما أسلفنا ذكره.

وبناء على هذه الاستنتاجات القطعية أثبتنا وجود المسبب الأول (الخالق) وصفاته اللازمة وهي على الترتيب: الأزلية (اللا بداية)، أنه قائم بذاته ممتنع المادية والجسمية والأبعاد والخضوع للتغير بالزمن، انه واحد غير متعدد أو منقسم، انه لا نهائي الطاقة والقوة والقدرة، انه قاصد وغير محدود الذكاء وكلي العلم (غير محدود المعرفه).

إذن ماذا يتبقى للملحد الذي ينكر وجود الخالق بعد ذلك في هذا الموضوع، يتبقى له إثارة الشبهات عن طريق المغالطات المنطقية التي هي قائمة على التدليس والخداع، يقول الملحد مثلا انه يمكن في المستقبل ان نكتشف نظرية اصح لنشوء الكون مع تطور العلم والتكنولوجيا والمعرفة البشرية، طبعا يستخدم مغالطة الاحتكام إلى المجهول ويجب ان يكون الرد دائما بأن لا التكنولوجيا ولا أي نظرية سوف تستطيع إثبات نشوء شيء من العدم لأن العدم ببساطة غير موجود حتى تقيسه أو ترصده أو تختبره أو تطبق أي تجربة علمية عليه فلا مجال للعلم والتكنولوجيا اصلا هنا لا الآن ولا في أي مستقبل.

والمثال الثاني ان يقول الملحد إذا كان الخالق هو من أوجد الكون لماذا هذا العدد الكبير من المجرات والنجوم والكواكب التي لا فائدة منها ولا يعيش فيها أحد (مغالطة محدودية الموارد) أو لماذا مجرة درب التبانة ليست في مركز الكون أو لماذا الشمس ليست في مركز المجرة أو لماذا الأرض ليست الا كوكب من عدة كواكب تدور حول نجم هامشي وهو الشمس وليس فيها شيء مميز (مغالطة أنسنة الإله)، أو أي من الشبهات التي هي على نفس شاكلة هذه الشبهات، وأعلم ان جميع هذه الشبهات لا تتناول الإثباتات المنطقية التي اوردناها و إنما تتناول جوانب اخرى من صفات المسبب الأول مثل الحكمة وعلة الأفعال وغيرها وهذه التساؤلات يوجد ردود علمية كثيرة عليها مثل نظرية القصور الذاتي للكون (التي تفسر ضرورة أن يكون الكون كبيرا جدا لحفظ توازن مكوناته) وبعضها لا يوجد ردود عليها أو تفسير علمي لها وهذا غير مهم على الإطلاق لإن جميع هذه الشبهات لا تعارض الحجج الدامغة التي تم تبيانها سابقا و إنما هي من سبيل ان ينكر شخص ابوته لإبنه بحجة انه لا يحبه أو انه غبي أو انه ليس ناجح في الحياة أو انه عاق بينما شكل الابن ووثيقة فحص ال (DNA) بين يديه تثبت ابوته القطعية وتراه يراوغ ويتجنب نقاش سبب شبهه به وصحة التحليل الجيني ويغير دائما مجرى الحوار لتلك المواضيع.

يعني بإختصار نحن لسنا مضطرين لتفسير كل ظاهرة طبيعية واسباب حدوثها وعلة وجودها من اجل ان نثبت وجود المسبب الأول فهو بالتعريف والبراهين المذكورة سابقا موجود قطعا وإنما فهمنا له وللكون نفسه هو القاصر والذي لا يمكن أن يصل إلى الإحاطة الكاملة ابدا.

يقول تشارلز داروين عن نشوء الحياة (غالبا ما يُقال إن كل الظروف اللازمة لظهور الكائن الحي الأول متوافرة الآن، وهي ظروف يمكن أن تكون قد سادت في أي وقت من الأوقات من قبل. لكن إذا تصورنا وجود بركة صغيرة دافئة المياه، تحتوي على كل أشكال الأمونيا وأملاح الفوسفور والضوء والحرارة والكهرباء، إلى آخره، فمن شأن ذلك تكوّن مُركّب بروتيني كيمياوي، يصبح جاهزا لأن يخضع لمزيد من التغيرات الأخرى المعقدة. وإذا حدث ذلك في وقتنا الحاضر، فستُلتهم هذه المادة أو تُمتص على الفور، وهو ما لم يكن ليحدث في الفترة السابقة لتشكل الكائنات الحية)[4]، وهو ما بنى عليه الكثير من العلماء التطوريون العديد من النظريات الفرعية لهذه النظرية الرئيسية التي تسمى التخلق اللاحيوي Abiogenesis، وذهب بعض التطوريين إلى خيار آخر وهو نظرية البانسبيرميا أو فرضية جميع البذور Panspermia أو التخلق الخارجي exogenesis والذي يعني أن الحياة نشأت منذ نشوء الكون وان بذورها موجودة في كل مكان أو أن الحياة قدمت إلى الأرض من مكان آخر في هذا الكون ولكن أتباع هذه النظرية هم قليلون في الوسط العلمي وذلك بسبب أن هذه النظرية لا تعدو كونها فلسفة وعقيدة الحادية وليس نظرية علمية لأنه لا يمكن إثبات أي افتراض من فرضياتها، وحيث أنها تقود إلى مغالطة التسلسل اللانهائي بطبيعة الحال بحيث انك سوف تظل بحاجة إلى جواب كيف نشأت الحياة في المكان الآخر وهكذا دواليك بلا انتهاء !!!.

[4] رسالة داروين إلى صديقه عالم الطبيعة جوزيف دالتون هوكر، بتاريخ الأول من فبراير/شباط 1871.

وعليه فإننا سوف نركز في فصلنا هذا على نقض النظرية الأولى وتفرعاتها، كونها للوهلة الأولى تمثل خيار يمكن التأكد من فرضياته واختبارها بشكل ما، وكما سوف نورد الأدلة الدامغة على صحة الخيار المنطقي والوحيد وهو الخلق المباشر ليس فقط لأصل الحياة، ولكن لجميع الكائنات الحية بشتى فصائلها وأنواعها، ونبدأ بتعريف الثوابت العلمية التي نتفق نحن وجميع العلماء في هذا المجال اليوم عليها، حتى تكون هي المرجع عند الإحتكام للمنطق والعقل (وليس الحجج الفلسفية والكلامية).

المادة الحية

البروتوبلازما (Protoplasm) أو المادة الحية هي تعد في علم الأحياء، الأساس الحيوي للكائن الحي، وهو التركيب الذي له القدرة على القيام بعمليات الأيض من هدم وبناء، ويقوم بجميع متطلبات الكائن الحي من تكاثر و استمرارية وثبات[5]. ويمكن القول بأن جميع الكائنات الحية هي مكونة من تركيب واحد كما في الفيروسات والبكتيريا والكائنات أحادية الخلايا الأخرى وإما مكونة من عدد من هذا التركيب الأساسي تشكل كل مجموعة منها عضو أو جزء من عضو وتتجمع لتشكل جهاز حيويا وثم جسم حيوي في جميع الكائنات الحية بلا استثناء.

وكما تتشكل جميع المواد الحية من الأجزاء التالية والتي تتوافر في جميع أنواعها بلا أي استثناء وهي:

---

[5] UK English Dictionary. Oxford University Press. Archived from the original on May 10، 2021.

1- العناصر الكيميائية وعددها 35 عنصر كيميائي في معظم الكائنات الحية ومنها عدد من العناصر التي لا تقوم الخلية بدونها يختلف الرقم من 19 عنصر اساسي[6] أو 21 عنصر اساسي[7] لا تقوم المادة الحية بدونها كما في الجدول التالي:

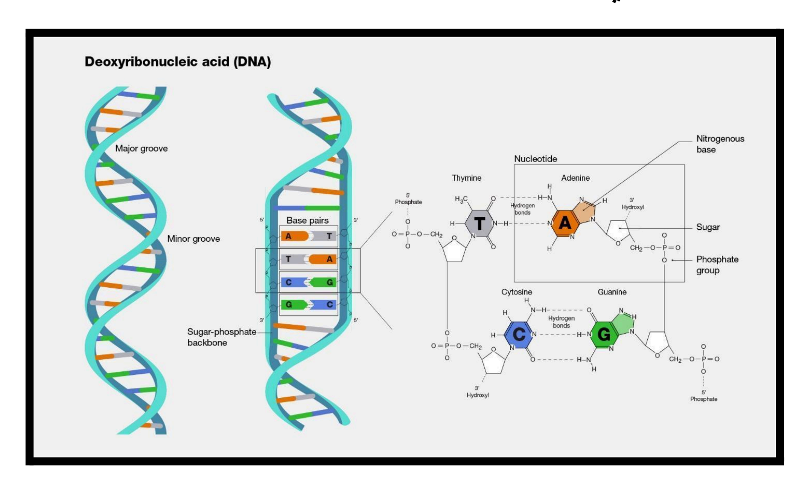
NO.	Element	Symbol	Atomic Weight	Biological Role
1	Bromine	Br	79.9	Defence and pigmentation in certain marine organisms،esp. algae.
2	Calcium	Ca	40.1	Bone; muscle contraction،second messenger
3	Carbon	C	12	Constituent (backbone) of organic molecules
4	Chlorine	Cl	35.5	Digestion and photosynthesis
5	Chromium	Cr	52	Metabolism of sugars and lipids in humans.
6	Copper	Cu	63.5	Part of Oxygen—carrying pigment of mollusk blood.
7	Fluorine	F	19	For normal tooth enamel development
8	Hydrogen	H	1	Part of water and all organic molecules
9	Iodine	I	126.9	Part of thyroxine (a hormone)

[6] https://chem.libretexts.org ، 1.9: Essential Elements for Life
[7] https://en.wikibooks.org/wiki/Cell_Biology/Introduction/The_elements_of_life

10	Iron	Fe	55.8	Haemoglobin‹oxygen carrying pigment of many animals
11	Magnesium	Mg	24.3	Part of chlorophyll; essential cofactor for many enzymes of energy metabolism.
12	Manganese	Mn	54.9	Essential to some enzyme actions.
13	Nitrogen	N	14	Constituent of all proteins and nucleic acids.
14	Oxygen	O	16	Respiration; part of water; and in nearly all organic molecules.
15	Phosphorus	P	31	Constituent of DNA and RNA backbones; high energy bond in ATP.
16	Potassium	K	39.1	Generation of nerve impulses.
17	Selenium	Se	79	For the working of many enzymes.
18	Silicon	Si	28.1	Diatom shells; grass leaves.
19	Sodium	Na	23	Part of Salt; nerve conduction
20	Sulphur	S	32.1	Constituent of most proteins. Important in protein structure: Sulphide bonds are strong.
21	Zinc	Zn	65.4	Essential to alcohol oxidising enzymes.

2- التراكيب الكيميائية الأساسية المكونة من العناصر السابقة الذكر وهي الماء، الأحماض الأمينية التي تشكل البروتينات، نيوكليوتيدات، اللبيدات، الكربوهيدرات، مركبات اخرى وهذه تحتوي جميع الخلايا الحية عليها.

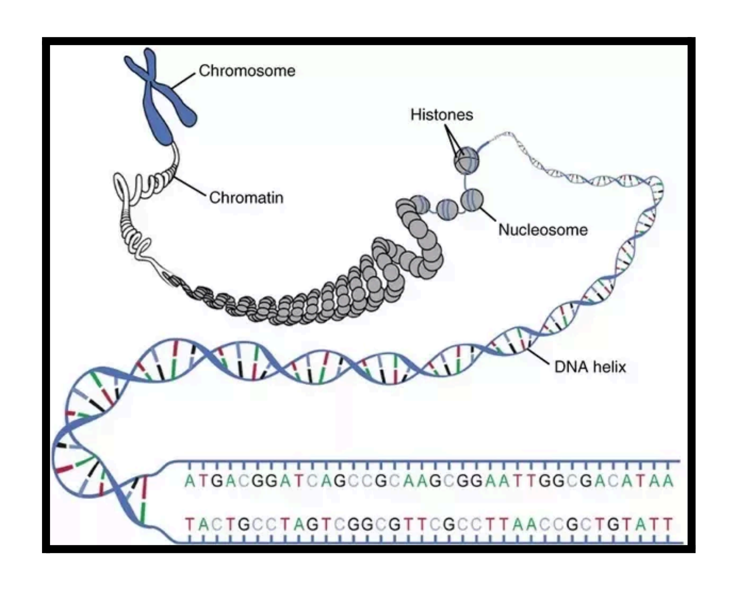
3- واخيرا وأهم جزء هو المعلومات وهي بيانات الخلية التي تكون مشفرة عن طريق تركيبات النيوكليوتيدات فيما يسمى الحمض النووي الريبوزي منقوص الأكسجين (DNA) والحمض النووي الريبوزي (RNA)[8]، وهنا يجب التوضيح بأن جميع التركيبات التي تم الإشارة إليها في النقطة السابقة تنشأ أساسا وفق هذا التشفير الموجود في الحمض النووي ويكون شريط الأحماض النووية تماما مثل برنامج الحاسوب الذي يتضمن خطوات صناعة هذه المركبات المعقدة.



شكل (2) مخطط تكوين الحمض النووي

[8] المعجم الطبي الموحد. مكتبة لبنان ناشرون.

وهنا يجب فهم طبيعة هذه المعلومات أو البيانات وكيف يتم تحويلها إلى أوامر تؤدي إلى إنشاء وبناء البروتينات داخل الخلية، وحيث أن نواة الخلية الحية تحتوي على عدة أزواج من هذه الكروموسومات أو شريط (DNA) يسمى كل منها كروموسوم (في الانسان 23 زوجا من الكروموسومات أو 46 كروموسوم منفرد) وهذا الشريط من المعلومات يكون طويلا جدا مقارنة بسماكته (بالنسبة لخلية الإنسان يكون طول كل شريط فيما لو فردنا الكروموسوم على طوله هو 44.3 سم انظر الرسم التوضيحي أدناه) وهذا الشريط يمكن تقسيمه إلى أجزاء تسمى الجينات والتي تتكون من 50 إلى أكثر من 5000 من وحدات البناء الرئيسية التي اشرنا اليها سابقا (النوكليوتيدات).



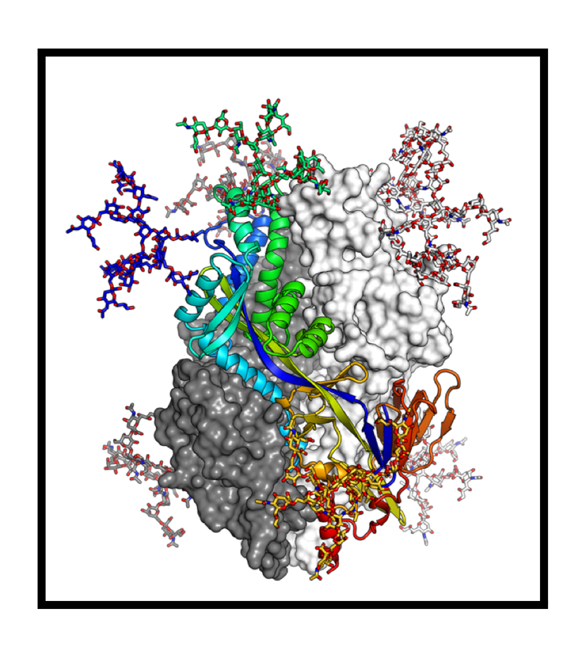
شكل (3) رسم توضيحي لشريط (DNA) الملتف المكون للكروموسوم

وحيث ان جميع مكونات المركبات داخل الخلية مشفرة داخل هذه الاشرطة من المعلومات ويتم قرائتها عن طريق إنزيمات معينة منها إنزيمات اللولبة والقطع والربط والتي سنحاول شرح طريقة عملها بأسهل ما يمكن كما يلي:

اولا: يتم فصل شريط ال (DNA) عن طريق انزيم القطع ويتم تكوين سلسلة منفصلة عن الشريط الاساسي يسمى شريط (RNA).

ثانيا: يعود شريط (DNA) إلى وضعه الأصلي، بينما يذهب شريط ال (RNA) إلى خارج نواة الخلية إلى وحدة تسمى الميتوكندريون أو المصورات الحيوية (هي المصنع داخل الخلية أو خط الإنتاج).

ثالثا: تتم عملية إنتاج البروتينات داخل الميتوكندريون عن طريق تجميع الأحماض الأمينية (20 نوعا في الكائنات الحية) بين شريطين من (RNA) سابقة الذكر وتتكون أشكال ثلاثية الأبعاد من هذه البروتينات في غاية التعقيد الهندسي انظر الصورة أدناه.



شكل (4) رسم توضيحي لشكل البروتين الثلاثي الأبعاد

وبهذا يكون لدينا تصور أساسي عن طريقة عمل هذه الخلية الحية بوجود هذه العناصر المجتمعة جميعا لضمان إنتاج البروتينات بالشكل والحجم والمكونات المطلوبة في داخل الخلية أو لعملية نسخ الخلية بشكل كامل وتكاثرها. وكما تجدر الإشارة إلى أن جميع الكائنات الحية متعددة الخلايا من النباتات والحيوانات والكائنات الدقيقة تحتوي كل خلية منها على نسخ متطابقة من اشرطة (DNA) وان الفروقات بين شكل وتركيب كل خلية (على سبيل المثال خلية جلدية وخلية عضلية أو عصبية أو دموية) تكون في الأجزاء التي يتم قراءة ال (DNA) فيها، فإذا علمت أن خلية الإنسان مثلا تحتوي على 22 ألف من الجينات تقريبا مكونة من حوالي 3 مليارات زوج من قواعد الحمض النووي

(النوكليوتيدات) فإن هذه الجينات بقواعدها النووية لا تقرأ جميعا لكل خلية وإنما تقرأ الإنزيمات أجزاء مختلفة من هذه الجينات بحسب نوع ووظيفة كل خلية.

الخلية الأساسية

الخلية الأساسية أو البدائية هي مصطلح يمثل الحد الأدنى اللازم من مكونات الخلية كي تكون الخلية حية، يعني أنها قادرة على الاستمرار والقيام بالعمليات الأساسية السابق ذكرها، لو أردنا إعطاء مثال على ذلك من التطبيقات العملية كالسيارة مثلا فسيكون السؤال ما هي القطع الأساسية التي بغياب أي واحد منها تفقد السيارة تعريفها كآلة تسير على الطريق من النقطة أ إلى النقطة ب، طبعا ذلك سيشمل الهيكل والمحرك والعجلات و عمود نقل الحركة وبعض القطع الأساسية الأخرى وسيستثنى الراديو والمكيف والمقاعد والإضاءة وغيرها من الكماليات.

بالنسبة للعناصر الأساسية فهي متواجدة في الطبيعة ولو أنها من الصعب أن تتواجد في كوكب واحد، بل ان مركب مثل الماء لم يثبت وجوده على أي كوكب آخر غير الأرض بصورته السائلة ناهيك عن أن توجد في مكان واحد صغير في نفس الوقت، وبالنسبة للمركبات الكيميائية المعقدة سيكون ذلك أشبه بالمستحيل، ولكن لا يمتنع تواجدها نظريا. وأخيرا أشرطة (DNA) المكونة من قواعد الحمض النووي (النوكليوتيدات) بالطول والتركيب الكافي والترتيب الصحيح لإستمرار أكثر العمليات الحيوية الأساسية واكثر التكوينات بدائية على الإطلاق،

والجواب حسب العلماء هو ثلاثمائة واثنين وثمانون جينا[9] وخلصت دراسات أخرى إلى أرقام متفاوتة بين 244 و 1617 جينا[10]، طبعا كما وضحنا سابقا بأن الجين يتكون من 50 إلى أكثر من 5000 من قواعد الحمض النووي (النوكليوتيدات) فيكون الرقم النهائي لقواعد الحمض النووي بمئات الآلاف على أقل تقدير لتكوين خلية حية في غاية البدائية وعلى شفير الهلاك بفقدان حتى جين واحد من حمضها النووي.

نشوء الخلية الأساسية

كل ما أوردناه سابقا هو حقائق علمية محضة وليس فيها مجال للنقاش أو الجدال وأما الآن فسوف نتناول احتمالية صحة نظرية التخلق اللاحيوي التي أشار إليها داروين ومن تبعه من التطوريون كأقوى نظرية لها أدنى أساس منطقي وبالمقابل كون نظرية التصميم الذكي المقصود للكائنات الحية هو الخيار الوحيد علميا ومنطقيا، ونستند على وصف الخلية البدائية والحد الأدنى من الجينات الذي مهدنا له سابقا وهنا فإن علم الرياضيات والإحتمالات هو الحكم بهذا الخصوص وحيث أن لدينا عناصر اساسية سوف تشكل مركبات كيميائية معينة وسوف تأخذ هذه المركبات الكيميائية اشكال هندسية وسوف تكون هذه الأشكال الهندسية مرتبة حسب تسلسل محدد بعدد مئات الآلاف شكل كحد ادنى (بالتحديد نصف مليون قاعدة حمض نووي)[11].

---

[9] J. Craig Venter Institute (JCVI) conducted a study to find all the essential genes of M. genitalium through global transposon mutagenesis. As a result، they found that 382 out of 482 protein coding genes were essential.

[10] كتاب بصائر والدكتور هيثم طلعت

[11] براهين وجود الله ، الدكتور سامي العامري ص. 591 من

وان هذا الرقم يجب أن يقل عن الحد الأقصى للإحتمالات الممكنة في حدود هذا الكون وهو الرقم ($\frac{1}{10^{150}}$) أي 1 على 10 وامامها 150 صفر وهو رقم في غاية الصغر ويعبر عنه بالصفر الرياضي[12] وعند القيام بعمل معادلة لهذه الإحتمالية فإن النتيجة حسب العالم هارولد موريتز الذي حاول حساب احتمالية نشوء هذه الخلية البدائية من الحساء الأولي المزعوم ب ($\frac{1}{10^{100000000000}}$) [13] أي أقل من الصفر الرياضي بتريليونات تريليونات المرات وهو رقم لا يمكن تصوره حتى.

بل أن احتمالية نشوء بروتين أساسي للحد الأدنى للحياة بحسب العالم بول ديفيس هو ($\frac{1}{10^{40000}}$)[14]، وهو اقل ايضا بتريليونات تريليونات المرات من الصفر الرياضي سابق الذكر!!!

كل ذلك هو فقط لحساب احتمالية نشوء الخلية الحية البسيطة جدا ولم نتطرق بعد لتكون الخلايا المعقدة التي تكون الأحماض النووية لها بملايين ومليارات قواعد الحمض النووي والتي هي الموجودة فعليا في الطبيعة، بل لم نتطرق إلى احتمالية تكوين هذه الخلايا للأعضاء المعقدة بحيث تحدد كل خلية مكانها ونوعها وترتيبها في الشكل النهائي للعضو الحيوي وثم تشكل هذه الأعضاء الجهاز

---

[12] Science and Evidence for Design in the Universe San Francisco: Ignatius Press.
، (2000 .P76)

[13] براهين وجود الله ، الدكتور سامي العامري ص.598.

[14] براهين وجود الله ، الدكتور سامي العامري ص.598.

الحيوي بنفس الطريقة وجميع المعلومات مبرمجة داخل كل خلية منها بنفس الصيغة تماما، ولا يوجد أي اختلاف إلا بالأجزاء التي يقرر الإنزيم تفعيلها !!! نعم يقرر الإنزيم قراءتها وهذا سؤال آخر كيف يقرر الإنزيم قراءة جزء دون جزء اصلا وهو عبارة عن تركيب كيميائي بسيط فقط لا غير؟ كلها أسئلة لا يمكن للعلم الإجابة عنها وليس لها حل اصلا وهذا دليل قاطع لا شك فيه على استحالة نشوء الحياة بالصدفة.

يقول أحد أبرز العلماء في مجال علم الأحياء وهو العالم ستيورات كوفمان (اي شخص يخبرك بأنه يعرف علميا كيف بدأت الحياة على الأرض فهو اما أحمق أو مخادع)[15].

يتبين لك عزيزي القارئ بأن خيبة وتهافت الملحدين في موضوع نشوء الحياة لا يقل فداحة عن خيبتهم في موضوع نشوء الكون وأنهم وصلوا إلى نفس الطريق المغلق الذي توقفوا عنده هناك، إذن ماذا يتبقى لديهم؟ يتبقى لديهم الشبهات والتعلق بأدنى دليل عقلي أو حجة شبه منطقية على نفي التصميم الذكي ووجود العشوائية في أشكال الحياة وهو ما يحيلنا على نظرية التطور المعروفة والتي هي الشق الثاني من حجة الملحدين بخصوص تفسير وجود الإنسان بالدرجة الأولى وباقي الكائنات الحية وذلك على أساس دعوى: دعك من موضوع كيف نشأت الحياة، نحن لدينا تفسير علمي ونظرية تنفي الخلق المباشر للأنواع

[15] Stuart Kauffman، the Search for Laws of Self-Organization and Complexity، Oxford University Press، 31.

المختلفة، وهي نظرية التطور بجميع تفرعاتها وفرضياتها وهذا يحيلنا إلى القسم التالي وهو يتناول هذه النظرية.

نظرية التطور

التطور هو التغير في السمات الوراثية الخاصة بأفراد التجمع الأحيائي عبر الأجيال المتلاحقة. السيرورات التطورية تُحدث تنوعاً حيوياً في كل المستويات التصنيفية، بما فيها الأنواع، وأفراد الكائنات الحية، والجزيئات كال **دي أن أي** والبروتينات[16].وهذا هو التعريف الصحيح لهذه النظرية والمعتمد من جميع المجلات العلمية، وحيث انه بمقتضى التعريف يجب أن تنشأ أنواع جديدة دائما من الكائنات الحية نتيجة التغير في الحمض النووي الخاص بها وبشكل عشوائي تماما، أي ببساطة حدوث طفرات جينية متتابعة خلال فترة زمنية طويلة من توالد الأجيال المتلاحقة تشكل بمجموعها تغير كبير ينشئ لنا نوع جديد تماما من الكائنات الحية.

ويجب أن تعلم بأن هذه النظرية تلقى قبولا واسعا في الأوساط العلمية الغربية خصوصا، قد تصل في بعض الجامعات الأوروبية والأمريكية إلى أكثر من 90% من الكادر الأكاديمي في كليات العلوم في هذه الجامعات ولكن هذه الإحصائيات ليست بنفس هذه النسب في أماكن اخرى في العالم حتى الدول غير الإسلامية فهي تتفاوت بشكل كبير جدا وتأخذ صفة العقيدة الدينية أو الايديولوجيا اكثر منها كنظرية علمية، اما اسباب قوة هذه النظرية ومبررات قبولها على نحو واسع من هؤلاء العلماء الغربيين فتتلخص بما يلي:

[16] Hall & Hallgrímsson 2008، pp. 4–6.

اولا: عملية التكيف أو الانتقاء الطبيعي للأنواع الحية بشكل عام وإمكان ملاحظة نتائج هذه العملية لكثير من الكائنات الحية وإثبات حصولها مخبريا في الآونة الأخيرة.

ثانيا: تراتب الأنواع الحية ضمن تصانيف محددة تتشابه في بعض السمات المشتركة بينها فتجد ممالك محددة للكائنات الحية مثل مملكة النبات ومملكة الحيوان ومملكة الفطريات وباقي الممالك الأخرى وترى هذه الممالك تتفرع إلى تصنيفات مختلفة لتصل إلى الأنواع في نهاية السلسلة.

ثالثا: اكتشاف الأحافير المستحاثات للكائنات الحية في طبقات الأرض وإثبات أن الانواع الحيوية تنشأ في أزمنة مختلفة من التاريخ الحيوي لكوكب الأرض خلال مدة طويلة (أكثر من 500 مليون عام) وليس دفعة واحدة.

جميع هذه الأسباب هي تمثل حقائق مثبتة علميا ولا مجال للإختلاف حولها، ولكن الخلاف في الاستنتاجات التي تتبلور نظرية التطور حولها، وهي في وجود أصل مشترك قديم لجميع الكائنات الحية ومنه تتفرع الممالك المختلفة ثم تتفرع هذه الممالك بدورها إلى فصائل وهكذا دواليك حتى تصل إلى الأنواع الموجودة حاليا أو الأنواع المنقرضة، مشكلةً ما يطلق عليه شجرة الحياة في وسط العلماء التطوريون، وكل ذلك يحصل بناء على حدوث الطفرات الجينية العشوائية المتلاحقة لهذه الأنواع كما وضحنا أعلاه.

يمكن تشبيه هذا الخلاف بموضوع المؤمنين بأن الأرض مسطحة وأن الشمس هي التي تدور حول الأرض، وحيث أن الملاحظات البديهية تدعم توجههم بحيث

يرى الراصد شروق الشمس وحركتها بإتجاه الغرب إلى أن تغيب في الأفق وكذا يرى انبساط الأرض والصحاري والبحار إلى المدى الذي يصل إليه بصره، فيقطع هذا الراصد بصحة أن الأرض مسطحة وأن الشمس هي التي تدور حول الأرض، على خلاف الواقع الذي تثبته جميع الحقائق العلمية والعملية (تصوير الأرض من الفضاء ومراقبة دوران الأرض حول محورها لحصول الليل والنهار) الذي يثبت كروية الأرض وثبات الشمس بالنسبة للأرض (الشمس وجميع الكواكب في المجموعة الشمسية تتحرك مجتمعةً في مدار حول مركز مجرة درب التبانة ولكن لا أثر لهذه الحركة على كوكب الأرض سواء في تعاقب الليل والنهار أو تعاقب الفصول)، وأن حركة الأرض حول محورها هي سبب شروق وغروب الشمس بما لا شك فيه.

والآن في ضوء المثال السابق، دعنا نناقش هذه الأسباب من ناحية الإستنتاجات التي بنت عليها نظرية التطور ومدى تطابقها مع ما يمكن إثباته على الواقع سواء نظريا أو عمليا:

أولا: بما يخص الانتقاء الطبيعي يجب أن ننتبه جيدا إلى الفروق الجوهرية بين التطور ومستلزماته ونتائجه وبين التكيف أو الإنتقاء الطبيعي الناتج عن فرز الكائنات المتكيفة في الطبيعة باستمرار، وان صحة وجود التكيف والانتقاء الطبيعي داخل النوع الواحد والمظاهر أو النتائج المترتبة عليه، لا يعني التغير في المادة الوراثية للكائنات الحية لتنتج أنواع مختلفة، فهذا الخلط المتعمد بين الإنتقاء الطبيعي والتطور إنما هو ابرة الحياة التي تمد هذه النظرية.

وحيث أن الانتقاء الطبيعي والذي يحصل في معظم الكائنات الحية ونتيجة لتأثر خلاياها بعوامل بيئية معينة (عند نشوء هذه العوامل البيئية الطارئة) تقوم الإنزيمات سابقة الذكر بتفعيل أجزاء من شريط الحمض النووي أو جينات خامدة في الوضع الطبيعي والتي بدورها تعطي الكائن مميزات أو افضلية تفيده في بيئته الجديدة، وهذه التكيفات الخلوية لا تنشأ في جميع الكائنات من هذا النوع والتي تتعرض لنفس هذه العوامل البيئية الطارئة، فتهلك معظمها وتبقى فقط الكائنات التي حصل لها هذا التكيف الطبيعي، فتجد مثلا الدببة القطبية تختلف عن أنواع الدببة الأخرى في اللون وسماكة طبقة الدهون تحت الجلد والحجم والسرعة بما يلائم البيئة التي تعيش فيها بشكل يضمن لها البقاء وكذا نفس الشيء في أنواع الذئاب أو الكلاب أو باقي الكائنات الحية ولكن بدون تغيير في الجينات الخاصة بهذه الكائنات الحية بحيث انك يمكن ان تزاوج دب قطبي مع دب رمادي مثلا بل إن هذه التكيفات موجودة في البشر أنفسهم لونا وطولا وحجما ومميزات جسدية ولا يوجد عاقل يصرح بأن للبشر انواع مختلفة أو انه لا يمكن التزاوج بين عرقين مختلفين منهم، و لمزيد من الإثبات لهذا الإختلاف الجوهري بين التطور والتكيف نعطي هذا المثال الحقيقي:

في تجربة لينسكي والتي بدأ بها في عام 1988 وذلك لعينات من (البكتيريا E. Coli)، وحيث أنه جعلها تتوالد في المختبر لتصل إلى حوالي 73000 جيل في العام 2020 [17] وحيث ان هذا العالم وفريقه يريدون البرهنة على صحة نظرية التطور من خلال ملاحظة التغيرات التي تنشأ عن الأجيال المختلفة جيلا بعد

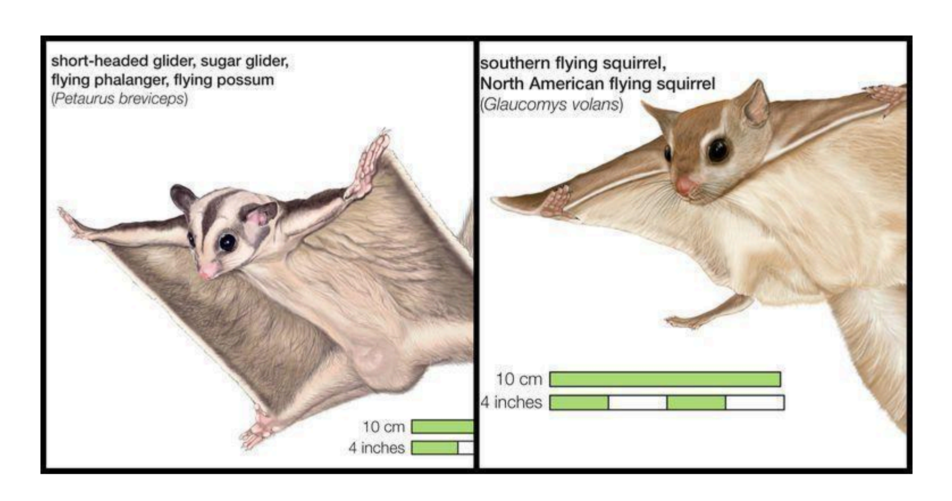
[17] Lenski، Richard E. (2020-03-09). "We Interrupt this Nasty Virus with Some Good News about Bacteria".

جيل وحيث أن عمر البكتيريا القصير وسرعة توالدها الكبيرة مقارنةً مع باقي الانواع الحية ستتيح لهم مشاهدة هذه التغيرات خلال سنوات معدودة بدل ملايين السنين اللازمة للأنواع المعقدة (حسب نظرية التطور بالطبع)، وكان من ضمن التجربة هو تقليل نسبة السكر المقدمة إليها تدريجيا وادخال السيترات بشكل تدريجي إلى الوسط الذي تعيش فيه وكانت المفاجأة بأنه بعد عدد كبير من الأجيال نشأ جيل يستطيع هضم السيترات على عكس الأجيال السابقة (البكتيريا الهاضمة للسيترات Citrate) ونشرت هذه النتائج كحدث تاريخي يبرهن صحة التطور، ولكن المفاجأة الأكبر عزيزي القارئ بأن الحقيقة خلاف ذلك تماما فعند عمل الاختبارات على هذه البكتيريا الجديدة وجدت أنها تملك نفس الجينات وبنفس الترتيب في الحمض النووي الذي لدى الأجيال السابقة، إذن ما الذي حصل؟ كل ما في الموضوع بأن الأنزيمات التي ذكرتها لك قامت بتفعيل جين خامد موجود اصلا في الحمض النووي لها والذي بدوره اعطى هذه البكتيريا ميزة جديدة مفيدة في بيئتها الغنية بالسيارات والفقيرة بالسكر وهذا هو بالضبط الإنتقاء الطبيعي الذي يمكن مشاهدته في جميع الكائنات الحية.

ونضيف إلى المثال السابق حقيقة عدم ثبوت أي تغيير جوهري في الحمض النووي لأي من الكائنات الحية المختلفة في الصفات في داخل النوع نفسه رغم جميع المحاولات لدراسة الخريطة الجينية لها بحيث يثبت امكانية تغير نوعها بمرور الزمن، وبهذا يسقط الادعاء القائم على هذا السبب تماما.

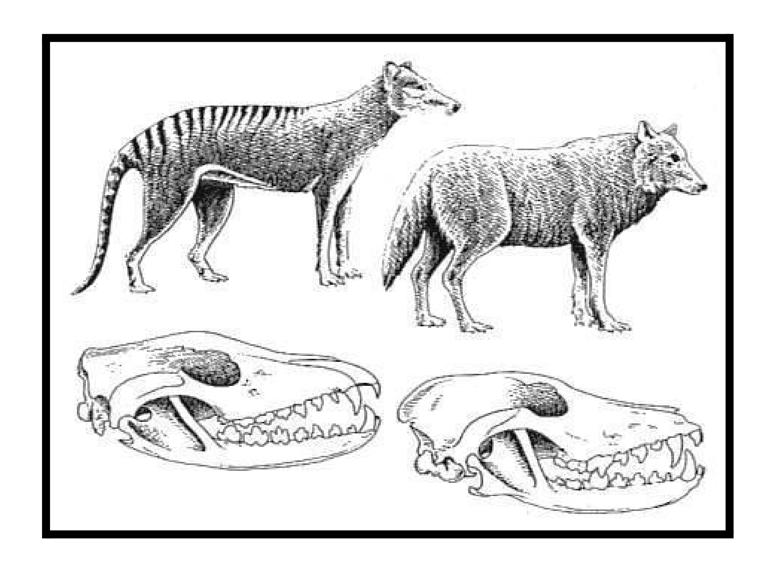
ثانيا: تراتب الأنواع الحية ضمن تصانيف محددة، وحيث يندرج تحت هذا البند الكثير من الإدعاءات والتفسيرات والتي بعضها صحيح وبعضها لا يصح ولا

يمكن إثباته، وأهم ما نورده هنا هو حقيقة أن التشابه الشكلي أو الوظيفي (التشابه المورفولوجي) الظاهر في مجموعة من الكائنات الحية لا يتوافق بالضرورة مع التشابه في الحمض النووي لهذه الكائنات بل أن هناك اختلافات جينية كبيرة بين أنواع متقاربة من ناحية الشكل والخصائص وتشابهات جينية أكبر بين أنواع بعيدة شكليا ووظيفيا بشكل غريب ومحير فمثلا يقرر العلماء بأن الثدييات الجرابية والمشيمية انفصلت عن بعضها قبل 120 – 160 مليون عام بينما تجد مثلا السنجاب الجرابي الطائر(نوع من السناجب يعيش في استراليا) والذي هو في نفس فصيلة الكنغر (كائن من الثدييات الجرابية يعيش في استراليا) وأقرب إليه في التصنيف منه إلى السنجاب الطائر الموجود في شمال أمريكا رغم التشابه الشكلي الذي يصل إلى حد التطابق في الأبعاد والصفات بل حتى الهيكل العظمي لكلا السنجابين انظر الصورة أدناه:



شكل (5) رسم طبق الأصل للسنجابين

وكذا نفس الشيء بما يخص كائنات جرابية ومشيمية اخرى مثل الذئب الرمادي الذي يعيش في أمريكا الشمالية والذي يتبع للثدييات المشيمية و الذئب التسماني الذي يتبع للثدييات الجرابية (والذي انقرض منذ ما يقارب 70 عام على يد مستعمري استراليا) انظر الصورة أدناه:



شكل (6) الهيكل العظمي للذئبين متشابه لحد التطابق مقارنة بأي نوع مختلف عنهما

وكذا نفس الشيء لمعظم الثدييات الجرابية الأخرى مثل الخلد الجرابي و المشيمي والفأر الجرابي والمشيمي والنمور المسيفة وغيرها من النمور. والتطوري يريد ان يقنعك ان الفيل والإنسان أقرب لهذه الكائنات المشيمية من مثيلتها ونظيرتها الجرابية التي تتطابق معها من الناحية المورفولوجية بشكل كبير يصل إلى حد التطابق!!!

بل حتى التشابه الجيني (genotype) للثديات الجرابية والمشيمية غير متسق أيضا فتجد تشابه الكنغر الجرابى بالحصان المشيمي كبير من ناحية (genotype) وأقرب إليه من سائر أقربائه المفترضين من الثدييات المشيمية.

طبعا هناك عشرات الدراسات المتخصصة والتي تتناول الإختلافات والتشابهات في الجينات نفسها، بحيث تأخذ جين معين وتدرس وجوده في الفصائل المختلفة وتقارن وجوده في الفصائل الأقرب من الناحية المورفولوجية والأبعد، وفي كثير من الأحيان تكون هذه الجينات موزعة بشكل عشوائي على طول وعرض شجرة التصنيف المورفولوجية لتثبت مجددا عدم وجود التسلسل الجيني المفترض انه يصاحب التسلسل المورفولوجي لنرى ماذا يقول اهل الاختصاص و التطوريون أنفسهم بهذا الخصوص[18]:

في عام 2009، نشرت مجلة نيو ساينتيست على غلاف مجلتها تقرير بعنوان (لماذا كان داروين مخطئًا بخصوص شجرة الحياة) والذي ورد فيه (بدأت تلك المشكلة في مطلع 1990 عندما أصبح من الممكن القيام بعملية تسلسل لجينات البكتيريا والبكتيريا القديمة بدلًا من ال RNA فقط، وتوقع الجميع أنّ قياس تسلسلات الحمض النووي سيؤكد الشجرة المبنية على RNA فنجح ذلك مرات وفشل في أغلب الأحيان. فعلى سبيل المثال، قد يشير تحليل ال RNA إلى أنّ الكائن (أ) أقرب إلى الكائن (ب) من الكائن (ج)، ولكن الشجرة المبنية على الحمض النووي تشير إلى العكس)[19].

---

[18] ترجمة الاستاذ اشرف قطب، الباحثون المسلمون.

[19] Lawton، Graham “Why Darwin was wrong about the tree of life”، New Scientist (January 21، 2009).

ويشير التقرير ايضًا إلى أنّ الأبحاث تشير إلى أنّ تطور الحيوانات والنباتات لا يشبه الشجرة، وتوضح ما حدث عندما حاول عالم الأحياء الدقيقة (مايكل سيفانين) بناء شجرة تظهر العلاقة التطورية بين مجموعة متنوعة من الحيوانات باستخدام ألفين جين، وهو عدد كبير للدراسة كان من المفترض أن يخرج بنتائج دقيقة للغاية حسب السيناريو الشجري المفترض. لكن يا للأسف، يقول التقرير (لقد فشل! المشكلة أنّ الجينات المختلفة تحكي سيناريوهات تطورية متناقضة؛ حيث كانت الجينات ترسل إشارات مختلطة، ما يقرب من 50% من الجينات كان لديها تاريخ تطوري واحد، والـ 50% الأخرى لديها تاريخ آخر مختلف. كان من الصعب جدًا وضع البيانات في شجرة واحدة قالها سيفانين بأسف (لقد أبدنا للتو شجرة الحياة)[20].

هذا النوع من التضارب هو ما دفع عالم الكيمياء الحيوية التطوري فورد دوليتل إلى أن يقول (التطور السلالي الجزيئي قد فشل في إيجاد الشجرة الحقيقية، ليس بسبب عدم ملاءمة الطريقة العلمية أو اختيار الجينات الخاطئة، وإنما يرجع ذلك إلى أنّ تاريخ الحياة لا يمكن أن يمثّل في شجرة بشكل ملائم)[21].

وبالمثل ايضًا، تشير إحدى الدراسات التي تمت في 2009 إلى أنّ التحدي الرئيسي في دمج هذه الكميات الكبيرة من المعلومات في الاستدلال بأشجار

---

[20] Doolittle، W. Ford (1999) “Phylogenetic Classification and the Universal Tree، ” Science، 284:2124-2128.

[21] Doolittle، W. Ford (1999) “Phylogenetic Classification and the Universal Tree، ” Science، 284:2124-2128.

الأنواع هو أنّ (تاريخ الأنساب المتضاربة في كثيرٍ من الأحيان موجود في جينات مختلفة في جميع أنحاء الجينوم)[22].

وخلصت دراسة أخرى ايضًا في دورية الجينوم على مستوى البروتينات في مجموعات حيوانية مختلفة إلى أنّ (البروتينات المختلفة تقوم ببناء أشجار فيلو جينية مختلفة)[23].

وفي دورية Nature في مقالةٍ نُشرت في يونيو 2012 أفادت بأن (أجزاءًا صغيرة من الـ RNA تسمى micro RNA's تمزق الأفكار التقليدية حول شجرة الحياة الحيوانية) بالإضافة إلى ذلك، تصف الدراسة قول عالم الأحياء كيفن بيترسون، والذي يدرسmicro RNA's (لقد نظرت إلى آلاف من مورثات الـ microRNAs ولا يمكنني العثور على مثالٍ واحد يدعم شجرة الحياة التقليدية. وطبقًا للمقال فإنّ الـ microRNAs تعطي مخططاتٍ مختلفة للثديات، واحدة منها أنّ البشر أقرب إلى الأفيال من القوارض، ويقولها بيترسون بصراحة أنّه لا يخفي على ايّ أحد أنّ الـ microRNAs تعطي شجرة مختلفة تمامًا عما يريده الجميع)[24].

---

[22] H. Degnan، James and A. Rosenberg، Noah (2009) "Gene tree discordance، phylogenetic inference and the multispecies coalescent، " Trends in Ecology and Evolution، 24 (2009): 332-340.

[23] Arcady R. Mushegian، James R. Garey، Jason Martin، and Leo X. Liu، "Large-Scale Taxonomic Profiling of Eukaryotic Model Organisms: A Comparison of Orthologous Proteins Encoded by the Human، Fly، Nematode، and Yeast Genomes، " Genome Research، 8 (1998): 590-598.

[24] Elie Dolgin، "Rewriting Evolution، " Nature، 486: 460-462 (June 28، 2012).

حاولت دراسة أخرى ايضًا نُشرت في مجلة ساينس أن تقوم ببناء شجرة للعلاقات التطورية بين الحيوانات، ولكنها خلصت إلى أنّه (على الرغم من كمية البيانات واتساع نطاق تحليل الفئات، ما تزال العلاقات بين معظم شعب الحيوانات دون حل)[25].

وجاءت اعترافات مثيرة عن المشكلات في إعادة بناء شجرة الحياة ايضًا من ورقة في مجلة PLOS Biology، حيث جاء فيها (ينتج جزءٌ كبيرٌ من الجينات المنفردة أشجارًا ذات جودة فقيرة مع ملاحظة أنّ إحدى هذه الدراسات استبعدت 35٪ من الجينات المنفردة من مصفوفة البيانات الخاصة بها، لأنّ تلك الجينات أنتجت أشجار نشوء تتعارض مع الأشجار المعتادة – وتقترح الورقة أنّ بعض الأجزاء الحرجة من شجرة الحياة قد يكون من الصعب حلها، بغض النظر عن كمية البيانات المتاحة)[26]، وتؤكد الورقة أنّ الاكتشاف المتكرر للشجيرات التي لم تُحل بعد سوف تجبرهم على إعادة تقييم عدة افتراضات واسعة النطاق للأنظمة الجزيئية.

بل ويا لخيبة الأمل، حتى في العائلة الواحدة تُخيّب الشجرة آمالهم، إذ حاولت دراسة حساب شجرة التطور لما يقرب من 23 نوعًا من أنواع الخميرة باستخدام 1070 جين، ثم كرروا الحساب لكل جين بشكل فردي فنتج لديهم 1070 شجرة مختلفة، ولم تتطابق ولا واحدة من هذه الـ 1070 شجرة التسلسل المفترض.

[25] Antonis Rokas، Dirk Krueger، Sean B. Carroll، “Animal Evolution and the Molecular Signature of Radiations Compressed in Time، ” Science، Vol. 310:1933-1938 (Dec. 23، 2005).
[26] Antonis Rokas & Sean B. Carroll، “Bushes in the Tree of Life، ” PLoS Biology، 4(11): 1899-1904 (Nov. 2006).

يقول الباحثون بمنتهى الأسى (كان هناك صفر تطابق، نحن نحاول معرفة العلاقات الشجرية لـ 1.8 مليون نوع، ولا يمكننا حتى تصنيف 23 نوعًا من الخميرة!!!)[27].

وتصف دراسة أخرى هذه المعضلة قائلةً (كلما تعلمنا أكثر عن جينومات الكائنات، كلما قل الشكل الشبيه بالشجرة التاريخية التطورية المفترض)[28].

وخلصت دراسة أخرى في دورية Trends in Ecology and Evolution إلى أنّ (الأشجار التطورية من جينات مختلفة في كثير من الأحيان لديها أنماط تفرعات متضاربة)[29].

وتخبرنا دراسة أخرى في دورية Genome biology and evolution أنه (كلما تراكمت تسلسلات مشاريع الجينوم تصبح مجموعات البيانات الجزيئية هائلة وفوضوية، حيث إنّ غالبية مساقات الجينات تقدم توزيعات تصنيفية غريبة متفرقة، وتاريخ تطوري متضارب)[30].

وتعترف دراسة أخرى قائلةً (في هذه الورقة، قمنا بفحص إشارات الشجرة الفيلوجينية لأربع مجموعات من البيانات لكي نعالج سؤالًا بسيطًا ألا وهو: هل

[27] Salichos L، Rokas A، (2013) "Inferring ancient divergences requires genes with strong phylogenetic signals"، Nature، 497(7449):327-31.
[28] Bapteste et al.، "Networks: expanding evolutionary thinking، " Trends in Genetics، 29 (2013): 439-41.
[29] Degnan and Rosenberg، "Gene tree discordance، phylogenetic inference and the multispecies coalescent، " Trends in Ecology and Evolution، Vol. 24:332-40 (2009).
[30] Leigh et al.، "Evaluating Phylogenetic Congruence in the Post-Genomic Era، " Genome Biology and Evolution، Vol. 3: 571-587 (2011).

تدعم الأشجار الفيلوجينية للجينات المتماثلة فرضية الشجرة حقًا؟ وبالتالي تبرر محاولات إعادة إعمار تلك الشجرة؟ قد لاحظنا أنّه لا يوجد تاريخ موحد مشترك يمكن أن ينشأ عن هذه الجينات المتماثلة وتخبرنا الدراسة أنّه (من الناحية العملية، أُثبت محاولات بناء شجرة الحياة أنها عمل ممل، تحليلات علم الوراثة لدينا لا تدعم التفكير الشجري).[31]

وتشير دراسة أخرى إلى أنّ (التضاربات بين الشجرات المبنية على المورفولوجيا (التشابهات الهيكلية أو الشكلية) مقارنةً بالشجرات الجزيئية، بل وبين الشجرات المبنية من مجموعاتٍ مختلفة من التسلسلات الجزيئية قد أصبحت واسعة الانتشار مع توسع قواعد البيانات بسرعة في محتوياتها حول الصفات والأنواع.

إنّ التضاربات بين الشجرات المبنية على مجموعات مختلفة من الصفات جد منتشرة، وإنّ التضارب الفيلوجيني قد أصبح مشكلة حادة مع تقدم قواعد البيانات المبنية على الجينومات الكاملة. أكّدت هذه القواعد الكبيرة أنّ التضاربات الفيلوجينية أمر شائع، وفي كثيرٍ من الأحيان فإنّ التضارب هو العادة وليس الشذوذ)[32].

[31] Bapteste E1، Susko E، Leigh J، MacLeod D، Charlebois RL، Doolittle WF (2005)، "Do orthologous gene phylogenies really support tree-thinking?" BMC Evol Biol. 2005 May 24; 5:33.

[32] Dávalos، L. M.، Cirranello، A. L.، Geisler، J. H.، & Simmons، N. B. (2012). Understanding phylogenetic incongruence: lessons from phyllostomid bats. Biological reviews of the Cambridge Philosophical Society، 87(4)، 991–1024.

بسبب هذا السيل من التضاربات والتناقضات، نشرت دورية Nature تقريرًا بعنوان (العظام أو الجزيئات أو كليهما) حول تلك التضاربات حيث يصف التقرير أنّ الفوارق بين الأشجار المورفولوجية والجزيئية تؤدي إلى حروبٍ تطورية، لأنّ الأشجار التطورية المبنية من خلال المستوى الجزيئي لا تشبه غالبًا تلك المبنية على الشكل المورفولوجي. يقول التقرير(الأشجار التطورية التي شُيّدت من خلال الدراسات الجزيئية في كثير من الأحيان لا تشبه تلك التي شُيّدت بناءًا على المورفولوجيا) ونقلًا عن العلماء التطوريين باترسون وويليامز وهمفريز علماء المتحف البريطاني يقول التقرير، لقد وصلوا إلى الاستنتاج التالي في استعراضهم للتطابق بين أشجار النشوء الجزيئية والمورفولوجية (كعلماء مورفولوجيا ذوي آمالٍ كبيرة في العلم الجزيئي، فإننا ننتهي من هذا المسح مع تضاؤل آمالنا. إنّ التطابق بين التسلسلات الجزيئية بعيد المنال كما هو الحال في المورفولوجي، وكما هو الحال بين التشابه الجزيئي والمورفولوجي)[33].

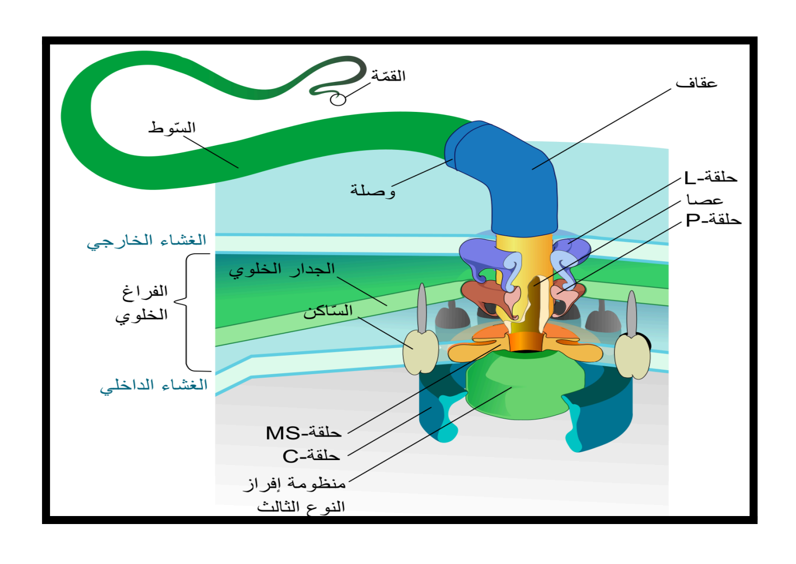
وفي النهاية فإن التفسير لهذا التشابه المورفولوجي الأقرب للمنطق برأينا هو حقيقة أن هذه الأنواع بحاجة إلى التعايش فيما بينها وتتغذى بعضها على بعض فتراتب الكائنات الحية في سلاسل غذائية يستلزم التشابه فيما بينها جينيا ووظيفيا، بل حتى في التكوين الكيميائي للخلايا المكونة لها، وفي النهاية هذا سؤال عن حكمة وعلة الخالق فيما خلق وليس سؤال علمي يمكن القطع بإجابته أو معرفته.

[33] Trisha Gura، "Bones، Molecules or Both?" Nature، Vol. 406:230-233 (July 20، 2000).

ثالثا: الأحافير والمستحثات وظهور انواع وفصائل مختلفة في ازمنة مختلفة، ان هذه الحجة تتشابه مع الحجة السابقة في الإعتماد على موضوع التشابه الموروفولوجي للكائنات الحية ولكنها تضيف متغير آخر وهو ظهور هذه الأنواع في فترات زمنية مع اختلاف في درجة التعقيد في الفترة الأولى من عمر الحياة على كوكب الأرض، طبعا هنا يجب ان نؤكد بأن تفسيرنا لهذه الملاحظة يتمثل في حقيقة ان الخالق لم يخلق جميع الكائنات الحية في نفس الوقت واننا ندعي بأنه خلق انواع حية جديدة خلال العمر الحيوي لكوكب الأرض وكذا كما في البند السابق لسنا هنا بمحل الإجابة عن علة ذلك أو عن حكمة الخالق أو عن أي سؤال من هذا القبيل، إنما نحن هنا للرد على استنتاجات التطوريين على هذه الملاحظات وبيان فساد هذه الإستنتاجات وعوارها الشديد، ونبدأ بالرد أولا على دعوى امكانية تطور الأنواع البسيطة من الكائنات الحية إلى انواع معقدة واحتمالية ذلك وأفضل الحجج بنظري هو مبدأ التعقيد الغير قابل للإختزال (Irreducible complexity) والذي يدحض احتمالية أي عملية تحول لعضو أو جهاز في الكائن الحي مهما بلغت درجة بساطته (حتى لو خلية واحدة مثل البكتيريا) بشكل جزئي متدرج للوصول إلى تشكيل جهاز ذو وظيفة مفيدة للكائن الحي باي شكل من الأشكال، يعني لمزيد من التوضيح لو اخذنا جهاز الدوران الموجود في الانسان والحيوانات فإنه يتكون من قلب ورئتين وأوردة وشرايين وشعيرات دموية وكلى وغيرها فلا يمكن مثلا أن تنشأ الشرايين نتيجة طفرة جينية وتضل في جسم الكائن الحي إلى ان تحدث طفرة جينية اخرى بالصدفة تنشئ الأوردة، وتبقى الأوردة والشرايين معلقة في جسم الكائن الحي إلى ان تنشئ طفرات جينية كثيرة متلاحقة القلب بتصميمه المعقد وهكذا دواليك

حتى الوصول إلى تكوين جهاز متكامل قادر على العمل ويفيد الكائن الحي بعد عدة ملايين من السنوات!!!.

وأفضل مثال على مبدأ التعقيد الغير قابل للإختزال بنظري هو البكتيريا ذات السوط بحيث انه يأخذ جزء بسيطا للغاية من كائن وحيد الخلية يمكن تقسيم اجزائه إلى المركبات الأساسية بكل سهولة، وحيث أن السوط في هذا النوع من البكتيريا رغم التشابه بينه وبين الأهداب الموجودة في أنواع مختلفة من الكائنات الدقيقة إلا أنه أعقد بكثير في الوظيفة والتركيب بحيث انه يشابه تماما الموتور (المحرك الكهربائي) في تصميمه ووظيفته الدورانية فهو كما المحرك الكهربائي يحتوي على الروتر والستيتر والوصلات ومصدر الطاقة وانزيمات تعنى بالتحكم في سرعته وقوته واتجاه الدوران، ويتفوق على المحرك الكهربائي من صنع البشر بأنه أعلى كفاءة بمئات الأضعاف من ناحية نسبة الوزن إلى القوة (Power to weight ratio) أي تخيل محرك بحجم حبة البندق يجر سيارة شحن!!!، انظر الشكل أدناه:



الشكل (7) مخطط تفصيلي لمكونات سوط البكتيريا

كما تم عمل تجارب عدة من قبل باحثين لقياس قوة وسرعة هذا المحرك وكانت النتيجة ان سرعته تصل إلى 42000 لفة في الدقيقة وكفاءة تحويله للطاقة تقترب من حد الكمال (100%) كما في الإقتباس ادناه:

‘A single BFM in Escherichia coli can output a power of ca. 1.5 × 105 pN nm s−13 and rotate at ca. 300 Hz (18 000 rpm)4 while the BFM in Vibrio alginolyticus can rotate as fast as ca. 700 Hz (42 000 rpm)، 5 which is nearly triple the 15 000 rpm of a modern Formula 1 racer. Additionally،while man-made machines suffer from energy loss due to heating،the BFM operates at

near 100% efficiency of energy conversion from ion transit to motor torque"[34].

يقول داروين في كتابه أصل الأنواع (اذا كان من الممكن إثبات وجود أي عضو معقد لا يُرجَّح أن يكون قد تكَّون عن طريق تحولات عديدة ومتوالية وطفيفة، فسوف تنهار نظريتي انهياراً كاملاً)[35]، وهذا السوط الذي يتكون من 240 نوع من البروتينات مثله مثل المحرك الكهربائي تماما لا يمكن أن يعمل ابدا بفقد أي من أجزائه المبينة سابقا، ناهيك عن فكرة عدم قدرة البكتيريا على النجاة بدون وجوده أو فقد أي جزء من أجزاءه، وهنا نحن نستشهد فقط بهذه الحقيقة الصارخة، ولم نتطرق إلى فكرة أن هذا المحرك على مستوى من الدقة والكفاءة بما لم تصل إليه احدث التكنولوجيا لدى البشر وامكانية ان يصدق عاقل بأن محرك سيارة تسلا موديل أس الكهربائية لا يمكن أن ينشأ من الصدفه وهذا المحرك البالغ الدقة والذي يفوقه تطورا وكفاءة وتعقيدا يمكن أن ينشأ من طفرات عشوائية عبثية!!!

بعد هذا المثال والذي يبين استحالة ظهور عضو في غاية الضآلة لواحدة من ابسط الخلايا الحية وهي هذه البكتيريا بمحض الصدفة فكيف تريد أن تثبت تحول كائن من الرخويات الذي يحتوي على ملايين من الخلايا إلى فصيلة مختلفة كمفصليات الأرجل مثلا كما يدعي دعاة نظرية التطور في شجرتهم المزعومة!!!، على الرغم من ذلك سوف نستمر في إيراد الأدلة على فساد

[34] J. Xing، F. Bai، R. Berry، G. Oster، Proc. Natl. Acad. Sci. USA 2006، 103، 1260.

[35] كتاب أصل الأنواع، تشارلز داروين

فرضياتهم تماما، كما وضحنا سابقا فإن حجة ظهور الأنواع الجديدة لا تستقيم لهم إلا إذا تم الإثبات بوجود تسلسل دقيق في الأحافير والمستحاثات لهذه الكائنات الحية بحيث نرى الإختلافات الطفيفة في جينات هذه الكائنات الحية في طبقات الأرض بشكل متراتب ومنطقي والآن ما الذي يقوله علماء المستحاثات والعاملين في هذا المجال[36].

يقول عالم الجيولوجيا التطوري (David Kitts):

(على الرغم من الوعد المتفائل بأن علم الحفريات سوف يقدم وسيلة لرؤية التطور، فإنه قد قدم بعض الصعوبات البغيضة للتطوريين، وأكثرها شدة هو وجود فجوات في السجل الأحفوري، فالتطور يتطلب أشكالاً وسطية بين الأنواع، وعلم الحفريات لا يوفر ذلك؛ ولذلك فإن الفجوات هي سمة السجل الأحفوري)[37].

ويقول عالم الأحافير الشهير (Niles Eldredge) عن السجل الأحفوري:

(نحن علماء الحفريات قلنا دائمًا أن تاريخ الحياة يدعم قصة التغير الدارويني التدريجي بتراكم التكيفات، ونحن نعلم طوال الوقت أنه لا يدعمها)[38].

ويقول التطوري (Ronald R. West):

(على عكس ما يكتبه معظم العلماء، فإن سجل الأحافير لا يدعم نظرية داروين،

---

[36] ترجمة الاستاذ اشرف قطب، الباحثون المسلمون

[37] Kitts، David B.، 1974، Paleontology and Evolutionary Theory، Evolution، Vol. 28، No. 3.

[38] Eldredge، Niles، 1985، Time Frames: Evolution of Punctuated Equilibria، Princeton University Press، pp.144.

لأننا نستخدم تلك النظرية لتفسير السجلات الحفرية، ولذلك نحن مذنبون بالوقوع في الاستدلال الدائري حين نقول إن السجل الأحفوري يدعم هذه النظرية)[39].

ويقول التطوري الشهير (Ernst Mayr):

(وفقا للتطور، فإنه من المتوقع أن توثق الحفريات التغير التدريجي المطرد بين الأجداد والأحفاد (الكائنات وأسلافها) ولكن هذا خلاف ما تظهره الحفريات، وبدلًا من ذلك، وجدنا ثغرات في كل سلاسل تطور السلالات)[40].

ويقول عالم الأحافير الشهير (Stephen Gould):

(جميع علماء الحفريات يعلمون أن السجل الأحفوري يحتوي على القليل جدًا من الأشكال الوسيطة، والانتقال بين المجموعات الرئيسية مفاجئ وحاد على نحو مميز)[41].

ويقول ايضاً:

(المحبط في السجل الأحفوري أنه ليس لدينا أية أدلة تجريبية للاتجاهات المطردة في تطور معظم التغيرات المورفولوجية المعقدة)[42].

ويقول زميله (Niles Eldredge) ايضاً:

(تنبأ داروين بأن الأجيال القادمة من علماء الحفريات من شأنها أن تملأ هذه الفجوات في السلاسل الانتقالية من خلال البحث الدؤوب، لكن أصبح من

---

[39] West، Ronald R.، 1968، Paleontology and Uniformitarianism، Compass، May 1968، p. 216.
[40] Mayr، Ernst، 2001، What Evolution Is، p.14.
[41] Gould، Stephen J.، 1980، The Panda's Thumb، p. 189.
[42] Gould، Stephen J. and Eldredge، Niles، 1988، "Species Selection: Its Range and Power"، p. 19.

الواضح تمامًا أن السجل الأحفوري لن يؤكد هذا الجزء من تنبؤات داروين؛ فالسجل الأحفوري يبين ببساطة أن هذا التوقع كان خاطئا)[43].

ويقول عالم الجيولوجيا البريطاني الشهير (Georg Neville):

(لا حاجة للتحجج مجددا بفقر السجل الأحفوري؛ لأنه قد أصبح غنيا بشكل قوي، ورغم ذلك فإن سجل الحفريات لا يزال مكونًا من الفجوات)[44].

ويقول عالم الأحافير (David M. Raup):

(بدلا من رصد ظهور تدريجي للحياة، فإن الجيولوجيين من زمن داروين وحتى وقتنا الحاضر وجدوا أن سجل الأحافير متفاوت للغاية وغير متسق مع النهج المفترض، حيث تظهر الأنواع في السجل بشكل مفاجئ جدا، وتبدي درجة ضئيلة أو معدومة من التغير أثناء تواجدها في السجل الأحفوري)[45].

ويقول التطوري (Douglas J. Futuyma):

(مما لا شك فيه، فإن السجلات الأحفورية وفرت بيانات قليلة مخيبة للآمال لرسم شجرة تدريجية، ولا تزال غير قادرة على توثيق أصول العديد من المجموعات الأحيائية على الإطلاق)[46].

هذه المشاكل والمعضلات في السجل الأحفوري الذي لا يدعم على الإطلاق فكرة شجرة الحياة ولا تطور الكائنات عبر (سلف مشترك واحد ولا حتى أسلاف

---

[43] Eldredge، Niles، 1984، The Myths of Human Evolution، pp.45-46.
[44] George، T. Neville، 1960، "Fossils in Evolutionary Perspective، " Science Progress، vol. 48، pp. 1-3.
[45] Raup، David M.، 1979، "Conflicts Between Darwin and Paleontology، " Bulletin، Field Museum of Natural History، vol. 50، p. 23.
[46] Futuyma، D.، 1983، Science on Trial: The Case for Evolution، p. 190-191.

متعددة) لخصها تقرير مجلة (New Scientist) في عددها الصادر في يناير 2009 والذي كان عنوانه (لماذا كان داروين مخطئًا بخصوص شجرة الحياة) والذي جاء فيه:

(لفترة طويلة كان الكأس المقدس للتطور هو بناء شجرة الحياة، ولكن هذا المشروع اليوم قد أصبح في حالة يرثى لها، وقد أردته الأدلة السلبية إلى جثة هامدة)[47].

وبهذا نختم ردودنا على نظرية التطور ونثبت بما لا يدعو للشك بإنفراد تفسير التصميم الذكي كالخيار المنطقي والعلمي الوحيد على نشوء الحياة بالدرجة الأولى وعلى تصميم جميع الكائنات الحية على مختلف أنواعها، سواء كانت هذه الكائنات بسيطة في التكوين أو على اعلى درجات التعقيد، وهنا نثبت مجددا قدرة الخالق اللامحدودة وصفات لازمة لهذا الإثبات مثل صفة الاختيار والقصد والعلم والذكاء الكلي.

[47] Lawton، Graham، 2009، “Why Darwin was wrong about the tree of life، ” New Scientist (January 21، 2009).

لا يوجد أي سبب مادي يجعل من هذا الكتاب المكون من الأوراق المصنوعة من عجينة الخشب والحبر المصنوع من الأصباغ الكيميائية له أي قيمة أكثر من ورقة شجر ساقطة تعوم على سطح الماء أو حتى عن حفنة من الرمل في صحراء مقفرة، وإنما قيمة هذا الكتاب وغيره هي في كونه يخاطب عقل الإنسان الذي وضعت فيه القدرة على صناعة الكلمات والكتابة لكي يستطيع مخاطبة العقول الأخرى ومن ثم التفاعل معها، بل ومراكمة المعرفة والبناء عليها للأجيال اللاحقة من أصحاب هذه العقول.

إن قصور النظرة المادية والتي تفسر وجود الظواهر والأحداث وفق النظرة الطبيعية عن فهم الظاهرة الإنسانية اليوم هي الحقيقة التي لا تقبل الجدال، فمنذ مطلع القرن التاسع عشر حاول الفلاسفة والمفكرون الغربيون مثل فرويد ونيتشه وغيرهم أن يضعوا تفسيرا ماديا لجميع الظواهر الإنسانية من عقل وإدراك وارادة وعاطفة وتفاعل اجتماعي بحيث يتم وضع قواعد وقوانين تفسر تصرفات الإنسان وتتنبأ بها دائما كما هو الحال في الظواهر الطبيعية، فأنت تستطيع تفسير تعاقب الليل والنهار بدوران الأرض حول محورها وتتنبأ بأنها سوف تشرق مجددا عند غيابها في الوقت المحدد لها دائما.

وكذلك في جميع الظواهر الطبيعية حتى التي بحاجة إلى دراسة أعمق وحسابات اعقد فإنها في النهاية لن تخرج عن نطاق السبب والنتيجة والقوانين الفيزيائية

التي تحكم الطبيعة، ولكن يظل تفسير ظاهرة الإنسان هي المعضلة التي لم ولن يستطيع العقل المادي تفسيرها وفق أي قانون طبيعي أو تفسير مادي يؤطر لها.

فبعد أن استطاع الإنسان سبر أغوار علوم البيولوجيا، ومعرفة مكونات الإنسان المادية من اجهزة حيوية واعضاء وخلايا وجينات تحتوي المعلومات والتصميم الفيزيائي لهذا الإنسان أصبح بإمكانه تفسير وظائف هذه الأعضاء والأجهزة والخلايا وطريقة عملها بل اصبح لديه معرفة واسعة بأسباب الأوجاع والأمراض والأعطال التي تصيب هذه الأعضاء ومعرفة سبل إصلاحها سواء بالأدوية والمستحضرات الكيميائية أو بالعلاجات الفيزيائية.

ولكن ماذا عن العقل أو العواطف أو الإرادة أو معرفة الذات (الأنا) هل تم اكتشاف جزء من الجسم يكون مسؤولا عن الحزن أو السعادة أو الإيمان أو الغضب، وضعت في البداية بعض النظريات التي تحاول تجاوز هذه المعضلة والتي تستند بالدرجة الأولى على دراسة الدماغ البشري والذي هو أعقد جزء مادي في جسم الإنسان، فوجود ملايين الخلايا العصبية المتشابكة والتي تطلق آلاف الشحنات الكهربائية قد يكون ضالة هؤلاء الماديين في تفسير هذه الظواهر الإنسانية المعقدة، وهنا يجب أن نحيل القارئ على تجربة العالم الشهير الدكتور ويلدر بنفيلد في هذا الخصوص[48] وذلك من خلال عمليات جراحية أجراها هذا العالم على أدمغة ما يربو على ألف مريض في حالة الوعى وملاحظات بنفيلد حول وظيفة الدماغ ، وقد شرع في بحوثه الرائدة في الثلاثينات من هذا القرن

[48] كتاب العلم في منظوره الجديد، روبرت م.أغروس جورج ن.ستانسيو، ص 34 - 41.

غير أن الآثار الكاملة المترتبة على اكتشافه لم تتضح إلا حين نشر كتابه المسمى (لغز العقل).

إن بعض أنواع الصرع قابلة للعلاج عن طريق الجراحة فبعد أن يبنج الجراح المريض تبنيجا عاما، ويزيل بطريقة جراحية جزءا من جمجمته لتعرية الدماغ يعيد المريض إلى وعيه ونظرا لانعدام الإحساس في الدماغ نفسه يستطيع الجراح أن يستكشفه بواسطة الالكترود (القطب الكهربائي) وأن يحدد مستعينا بالمريض موقع الخلايا التي تسبب النوبات الصرعية وأن يزيل هذه الخلايا .

وفي عام 1933 اكتشف بنفيلد بمحض الصدفة أن تنبيه مناطق معينة في الدماغ بالكهرباء تنبيها خفيفا يحدث استرجاعا فجائيا للذاكرة عند المريض الواعي وعندها ساورت بنفيلد الشكوك أول الأمر، ثم أخذته الدهشة فعندما لامس الالكترود قشرة مخ مريض شاب تذكر هذا الشاب أنه كان جالسا يشاهد لعبة بيسبول في مدينة صغيرة و يراقب ولد صغير يزحف تحت السياج ليلحق بجمهور المتفرجين وهناك حالة لمريضة أخرى سمعت آلات موسيقية تعزف لحنا من الألحان ويروى بنفيلد هذا الخبر فيقول اعدت تنبيه الموضع نفسه ثلاثين مرة محاولا تضليلها وأمليت كل استجابة على الآلة الطابعة وكلما أعدت تنبيه الموضع كانت المريضة تسمع اللحن من جديد وكان اللحن يبدأ دائما في المكان نفسه.

وكان المرضى يحسون دائما بالدهشة لتذكر الماضى بمثل هذه التفاصيل الحية ويفترضون على الفور أن الجراح هو المسؤول عن تنبيه الذاكرة التي ما كانت تتاح لولاه وكان كل مريض يدرك أن التفاصيل هي من واقع تجاربة الماضية

وكان من الواضح أن الأشياء التى كان قد أولاها عنايته هى وحدها التى أودعها في محفوظات دماغه.

وكان بنفيلد من وقت لآخر يحذر المريض أنه سينبه دماغه، ولكنه لا يفعل ذلك وفي مثل هذه الحالات لم يكن المريض يذكر أي ردود فعل إطلاقا.

ثم إن ملامسة المنطقة الخاصة بالنطق في الدماغ تؤدي إلى فقدان مؤقت للقدرة على الكلام (الحبسة) عند المريض ونظرا لانعدام الإحساس في الدماغ فالمريض لا يدرك أنه مصاب بالحبسة إلا عندما يحاول أن يتكلم أو يفهم الكلام فيعجز عن ذلك ويروى بنفيلد ما حدث ذات مرة (أخذ أحد المساعدين يعرض على المريض صورة فراشة ووضعت انا الالكترود (القطب الكهربائي) حيث كنت أفترض وجود قشرة المخ الخاصة بالنطق فظل المريض صامتا للحظات ثم يطقطق بأصابعه كما لو كان غاضبا ثم سحبت الالكترود فتكلم في الحال وقال (الآن أقدر على الكلام إنها فراشة لم اكن قادرا على النطق بكلمة (فراشة) فحاولت أن أنطق بكلمة (عثة)).

لقد فهم الرجل بعقله الصورة المعروضة على الشاشة وطلب عقله من مركز الكلام في دماغه أن ينطق بالكلمة التى تقابل المفهوم الماثل في ذهنه وهذا يعنى أن آلية الكلام ليست متماثلة مع العقل ، وإن كانت موجهة منه فالكلمات هي أدوات تعبير عن الأفكار ، ولكنها ليست الأفكار ذاتها وحين عجز المريض عن التفوه بالكلمة لانسداد الكلام عنده استغرب وأمر بالبحث عن اسم شيء مشابه هو (العثه) وعندما فشل ذلك أيضا طقطق بأصابعه غضبا (إذ إن هذا العمل الحركى لا يخضع لمركز الكلام) وأخيرا عندما انفتح مركز الكلام عند

المريض شرح تجربته الكاملة مستخدما كلمات تناسب أفكاره وقد استنتج بنفيلد أن المريض حصل على كلمات من آلية الكلام عندما عرض مفاهيم ونحن نستطيع الاستعاضة عن ضمير الغائب في عملية الاستبطان هذه بكلمة عقل فعمل العقل ليس عملا آليا.

وتوصل بنفيلد إلى نتائج مماثلة في مناطق الدماغ التي تضبط الحركات (عندما جعلتُ أحد المرضى يحرك يده بوضع الإلكترود على القشرة الحركية في أحد نصفي كرة دماغه كنت أسأله مرارا عن ذلك وكان جوابه على الدوام (أنا لم أحرك يدى ولكنك أنت الذي حركتها) وعندما انطقته قال (أنا لم أخرج هذا الصوت أنت سحبته منى).

وهذه الحركات اللاإراديه تشبه إجفال ساق المريض لنقرة خفيفة بمطرقة الطبيب وكلنا يدرك أن مثل هذه الحركات ليست أفعالا إرادية ويلخص بنفيلد ذلك بقوله (إن الالكترود يمكن أن يخلق عند المريض أحاسيس بسيطة متنوعة كأن يجعله يدير رأسه أو عينيه أو يحرك أعضاءه أو يخرج أصواتا وقد يعيد إلى الذاكرة إحساسا حيا بتجارب ماضية، أو يوهمه بأن التجربة الحاضرة هى تجربة مألوفة أو أن الأشياء التى يراها تكبر وتدنو منه ولكن المريض يظل بمعزل عن كل ذلك وهو يصدر أحكاما على كل هذه الأمور وربما قال (إن الأشياء تكبر) ولكنه يستطيع مع ذلك أن يمد يده اليسرى ويقاوم هذه الحركة).

ونتيجة مراقبة مئات المرضى بهذه الطريقة ينتهي بنفيلد إلى أن عقل المريض الذي يراقب الموقف بمثل هذه العزلة والطريقة النقدية لا بد من أن يكون شيئا

آخر يختلف كليا عن فعل الأعصاب اللاإرادي ومع أن مضمون الوعي يتوقف إلى حد كبير على النشاط فالإدراك نفسه لا يتوقف على ذلك.

وباستخدام أساليب المراقبة هذه استطاع بنفيلد أن يرسم خريطة كاملة تبين مناطق الدماغ المسؤولة عن النطق والحركة وجميع الحواس الداخلية والخارجية غير أنه لم يكن في المستطاع تحديد موقع العقل أو الإرادة في أي جزء من الدماغ فالدماغ هو مقر الإحساس والذاكرة والعواطف والقدرة على الحركة، ولكنه فيما يبدو ليس مقر العقل أو الإرادة.

ويعلن بنفيلد أنه ما من عمل من الأعمال التي نعزوها إلى العقل قد ابتعثه التنبيه بالالكترود أو الإفراز الصرعى ويضيف قائلا (ليس في قشرة الدماغ أي مكان يستطيع التنبيه الكهربائى فيه أن يجعل المريض يعتقد أو يقرر شيئا و الالكترود يستطيع أن يثير الأحاسيس و الذكريات غير أنه لا يقدر أن يجعل المريض يصطنع القياس المنطقي، أو يحل مسائل في الجبر بل إنه لا يستطيع أن يحدث في الذهن أبسط عناصر الفكر المنطقي والإلكترود يستطيع أن يجعل جسم المريض يتحرك ولكنه لا يستطيع أن يجعله يريد تحريكه إنه لا يستطيع أن يكره الإرادة فواضح إذن أن العقل البشرى و الإرادة البشرية ليس لهم أعضاء جسدية).

وبناء على ما تقدم لا ترى النظرة الجديدة استحالة في تأثر الإرادة في المادة ويشرح اكلس ذلك فيقول (تعلمت بالتجربة الثابتة أننى بالتفكير والإرادة أستطيع أن أتحكم بأفعالي إذا شئت ذلك وليس في وسعي أن أفسر تفسيرا علميا كيف يستطيع التفكير أن يؤدى إلى الفعل ، ولكن هذا العجز يأتى مصداقا لكون علوم

الفيزياء والفسيولوجيا في وضعها الراهن بدائية للغاية وأعجز من أن تتصدى لهذه المهمة العسيرة وحين يؤدى التفكير إلى الفعل أجدني مضطرا كعالم متخصص في الأعصاب إلى افتراض أن تفكيرى يغير بطريقة تستعصي على فهمى تماما أنماط النشاط العصبي التي تؤثر في دماغي وهكذا يصبح التفكير يتحكم بشحنات النبضات الناشئة في الخلايا الهرمية الشكل للقشرة الحركية في دماغي كما يتحكم آخر الأمر بتقلصات عضلاتى والأنماط السلوكية الناشئة منها).

فإذا كانت الإرادة البشرية غير مادية فليس مما ينافي العقل أن تتصرف بغير طرق المادة أي بحرية إختيار ومن ثم فالنظرة الجديدة لا ترى في الاعتراف بإستقلال الإرادة فينا أي مجانبة للأسلوب العلمي ويخلص من ذلك إلى أنه ليس هناك إذا أسباب علمية وجيهة لإنكار حرية الإرادة، والتي لا بد من افتراض وجودها إذا أردنا أن نتصرف كباحثين علميين، بل إن إنكار حرية الإرادة يجعل من العلم كله أمرا منافيا للعقل فعلى العالم ألا يسأل ما هو الصحيح ؟ بل ما هو الذي نحن مهيئون لاعتقاده ويقول الفيزيائي كارل فون فايتز ساكر (الحرية شرط من شروط التجربة فأنا لا أستطيع أن أجرى التجارب إلا حين لا يكون فها فعلي وتفكيري محكومين بالظروف والحوافز والعادات، بل بحرية اختياري).

زد على ذلك أن النظرة الجديدة لا ترى في قدرة العقل على توجيه انشطة الدماغ أمر مستحيلا ويصف عالم الأعصاب روجر سبيري الثورة الفكرية التي حدثت في علم النفس خلال السبعينات من هذا القرن والتي أحدثت إنقلابا مثيرا في معالجة الوعى فيقول (لقد قلبت المبادئ السلوكية التي سادت طوال نصف قرن

ونيف وأخذ علم النفس فجأة يعالج أحداث ذاتية كالصور الذهنية والأفكار الباطنية والأحاسيس و المشاعر و الأفكار وما إليها بوصفها عوامل ذات دور سببي حقيقي في وظيفة الدماغ وفي السلوك وأصبحت مضامين الاستبطان وعالم التجارب الداخلية كلها مقبولة على نحو فجائي كعوامل تستطيع أن تؤثر في العمليات الفيزيائية والكيميائية التي تتم في الدماغ ولم تعد تعامل بوصفها جوانب منفعلة وغير موجودة).

وينتهي روجر سبري من ذلك إلى أن الخواص المخية العليا للعقل والوعي هي التي تملك زمام الأمر فهى تكتنف التفاصيل الفيزيائية والكيميائية وتحملها وتهيمن عليها وهي التي تحدد الحركات وتتحكم نزوليا بحركة النبضات العصبية و نموذجنا الجديد أي المبدأ الذهني – هو الذي يشغل العقل والخواص الذهنية ويعطيها سبب وجودها وتطورها في نظام مادي.

إن المعرفة والقيادة تتطلبان قدرا من البعد فلا يمكن أن يكون العقل ظاهرة ثانوية مصاحبة لآلية الأعصاب إذا أريد له أن يعاين ويوجه الكل ويقول بنفيلد (أن العقل لا الدماغ هو الذي يراقب ويوجه في آن معا فالعقل هو المسؤول عن الوحدة التي نحس بها في جميع أفعالنا وأفكارنا و أحاسيسنا وعواطفنا) ويضيف اكلس (إن وحدة التجربة الواعية يتيحها العقل الواعى نفسه لا آلية الأعصاب).

ولو كان الدماغ حاسبة الكترونية بالغة التعقيد فلا بد له إذا شأنه شأن الحاسبة من أن يوجه من قبل العقل ويقول بنفيلد (إن الحاسبة الالكترونية و الدماغ هو كذلك لا بد من أن تبرمجها وتديرها قوى قادرة على الفهم المستقل)، ويحدد بنفيلد دور العقل هكذا (إن ما تعلمنا أن نسميه العقل هو الذي يركز الانتباه فيما يبدو

والعقل يعي ما يدور حوله وهو الذي يستنبط ويتخذ قرارات جديدة وهو الذي يفهم ويتصرف كما لو كانت له طاقة خاصة به وهو يستطيع أن يتخذ القرارات وينفذها مستعينا بمختلف آليات الدماغ وهكذا فإن توقع العثور على العقل في أحد أجزاء الدماغ أو في الدماغ كله اشبه بتوقع كون المبرمج جزءا من الحاسبة الالكترونية).

وبناء على الأدلة سالفة الذكر لا يرى بنفيلد أي أمل في النهج المادي للنظرة القديمة إزاء العقل فيعلن (إن توقع قيام آلية الدماغ العليا أو أي مجموعة من ردود الفعل، مهما بلغت من التعقيد بما يقوم به العقل، وبأداء جميع وظائفه أمر محال تماما) ويوافق عالم الإحياء أدولف بورتمان على ذلك فيقول (ما من كمية من البحث على النسق الفيزيائي أو الكيميائي يمكنها أبدا أن تقدم صورة كاملة للعمليات النفسية والروحية والفكرية).

كما أن بنفيلد لا يتوقع أن يقوم علم وظائف الأعضاء في المستقبل كما كانت تتوقع النظرة القديمة بإظهار انبثاق العقل من المادة فيقول (يبدو من المؤكد أن تفسير العقل على أساس النشاط العصبي داخل الدماغ سيظل أمر مستحيلا كل الاستحالة)، ولذلك فهو يرى أنه أقرب إلى المنطق أن نقول إن العقل ربما كان جوهرا متميزا ومختلفا عن الجسم.

ومن دواعى السخرية أن بنفيلد بدأ أبحاثه بهدف إثبات العكس تماما فيقول (طوال حياتى العلمية سعيت جاهدا كغيري من العلماء إلى إثبات أن الدماغ يفسر العقل)، فهو قد بدأ مسلحا بجميع افتراضات النظرة التطورية المادية غير أن الأدلة حملته آخر الأمر على الإفراد بأن العقل البشري و الإرادة البشرية

حقيقتان غير ماديتين ويعلن بنفيلد (يا له من أمر مثير إذا ، أن نكشف أن العالم يستطيع بدوره أن يؤمن عن حق بوجود الروح)، وإذا كان العقل والإرادة غير مادتين فلا شك أن هاتين الملكتين على حد تعبير اكلس (لا تخضعان بالموت للتحلل الذي يطرأ على الجسم والدماغ).

إن هذه التجربة وغيرها من التجارب تثبت مجددا عجز التفكير المادي الغربي عن إعطاء أي تفسير طبيعي للظاهرة الإنسانية ككل، ولا تعدو محاولاتهم عن كونها نظريات فارغة لا تستند إلى أي دليل من العلم التجريبي، وفي ضوء هذه الحقيقة سنحاول الآن أن نفسر بعض جوانب هذه الظاهرة الإنسانية والتي تخص موضوعنا مع محاولة عدم الخوض في تعقيدات فلسفية متكلفة أو الاستنتاجات المعقدة المتعلقة بها.

الإدراك

في البداية سنتناول ظاهر الإدراك وما يتعلق بها من إستنتاجات، والإدراك هو عبارة عن تمثل حقيقة الشيء عند المدرِك، فهو عبارة عن كمال حاصل في النفس، يحدث منه مزيد كشف على ما يحصل في النفس من الشيء المعلوم من جهة التعقل بالبرهان أو الخبر، وهذا الكمال الزائد على ما حصل في النفس بكل واحدة من الحواس هو المسمى إدراكاً.

وما يهمنا في موضوع الإدراك بأنه هنالك حقيقتين تتعلق به وهي محل العلم والمعرفة: هذا المحل له قابلية للإدراك واستيعاب العلوم والمعلومات، وهذه القابلية هي استعداده وتهيؤه لذلك فسمي المحل (ذهنا). وهذا المحل هو الوسيلة

والأداة والآلة ومحل الفاعل، ولها متعلق بالجارحة وهي القلب من خلال بطئ وسرعة نبضه والانفعالات التي تظهر على الجسم بشكل عام.

والمحل الثاني فيه القوة أو مقتضى الفعل: وهي الملكة والغريزة، وهي المتهيئة للفعل والعمل والنشاط والحركة، تصدر عنها صفات ذاتية فعندنا (فاعل)، و(مفعول به)، والعلاقة بينها حال وقوعها تسمى (فعل)، وكي يقع (الفعل) من (الفاعل) على (المفعول به) يلزم قوة. وهي كامنة في (الفاعل) المستعد للفعل، ولكن لا يوجد فعله بعد.

إذا كان هذا الإدراك بطبيعته ونتائجه إنما يؤدي إلى الفعل القاصد الذي لا يستند في كثير من الأحيان عند الإنسان إلى رغبة فطرية أو مصلحة مادية للكائن الحي الطبيعي كما هو في الحيوانات التي تقوم بالتزاوج والإفتراس و العناية بصغارها لمصلحة حفظ النفس والنسل، وكما في النبات الذي تنمو جذوره بحثا عن الماء وتنمو أغصانه بحثا عن ضوء الشمس لضرورة البقاء، بينما تجد الإنسان بإدراكه ينتج الأدب والفنون والشعر وغيرها من الأفعال التي لا مسوغ مادي أو مصلحة فطرية لها، وإنما هي من نواتج إيداع قدرة الإدراك فيه، ومحل الشاهد هنا بأن النظر في الإيمان بوجود الخالق وألوهيته وعلاقته بالإنسان إنما هو ممكن نتيجة وجود هذا الإدراك عند الإنسان.

فجميع هذه المسائل لن يكون لها أي معنى للكائن غير المدرك، وكما أن تصرف المدرك بفعله القاصد ايضا أكثر حجية وبرهانا على هذه المسألة فالمؤمن الذي يتحمل التعذيب أو القتل في سبيل إيمانه لا يمكن تفسير فعله هذا باي مصلحة مادية بل على النقيض من ذلك فهو إنما يعارض بهذا الفعل وجوده وبقاء نفسه،

ولولا وجود القابلية الفطرية (أي إيداع الخالق في نفس الإنسان الولاء للأفكار) لما أمكن حدوث ذلك أبدا.

ولكي يكتمل الفهم بهذه النتيجة نعطي مثالا على ذلك وهو نشوء اللغة وحيث أن اللغة هي أصوات مختلفة متراتبة تنتج معنا مفهوما لدى الإنسان إذا تم مخاطبته بها، فإختراع اللغة لن يكون له أي قيمة لولا وجود الآلة التي يمكن أن تصدر هذه اللغة من أحبال صوتية دقيقة في التصميم ولسان ونواقل عصبية تنطلق منها إلى مكان مخصص في الدماغ لإعطاء الأوامر بالكلام وكذا في الجهاز المستقبل لهذه الأصوات، من أذن وطبلة وناقل عصبي ينقل الإهتزازات والأصوات إلى مكان مخصص في الدماغ يحلل هذه الأصوات، فلولا وجود هذه الآلات الدقيقة لما كان لوجود اللغة أي قيمة بل لما وجدت اصلا، فيحصل بذلك التكامل بين وجود الآلة نفسها وتشغيلها عن طريق صدور الكلام وتلقيه.

العاطفة

بعد أن ناقشنا الإدراك فإننا سوف نذهب إلى ظاهرة أخرى من الظواهر البشرية وهي ظاهرة العاطفة، والعاطفة هي مجموعة من المشاعر والأحاسيس التي لا يمكن تفسيرها بالمنطق العقلي والتي قد يتصرف الإنسان وفقا لها بدون أن يكون قادرا على تبرير هذه التصرفات سواء من ناحية المصلحة المادية أو نتيجة للخيارات الفكرية الناتجة من الإدراك سابق الذكر. فقد ترى الإنسان يصفح عن الإساءة الفيزيائية إليه رغم معارضة ذلك لكل من المصلحة المادية المجردة والحق الذي يثبت له في القانون القائم على العقل.

فوجود هذه العاطفة أشبه بالمعجزة التي لا تفسير لها، وحيث أن وجود الإنسان العاقل القادر على الفعل المقصود لا يتطلب وجود العاطفة على الإطلاق، بحيث أنك ترى تفاوتا كبيرا فيها بين الأشخاص المختلفين بل إنك تشاهد شعوبا بأكملها تنخفض فيها منسوب هذه العاطفة عن شعوب أخرى، ومحل الشاهد هنا بأن وجود هذه العواطف إنما هو ما يجعل بناء العلاقة مع الخالق ممكنا وهو ما يعطي فكرة الألوهية والعلاقة الشخصية مع هذا الخالق من حب وتعلق ورجاء وخوف وطاعة ومعصية مضمونها الحقيقي. ومثال ذلك لدينا هو وجود الألوان وعلاقة العين بها، فلولا وجود الألوان في الطبيعة لما كان هناك أي حكمة في تصميم آلة العين شديدة التعقيد والتي تحلل الضوء المنعكس من الأشياء وترسله إلى معالج اشد تعقيدا في الدماغ يحلل هذه الألوان والأشكال، وفي نفس الوقت قصور آلة العين عن رؤية الألوان لن يكون له الأثر الكبير في بقاء الإنسان ونجاته، بل أنه يوجد كثير من الكائنات الحية المصابة بعمى الألوان كما في البقر، وبهذا يثبت توافق الآلة مع الوظيفة وملاءمتها للواقع بشكل مطابق تماما.

الأخلاق

وننتقل إلى المظهر الأخير من المظاهر الإنسانية الذي نتناوله هنا في هذا الجزء وهو الأخلاق، والأخلاق هي مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، والتي تحدد علاقته بغيره، فالأخلاق تحدد مفاهيم الخير والشر والحق والباطل التي لا يمكن تفسيرها وفق الفكر المادي الطبيعي الذي ينظر إلى الكون على أنه مواد وعناصر مصمتة وحركة عشوائية، فالأخلاق تتسم بالموضوعية التي تعني بأن القيم الأخلاقية قائمة بمعزل عن الإنسان ثابتة الوجود بعيدا عن

ذوق الإنسان أو عن قيم المجتمع الذي يعيش فيه وخارج حدود الأهواء البشرية فالطريق إليها هو بإكتشافها لا بإختراعها، فهي ملزمة للإنسان بطبيعتها بحيث يجد الإنسان في نفسه إقرارا بهذا الإلزام لا فكاك منه حتى لو عارض ذلك رغباته وأهوائه، بل إن الإنسان إذا فعل ما يعارض القيمة الأخلاقية تراه يتأول أفعاله ويقدم المبررات لذلك الفعل كمن يسرق فيبرر فعله بأنه كان مضطرا لذلك ليدفع عن نفسه وأولاده الجوع، فلولا الإعتراف بحقيقة عدم مشروعية السرقة كقيمة أخلاقية مطلقة ما ساق الإنسان هذه المبررات اصلا[49].

إذن فوجود هذه الأخلاق الموضوعية هي ما يجعل العطف على طفل صغير والتبسم في وجهه مختلفا عن تعذيبه وقتله وتجعل الإحسان إلى فقير أو مسكين مختلفا عن رميه بالرصاص مثلا والتنكيل بجثته فالفكر المادي الإلحادي لا يرى اختلاف بين هذه الأفعال المتضادة ابدا ولا يفرق بينها ما زالت لم تعارض قانون البقاء أو بحث الكائنات عن مصالحها، ولتقريب ذلك لك أيها القارئ فإنه من المعلوم في شريعة الغاب بأن الأسد عندما ينتصر على خصمه الذي كان قائدا لقطيع من الإناث فإن أول فعل له هو قتل أبناء الأسد المهزوم وذلك حتى تتفرغ اللبؤات للتزاوج معه وضمان بقاء نسله، إذن هذا العمل ليس شرير من وجهة النظر المادية البحتة وله مبرراته الواضحه، ولكن عند عرض هذا الفعل على معيار الأخلاق الموضوعية لدى الإنسان سيصبح هذا الفعل في غاية الرفض والإستنكار.

---

[49] براهين وجود الله - الدكتور سامي العامري- منقول بتصرف

إذن مجددا نرى هذا التنافر الشديد بين المظاهر الإنسانية وبين التفسير المادي الإلحادي لهذا الكون ونرى براهين وجود الخالق الإله الذي يتصف بصفات تلزمها هذه الحقائق المتعلقة بهذه المظاهر الإنسانية، فالخالق الذي أثبتنا له صفات القدرة والعلم والذكاء والقصد، أصبح لزاما أن يسمى الآن بالإله الذي لدينا علاقة خاصة معه والذي وضع هذه المظاهر الإنسانية لأسباب خارجة عن التفسير المادي والطبيعي لهذا الكون بحيث تؤدي هذه المظاهر الإنسانية وظيفتها في معرفة هذا الإله وتجعل من الإنسان مناطا لإستقبال التكليف، سواء بعقله وإدراكه لوجود هذا الإله والتفاعل مع معطيات هذا الوجود منطقيا أو بشعوره وإحساسه تجاهه وتجاه باقي الأشياء بما فيه أخيه الإنسان أو ببوصلته الأخلاقية الذاتية التي تستطيع التمييز بين الشر والخير وبين الحق والباطل، وهذا الإستنتاج يبطل جميع العقائد الربوبية التي تنكر ألوهية الخالق وعلاقته المباشرة مع المخلوقات وخصوصا البشر.

إن ما توصلنا له في الأجزاء السابقة لا يدور حول نقض الإلحاد وإنكار وجود الخالق ومذهب الربوبية فقط، وحيث أنه بالنسبة للعقل المنصف والموضوعي فإن أول صفحتين في هذا الجزء كفيلة بإزالة أي لبس بخصوص هذا الموضوع، بل إن تكوين فطرة الإنسان السوية لا يقبل هذه الأفكار اللامنطقية أصلا، فلا يمكن أن يتصور أي عقل مهما بالغ في الإنكار والسفسطة أن ينشأ أي شيء من العدم، يقول الإمام أبو المعين النسفي (من لم يبلغه الوحي وهو عاقل ولم يعرف ربه هل يكون معذورا أم لا؟ عندنا لا يكون معذورا ويجب عليه أن يستدل بأن للعالم صانعا)[50]، إنما نحن حاولنا استعراض أهم الأدلة العلمية والعقلية التي تثبت صفات الخالق سبحانه وتعالى، بحيث تكون هذه الأدلة بديلة عن الحجج الفلسفية والكلامية التي لطالما استخدمها الفلاسفة وعلماء الكلام المسلمين في إثبات الصفات الواجبة لله تعالى وحيث أن هذه الأدلة تستند إلى البديهيات العقلية وإلى العلم التجريبي العملي والتي يمكن أن يفهمها ويستوعبها الشخص العادي أو محدود الثقافة، وبحيث تكون حصنا له من شبهات أصحاب المذاهب الفاسدة من الملحدين والربوبيين واللا أدريين، فنحن اثبتنا بهذه الحجج والبراهين القاطعة وجود الخالق الأزلي، القائم بذاته، الممتنع المادية والجسمية والأبعاد والتغير بالزمن، الواحد غير المتعدد أو المنقسم، لا نهائي الطاقة والقوة والقدرة، قاصدا

[50] موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام صفحة 184 من الجزء الثاني

لامحدود الذكاء، كلي العلم والمعرفة، اله معبود (ذو علاقة شخصية بالإنسان)، اله مشرع (أي واضع للقيم الأخلاقية من خير وشر وحق وباطل).

وبقي أن نوزن الأديان التي يدعي أصحابها أنها من عند هذا الخالق بحسب موافقتها للوازم صفاته التي ثبتت عندنا بالنظر والعقل المحض وهنا يمكن تقسيم جميع الأديان إلى ثلاث فئات وهي:

1- الأديان التي توافق عقيدتها الفكرة الأساسية من وجود الخالق المعبود وتكون صفات معبودها توافق الصفات الواجبة ولا تناقضها في نصوصها المعتمدة أو في الخط العام من تفسيراتها وفي هذا القسم لدينا اليهودية، الإسلام، القاديانية، والبهائية.
2- الأديان التي توافق عقيدتها الفكرة الأساسية من وجود الخالق المعبود وتكون صفات معبودها توافق بشكل جزئي الصفات الواجبة للخالق مع وجود التناقضات الصريحة فيها وفي هذا القسم لدينا المسيحية والزرادشتية والسيخية والمورمون.
3- الأديان التي لا توافق عقيدتها الفكرة الأساسية من وجود الخالق المعبود أو أن صفات معبودها تخالف الصفات الواجبة بحق الخالق بشكل كامل وصارخ ويندرج تحت هذا القسم جميع الأديان الوثنية كالهندوسية و الأرواحية و الديانات الأفريقية التقليدية (التي فيها تعدد للآلهة وتجسيم للإله أو نصوص صريحة بمادية الإله) والأديان التي لا تتناول الإله أو لا تحتوي على عقيدة متماسكة وواضحة بخصوص الإله مثل البوذية، الكونفوشية، والطاوية والشنتو.

بناء على تقسيمنا السابق فنحن سنستبعد تماما الأديان التي تندرج تحت القسم الثالث وذلك لحتمية مناقضتها للمنطق والعلم، وذلك إما بسبب أنها ديانات مخترعة من قبل البشر أو لأن نصوصها الأصلية فسدت فسادا كبيرا مع مرور الزمن تسبب في تغيير رسالتها الحقيقية، ناهيك عن فكرة ان هذه الاديان لا تحتوي أي ادلة أو براهين عقلية على صحتها وهي بطبيعتها وتكوينها ليست اصلا محلا للنظر العقلي حتى تقدم دليل على صحتها.

وسنبدأ في مناقشة الديانات في القسم الأول وحيث أنها الأكثر جدارة بأن تكون من عند الخالق بحكم موافقة عقيدتها للتصور الصحيح عن صفات الخالق ولو بشكل متفاوت، ولكن يجب أولا أن نحدد معايير معينة لقبول الدين الصحيح بحيث يكون موحدا لتطبيقه على هذه الأديان وكما يلي:

1- معيار توافق رسالة الدين مع الصفات الواجبة للخالق: وهذا المعيار يتحقق من كون هذا الدين يلبي متطلبات الرسالة المتوقعة من الخالق من إظهار لصفاته الواجبة وقواعد العلاقة معه والقيم الأخلاقية الموضوعية.
2- معيار الأدلة الموضوعية: وهذا المعيار يتحقق من وجود أدلة منطقية وعقلية لا يمكن صدورها إلا من الخالق نفسه بحيث تكون هذه الأدلة متعلقة بصفاته الواجبة مثل العلم بالغيب أو المعرفة بنتائج العلم التجريبي الحديث (صفة كلي العلم) و(صفة الإمتناع عن التغير بالزمن).
3- معيار الإتساق: أي معيار مطابقة العقيدة المعتمدة في هذا الدين للنصوص المعتمدة فيه، وهذا المعيار من أصعب المعايير لما يستلزم من

تمحيص للنصوص المعتمدة في هذا الدين وقياس مدى مطابقتها للاستنتاجات التي يعلنها اتباع هذا الدين.

4- معيار حفظ النصوص الأصلية: وهذا المعيار خاص بصلاحية الدين الوقتية أي بأنه مطلوب التعبد به من قبل الخالق في الوقت الحاضر وليس برهان على كون الدين من مصدر إلهي أو إنساني.

5- معيار عدم التناقض: وهذا المعيار سيتم تطبيقه على النصوص المعتمدة في كل دين فمن لوازم صفات الخالق هو عدم التناقض بحكم صفة كلي العلم وكلي الذكاء وكلي القدرة وهذا المقياس قد لا يعني فساد أصل الدين و إنما يحيلك إلى مقياس حفظ النصوص السابق الذكر.

وبهذا نكون قد اوجدنا مقياس علمي موضوعي لقياس هذه الأديان عليه بحيث نثبت صحة الدين الواجب التعبد به بعيدا عن الآراء الشخصية والمؤثرات العاطفية التي تختلف من شخص لآخر، فحتى الأديان التي لا تمتلك أدنى المقومات المنطقية لصحتها (القسم الثالث)، ترى من اتباعها الشغف والإيمان العميق بصحتها، بل ربما تسمع عن تجارب شخصية تروي معجزات ورؤى وكشوفات روحية لأتباع هذه الديانات، ونحن بالتأكيد لن نعتد بأي منها في منهجيتنا هنا.

اليهودية

اليهودية هي ديانة الشعب اليهودي، وهي ديانة توحيدية قديمة، وأقدم الديانات الإبراهيمية، وتستند في تعاليمها على التوراة كنصها التأسيسي والتي أنزلت على موسى بحسب المعتقدات اليهودية.[51]

ومن خلال التعريف السابق يتضح لدينا عدة نقاط أولا أن مؤسس الديانة اليهودية هو شخص اسمه موسى وهو من شعب معين هو الشعب الإسرائيلي وثانيا أن موسى يدعي بأنه تلقى كتاب من الإله والذي اسمه التوراة واخيرا لدينا طبيعة العقيدة اليهودية بأن الإله واحد. هذه هي النقاط الرئيسية بما يخص الديانة اليهودية أما بالنسبة للتفاصيل فإن الديانة اليهودية تحتوي على العديد من الجوانب الأخرى وهي مثلا الرؤية المتكاملة لتاريخ الكون ففي سفر التكوين أول الأسفار في التوراة (في البدء خلق الله السماوات والأرض. وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الغمر ظلمة، وروح الله يرف على وجه المياه.)(تكوين 1: 1-2)، وكذلك وصف للتاريخ البشري ففي نفس سفر التكوين (وقال الله: «نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا، فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم، وعلى كل الارض، وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض». فخلق الله الانسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكرا وأنثى خلقهم.)(تكوين 1: 26-27)، فهذا النص يبين نشأة الكون ويبين نشأة البشر وكيف أن الإله بدأ الخليقة وحيث أن الرواية ككل تتحدث عن خلق الله لجميع الأشياء في ستة أيام وآخرها البشر كما في الإقتباس السابق، وكما أنه يجب

51 Shaye J.D. Cohen 1999 The Beginnings of Jewishness: Boundaries، Varieties، Uncertainties، Berkeley: University of California Press; p. 7.

الإشارة إلى أن التوراة ليست هي النص الديني الوحيد المعتمد لدى اليهود فبالإضافة إلى أسفار التوراة الخمسة وهي بالترتيب (التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية) والتي يؤمن اليهود بأن الإله أوحى بها إلى موسى فإن هناك أسفار أخرى (كتب) وهي ما تسمى أسفار الأنبياء والتي يؤمنون أيضا بأن الإله اوحى بها إلى سلسلة من الأنبياء المتتابعين أولهم هو يوشع بن نون وآخرهم هو يحيى بن زكريا ولكن هذه الكتب التي تبدأ بسفر يوشع وتنتهي بسفر ملاخي، لا تتسق دائما مع الترتيب الزماني لهؤلاء الأنبياء فسفر زكريا يرجعه الباحثون إلى 520 قبل الميلاد بينما الروايات التاريخية تقرر بأن النبي يحيى بن زكريا كان من معاصري عيسى الناصري الذي تم اختراع التقويم الغريغوري (التقويم الميلادي) بما يوافق ميلاده.

كما أن لليهودية كتابات قديمة تسمى التلمود، ولكن هذه الكتابات لا يدعي اليهود أنها من مصدر إلهي إنما هي اجتهادات علمائهم مع شروحات للعقيدة اليهودية وتفصيل للشرائع التي تنظم حياة المجتمع اليهودي، ولذلك لن يتم التطرق لها في هذا البحث.

بناء على الشرح الموجز السابق سوف نرى مدى توافق الديانة اليهودية مع المعايير المنهجية التي اوردناها سابقا بحيث يتم الحكم عليها وفقا للنصوص المعتمدة فيها ووفق العقيدة التي يقررها العلماء المتبعون في هذه الديانة وبحسب فهم اليهود أنفسهم لهذه النصوص:

- توافق رسالة الدين مع الصفات الواجبة للخالق: في الديانة اليهودية الإله هو الخالق الوحيد، الله وجود واحد، لا يطاق تقسيمه، ليس له كمثله

شيء، الذي هو واجب الوجود كله. يعلّم الأثر اليهودي أنه لا يقدر أن يفهم صورة الله الحق ولا أن يعرف، وأنما صورة الله المعلَن هو الذي أتى بالعالم أي بالوجود وهو الفاعل بالناس والكون. وباليهودية رب إسرائيل الواحد هو هادي العالم.

أما بما يخص عقائد اليهود في صفات الخالق فهي تختلف بين طوائفهم وخصوصا بين المتقدمين وبين المتأخرين منهم، فالثابت عندنا بأن كثير من علماء اليهود يفسرون النصوص الموجودة في التوراة على ظاهرها كوصف الخالق بأنه يجلس على العرش بحد، والتمشي في الجنة، وأن آدم خلق على صورته ووصفه بالحلول في الأرض في قصة عمود الدخان والنار في سفر الخروج وغيرها من الإعتقادات التي تنسب الجسمية والحلول في المخلوقات للرب، ويمكن تقسيم العقائد اليهودية في صفات الخالق إلى ثلاثة أقسام:

اولا: عقيدة التلموديين القدماء وهي مزيج بين التجسيم والتنزيه وفيها اضطراب واضح في النصوص فمرةً يوصف الرب بالجلوس على العرش والضحك (بقدوم الماشيح اليهودي)، والبكاء بسبب دمار الهيكل وغيرها من التفسيرات الموغلة بالتجسيم والتشبيه ومرة يوصف بأنه منزه عن كل تشبيه وتجسيم وتصفه بالتسامي عن صفات المخلوقات.

ثانيا: عقيدة الصوفية اليهودية (القبالاه) وهؤلاء يصفون الرب بالجسمية والحلول بلا شبهة، وأهم الكتب التي توضح ذلك كتاب الزوهار وكتاب الباهير المعتمدة من قبل هؤلاء المتصوفين من اليهود الغنوصيين.

ثالثا: العقيدة اليهودية العقلانية والتي يقررها أبرز علماء اليهود موسى بن ميمون وبما يُعرَف بالأصول الثلاثة عشر (بالعبرية: شلوشاه عسار عيقاريم) لليهودية، وهي أهم محاولة لتحديد عقائد الدين اليهودي استنادا على التفكير الفلسفي العقلاني، والتي وردت في مقدمة ابن ميمون لكتاب السنهدرين في كتاب السراج، وهي معتمدة لدى الخط العام لليهود اليوم على مختلف طوائفهم:

1 ـ الإله هو خالق ومدبِّر هذا الكون.

2 ـ واحد منذ الأزل وإلى الأبد.

3 ـ لا جسد له ولا تحدُّه حدود الجسد.

4 ـ هو الأول والآخر.

5 ـ على اليهودي ألا يعبد إلا إيّاه.

6 ـ كلام الأنبياء حق.

7 ـ موسى أبو الأنبياء؛ من جاء قبله ومن جاء بعده.

8 ـ التوراة التي بين يدي اليهود هي التي أُعطيت لموسى.

9 ـ التوراة غير قابلة للتغيير ولن تنسخها شريعة أخرى.

10 ـ الخالق عالم بكل أعمال البشر وأفكارهم.

11 ـ إنه يجزي الحافظين لوصاياه ويعاقب المخالفين لها.

12 ـ سيجيء الماشيَّح، وعلى اليهودي انتظاره.

13 ـ على اليهودي أن يؤمن بقيامة الموتى.

وبناء على التقسيم السابق يمكن القول بعدم تعارض فريق من أتباع اليهودية (الخط العام العقلاني) مع اللازم من صفات الخالق واجب الوجود، أما بالنسبة لوجود المعيار الأخلاقي والشريعة فنورد دليل واضح من سفر الخروج (ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلا. أنا الرب الهك الذي اخرجك من ارض مصر من بيت العبودية. لا يكن لك الهة اخرى امامي. لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن. لأني أنا الرب إلهك اله غيور افتقد ذنوب الاباء في الابناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي. واصنع احسانا إلى الوف من محبي وحافظي وصاياي. لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا لان الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلا. اذكر يوم السبت لتقدسه.)(خروج 20: 1-8)، وفيها (أكرم أباك وأمك لكي تطول ايامك على الارض التي يعطيك الرب إلهك. لا تقتل. لا تزن. لا تسرق. لا تشهد على قريبك شهادة زور. لا تشته بيت قريبك. لا تشته امرأة قريبك، ولا عبده، ولا امته، ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما لقريبك)(خروج 20: 12-17)، وفيها (فقال الرب لموسى هكذا تقول لبني اسرائيل.انتم رأيتم أنني من السماء تكلمت معكم. لا تصنعوا معي آلهة فضة ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب.)(خروج 20: 22-23)، ولكن في المقابل يوجد سقطات في المعيار الأخلاقي غير منطقية أهمها ما ورد في سفر صموئيل بالأمر بقتل الأطفال الرضع والحيوانات الذين لا ذنب لهم بسبب خطأ ارتكبه اجدادهم قبل مئات السنين (وقال صموئيل لشاول.اياي أرسل الرب لمسحك ملكا على شعبه اسرائيل.والآن فاسمع صوت كلام الرب. هكذا يقول رب الجنود. أني قد افتقدت ما عمل عماليق باسرائيل حين وقف له في الطريق عند

صعوده من مصر. فالآن اذهب واضرب عماليق وحرموا كل ما له ولا تعف عنهم، بل اقتل رجلا وامرأة. طفلا ورضيعا. بقرا وغنما. جملا وحمارا)(صموئيل الأول 15 : 1 - 3)، والتي ولا شك تتعلق بمعيار حفظ النص الأصلي كما سنورد لاحقا، كل ذلك يمكن أن يعني نجاحا جزئيا في هذا المعيار لبعض الطوائف في الدين اليهودي.

- معيار الأدلة الموضوعية: يوجد في اليهودية ذكر لعدد كبير من المعجزات المنسوبة إلى الأنبياء فيها وخصوصا النبي موسى مثل العصا التي تتحول إلى افعى وشق البحر لعبور بني اسرائيل الفارين من عدوهم فرعون مصر وكما يوجد في كتبها الكثير من النبوءات التي تتحقق في أجيال لاحقة من الأنبياء ولكن لا يمكن التأكد من أي من هذه المعجزات أو النبوءات بشكل موضوعي وذلك لعدم وجود دراسة تاريخية مستقلة عن سياق كتب اليهود أنفسهم لتحري صحة هذه النبوءات إذن بخصوص هذه النقطة الأصح علميا هو التوقف وعدم أخذ أي حكم بهذا الخصوص مع التأكيد على وجود هذه المعجزات والنبوءات في كتبهم وأن صحة حدوثها تعني حتمية المصدر الإلهي لليهودية بلا أي شك.
- معيار الإتساق: بما يخص الإتساق بين العقيدة اليهودية وبين النصوص المقدسة لديها، فسوف نجعل العقائد سابقة الذكر هي المرجع لنا ثم نسبر أغوار النص لنرى مدى توافق هذه العقيدة مع النصوص، وبداية في عقيدة وحدانية الإله (اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد)(التثنية 6: 4)، (هكذا يقول الرب ملك اسرائيل وفاديه رب الجنود انا الاول وانا

الآخر ولا إله غيري)(إشعياء 44: 6)، (انت هو الرب وحدك انت صنعت السماوات وسماء السماوات وكل جندها والارض وكل ما عليها والبحار وكل ما فيها وأنت تحييها كلها وجند السماء لك يسجد)(نحميا 9: 6)، (اسمع لي يا يعقوب واسرائيل الذي دعوته انا هو انا الاول وانا الاخر)(إشعياء 48: 12)، وآيات كثيرة أخرى لا مجال لإيرادها جميعا تتفق تماما مع العقيدة التوحيدية اليهودية. أما بخصوص صفات الإله فإنه يوجد بعض المخالفات الصريحة لبعض هذه الصفات مثلا صفة عدم المادية والجسمية (ثم صعد موسى وهرون وناداب وابيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل. ورأوا إله اسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة. ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل.فرأوا الله وأكلوا وشربوا)(خروج 24: 9-11)، وكما توجد المخالفات في نصوص أخرى أيضا ومنها النص السابق في سفر التكوين والذي يقرر بأن الإله خلق آدم على صورته ولكن يؤول معظم علماء اليهود هذه النصوص بأنها مجازية أو غير مراد ظاهرها، فيؤلون الصورة بأنها الصفات التي يتمتع بها البشر مثل الحكمة والمعرفة والإدراك والإرادة وأنها تشابه صورة الصفات المطلقة عند الإله بوجه من الوجوه، وهنا ايضا نتوقف في الحكم وفقا لهذا الإختلاف فمن جهة تتفق العقائد اليهودية مع النصوص في وجه وتختلف في وجوه أخرى وهو ما يحيلنا إلى المعيارين التاليين وهما حفظ النص الأصلي ومعيار عدم التناقض.

- بخصوص حفظ النص الأصلي وبراهينه فإنه من المعلوم تاريخيا بأن النبي موسى وجد في الفترة (ما بين 1391 - 1271 قبل الميلاد)[52] وهو ما يجعل عمر الأسفار الخمسة الأولى هو حوالي 3300 عام، أما بخصوص أقدم وثيقة تاريخية تحتوي على هذه الأسفار فهي مخطوطات البحر الميت (مخطوطات كهوف قُمران) والتي اكتشفت في القرن الماضي وتم تأريخ عمرها بأنها ترجع إلى الفترة (ما بين 200 – 100 قبل الميلاد)[53]، وهو ما يعني بأن أقدم دليل على حفظ النص التوراتي احدث من وقت كتابتها الأصلية ب 1100 عام على أقل تقدير، وهذا يعني انعدام وجود أي دليل على حفظ النص الأصلي تماما بل أن هناك نصوص تؤكد وجود الإضافة والتغيير على النص مثل النص الشهير في التثنية (فمات هناك موسى عبد الرب في ارض مواب حسب قول الرب. ودفنه في الجواء في ارض مواب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته. فبكى بنو اسرائيل موسى في عربات موآب ثلاثين يوما. فكملت أيام بكاء مناحة موسى.)(تثنية 34: 5-8)، فكيف يكتب شخص عن وفاته ومكان قبره وعزائه!!! بل الأفدح من ذلك الآية التي تلي هذه الآيات وهي الآية العاشرة من الإصحاح (ولم يقم بعد نبي في اسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجها لوجه. في جميع الآيات والعجائب التي أرسله الرب ليعملها في ارض مصر بفرعون

---

[52] موسى، الأنبا تكلا، 27 أبريل 2013. نسخة محفوظة 20 سبتمبر 2017 على موقع واي باك مشين.
[53] مكتبة الانترنيتيه لمخطوطات صحراء يهودا على أسم ليئون ليفي. مؤرشف من الأصل في 23-04-2020. اطلع عليه بتاريخ 11-05-2020.

وبجميع عبيده وكل أرضه)(تثنية 34 : 10-11)، فكيف يحكم الكاتب على أنه لم يقم بعده نبي إذا كان ذلك لم يحصل بعد وهذا ما يقطع بتحريف النص الأصلي بلا شك وفي البند اللاحق سنورد بعض من التناقضات التي تثبت هذا التحريف في النص.

- أما بخصوص التناقضات في نصوص الكتاب المقدس عند اليهود فنورد بعضا من التناقضات الأكثر صراحة والتي لا تحتمل التأويل:

1- ومنها (فقال له صموئيل يمزق الرب مملكة اسرائيل عنك اليوم ويعطيها لصاحبك الذي هو خير منك. وايضا نصيح اسرائيل لا يكذب ولا يندم لأنه ليس انسانا ليندم.)(صموئيل 15: 28-29)، وهنا يقرر النص ان الإله لا يندم ولا يكذب لأنه ليس إنسانا، ولكن في نفس السفر والإصحاح يقول (وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلا . ندمت على اني قد جعلت شاول ملكا لانه رجع من ورائي ولم يقم كلامي. فاغتاظ صموئيل وصرخ إلى الرب الليل كله.)(صموئيل 15: 10-11)، فناهيك عن كون الإله مستحيل عليه الندم لكونه يعلم المستقبل بالضرورة فإن التناقض في وصف الإله واضح جدا وصارخ.

2- ومنها (اما عرفت ام لم تسمع. اله الدهر الرب خالق اطراف الارض لا يكل ولا يعيا ليس عن فهمه فحص. يعطي المعيي قدرة ولعديم القوة يكثر شدة.)(إشعيا 40: 28-29)، وهنا الرب لا يتعب ولا يعيا اما في الخروج (هو بيني وبين بني إسرائيل علامة إلى الأبد.لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفي اليوم السابع

استراح وتنفس)(الخروج 31 : 17)، فناهيك عن فكرة تنفس واستراحة الإله المناقضة تماما لصفاته فإن التناقض في النصوص واضح جلي.

3- وفيها (لا إله قادر على كل شيء سواه)(طوبيا13: 4)، التي تثبت القدرة الكلية للإله، أما في سفر القضاة (وكان الرب مع يهوذا فملك الجبل، ولكن لم يطرد سكان الوادي لان لهم مركبات حديد.)(قضاة 1 : 19)، وهنا ناهيك عن وصف الرب بالعجز عن الإنتصار على من يملك السلاح القوي كمركبات الحديد، ولكن يظهر التناقض الصريح في وصف الرب.

4- وفيها (عينا الرب في كل مكان يترقبان الصالحين والطالحين)(الأمثال 15 : 3)، وآية أخرى تثبت العلم الكلي للإله (لا تكثروا الكلام العالي المستعلي ولتبرح وقاحة من افواهكم.لأن الرب إله عليم.وبه توزن الأعمال.)(صموئيل الأول 2 : 3)، أما في سفر الخروج (وسمعا صوت الرب الاله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الاله في وسط شجر الجنة. فنادى الرب الاله آدم وقال له: «اين انت؟». فقال: «سمعت صوتك في الجنة فخشيت، لاني عريان فاختبأت». فقال: «من أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي اوصيتك ان لا تأكل منها؟»)(تكوين 3 : 8 - 11)، وهنا ناهيك عن التشبيه الصريح بالبشر والمخلوقات بوصف الرب بأنه كان يتمشى وناهيك عن عدم

معرفة الرب بأن آدم أكل من الشجرة فإن التناقض لا يمكن رده بين النصين.

5- وفي قصة موت الملك شاول يوجد الآيات (واشتدت الحرب على شاول فأصابه الرماة رجال القسي فانجرح جدا من الرماة. فقال شاول لحامل سلاحه استل سيفك واطعني به لئلا يأتي هؤلاء الغلف ويطعنوني ويقبحوني. فلم يشأ حامل سلاحه لأنه خاف جدا. فاخذ شاول السيف وسقط عليه. ولما راي حامل سلاحه انه قد مات شاول سقط هو ايضا على سيفه ومات معه. فمات شاول وبنوه الثلاثة وحامل سلاحه وجميع رجاله في ذلك اليوم معا.)(صموئيل الأول 31: 3 - 6)، والتي تبين طريقة موته وهي الإنتحار بين رجاله أما في السفر التالي (فقال الغلام الذي أخبره اتفق اني كنت في جبل جلبوع وإذا شاول يتوكأ على رمحه وإذا بالمركبات والفرسان يشدون وراءه. فالتفت إلى ورائه فراني ودعاني فقلت هانذا. فقال لي من أنت فقلت له عماليقي أنا. فقال لي قف علي واقتلني لأنه قد اعتراني الدوار لان كل نفسي بعد في. فوقفت عليه وقتلته لأني علمت أنه لا يعيش بعد سقوطه واخذت الاكليل الذي على رأسه والسوار الذي على ذراعه وأتيت بهما إلى سيدي ههنا.)(صموئيل الثاني 31: 6 - 10)، فيقرر أنه قتل على يد هذا الغلام العماليقي وهذا تناقض لا لبس فيه.

6- وفيها ذكر في سفر التكوين أن نوح حمل اثنين من كل نوع من الكائنات الحية (ولكن اقيم عهدي معك، فتدخل الفلك أنت وبنوك

وامرأتك ونساء بنيك معك. ومن كل حي من كل ذي جسد، اثنين من كل تدخل إلى الفلك لاستبقائها معك. تكون ذكرا وأنثى. من الطيور كاجناسها، ومن البهائم كاجناسها، ومن كل دبابات الارض كاجناسها. اثنين من كل تدخل إليك لاستبقائها.)(تكوين 6: 18 - 20)، ولكن في الإصحاح التالي من نفس السفر يقول (وقال الرب لنوح: «ادخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك، لاني اياك رأيت بارا لدي في هذا الجيل. من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكرا وانثى. ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين: ذكرا وانثى. ومن طيور السماء ايضا سبعة سبعة: ذكرا وأنثى. لاستبقاء نسل على وجه كل الارض.)(تكوين 7: 1 - 3)، وهنا يمكن التأويل بالفرق بين البهائم الطاهرة وغير الطاهرة، ولكن التناقض الظاهري واضح.

7- ومن التناقضات العددية أن سفر الملوك يصرح بأن لسليمان أربعون ألف إسطبل لخيوله، فيقول: (وكان لسليمان أربعون ألف مذود لخيل مركباته، واثنا عشر ألف فارس)(الملوك الأول 4: 26). وهذا الرقم كبير جداً، خاصة مع صغر أورشليم زمن النبي سليمان، وهو على كل حال مناقض لما جاء في سفر الأيام، وفيه (كان لسليمان أربعة آلاف مذود خيل ومركبات، واثنا عشر ألف فارس)(الأيام الثاني 9: 25).

8- ومن التناقضات العددية غنائم داود التي غنمها من ملك صوبة، فيقول سفر صموئيل: (وضرب داود هدد عزر بن رحوب ملك

صوبة حين ذهب ليرد سلطته عند نهر الفرات، فأخذ داود منه ألفاً وسبع مائة فارس، وعشرين ألف راجل، وعرقب داود جميع خيل المركبات، وأبقى منها مائة مركبة)(صموئيل الثاني 8: 3 - 4)، فقد أخذ منه 1700 فارس، سوى ما أخذه من راجلته، وهذه الأرقام لا تتفق مع الأرقام التي ذكرها سفر الأيام، حين جعل الفرسان المأسورين 7000 فارس، عدا ما أخذه من راجلته، فقال: (وضرب داودُ هدر عزر ملك صوبة في حماة حين ذهب ليقيم سلطته عند نهر الفرات، وأخذ داود منه ألف مركبة وسبعة آلاف فارس، وعشرين ألف راجل، وعرقب داود كل خيل المركبات، وأبقى منها مائة مركبة)(الأيام الأول 18: 3 - 4).

9- ومن الأخطاء في سرد الأسماء (وصادوق بن أخيطوب وأخيمالك بن أبياثار كاهنين، وسرايا كاتباً)(صموئيل الثاني 8: 17)، في حين أن كاتب سفر الأيام يستبدل اسمين (أخيمالك الكاهن بأبيمالك، وسرايا الكاتب بشوشا الكاتب)، فيقول: (وصادوق بن أخيطوب وأبيمالك بن أبياثار كاهنين، وشوشا كاتباً)(الأيام الأول 18: 16).

10- ومن التناقضات العددية أعداد بني إسرائيل، ففي سفر صموئيل كان رجال إسرائيل 800000 وفي الأيام أضحوا 1100000، وفي سفر صموئيل كان رجال يهوذا 500000 رجل، فجعلهم سفر الأيام 470000 رجل، فاي السفرين أرقامه صحيحة ومن المخطئ.

11- ومن التناقضات العددية اختلاف الكثير من أعداد القادمين من السبي بحسب كل قبيلة من قبائل بني إسرائيل والذين ذكروا في كل من سفر عزرا وسفر نحميا وحتى المجموع خاطئ وهو (42360) والصحيح بأن المجموعين مختلفين وهما في عزرا (29818)، فيما عددهم حسب نحميا (31089).

12- ومن التناقضات العددية جاء في سفر الملوك (كان أخزيا ابن اثنتين وعشرين سنة حين ملك، وملك سنة واحدة) (الملوك الثاني 8: 26). وفي سفر الأيام ما يناقضه: (كان أخزيا ابن اثنتين وأربعين سنة حين ملك، وملك سنة واحدة) (الأيام الثاني 22: 2).

13- ومن التناقضات العددية الخطأ في عمر يهوياكين الذي ملك بني إسرائيل، فقد جاء في سفر الملوك (كان يهوياكين ابن ثماني عشرة سنة حين ملك، وملك ثلاثة أشهر في أورشليم)(الملوك الثاني 24: 8)، وفي سفر الأيام ما ينقضه ولا سبيل إلى الجمع، إذ يقول: (كان يهوياكين ابن ثمان سنين حين ملك، وملك ثلاثة أشهر وعشرة أيام في أورشليم)(الأيام الثاني 36: 9).

رغم وجود العشرات من التناقضات غيرها، ولكننا نكتفي بسرد هذا العدد من التناقضات الواضحة في النصوص المقدسة عند اليهود والتي تشمل كل من التوراة وكتب الأنبياء لديهم وهو ما يقطع بأنه ليس فقط النص الأصلي غير محفوظ، ولكن بأن جزء لا بأس به من النصوص المقدسة لديهم هي من اختراع البشر وكتابات المؤرخين اليهود.

وهنا فإنه يتحتم علينا القطع بعدم صلاحية الدين اليهودي في الوقت الحاضر رغم احتمال أصله الإلهي عقلا كما وضحنا سابقا.

المسيحية

نظرا للإرتباط القوي بين المسيحية وبين اليهودية نصيا وتاريخيا قررنا تناول المسيحية بعد اليهودية مباشرة وحيث أن التوراة وأسفار الأنبياء المعتمدة في اليهودية هي نفسها العهد القديم المعتمد في جميع الطوائف المسيحية، بحيث يتكون الكتاب المقدس لدى المسيحيين منها إضافة إلى رسائل بولس والأناجيل المنسوبة إلى تلاميذ عيسى الناصري المكنى بالمسيح وبعض الكتب غير معروفة المصدر (مثل الرسالة إلى العبرانيين ورؤيا يوحنا) والتي تسمى مجتمعة العهد الجديد، الذي يؤمنون بأنها جميعا وحي من الإله. وكما يجدر الإشارة إلى أن المسيحية تلي اليهودية في الأقدمية فيما يسمى الأديان الإبراهيمية الثلاثة. وباختصار فإن المسيحية قائمة على عقيدة وجود نبوءات في العهد القديم (التوراة وأسفار الأنبياء) بقدوم المسيح، وكما يعتقد المسيحيون بشكل عام بمجموعة من العقائد المرتبطة بشخص المسيح والتي أهمها هو كونه ابن الإله وأنه في نفس الوقت اله كامل وبأنه يوجد شخص آخر أيضا له صفة الألوهية وهو الروح القدس فيكون هناك ثلاثة أشخاص يكونون اله واحد متعدد الأقانيم (متعدد الأشخاص)، وثانيهما هي عقيدة الفداء وتتلخص بأن المسيح قتل على الصليب من أجل التكفير عن خطايا البشر، والثالثة هي الإيمان بالخطيئة الأصلية لآدم، ومجموعة من العقائد الأخرى والشعائر التعبدية.

والآن فإنه رغم أن المسيحية لا تفي اصلا بمواصفات الدين المنطقية التي أوردناها سابقا للعوار الشديد في العقيدة الأساسية التي بنيت عليها، ولكن نظرا لانتشار المسيحية بشكل كبير في العالم وخصوصا في الوقت الحالي، تطلب الخوض في نصوصها واستعراض الأدلة الموجودة في هذه النصوص ومن ثم محاكمة هذه النصوص طبقا للمعيار الذي تم وضعه في بداية هذا الجزء.

- توافق رسالة الدين مع الصفات الواجبة للخالق: كما أثبتنا في الأجزاء السابقة فإن الخالق يجب أن يتصف ببعض الصفات اللازمة للمسبب الأول، والتي تجعله إله في الدرجة الأولى والحق أنه يوجد شخص في المسيحية يوافق هذه الصفات كما في اليهودية وهو الآب (الأقنوم الأول) وحيث أن نصوص العهد الجديد تعلي من قدسية وصفات الآب وكذا آباء الكنيسة الأوائل والتيار العام في الدين المسيحي، وكما توجد طائفة صغيرة نسبيا وهي طائفة شهود يهوه تعتبر الآب هو الإله الوحيد ولا تؤمن بعقيدة الثالوث التي تؤمن بها أغلب الطوائف المسيحية الأخرى، ولكن لا يمكن إعتبار هذه الطائفة ممثلا عن المسيحية فالطوائف الرئيسية التي لها أكبر الأتباع هي على الترتيب الكاثوليكية والتي يمثلها بابا الفاتيكان والأرثوذكسية والتي تتواجد في أوروبا الشرقية والشرق الأوسط وروسيا والبروتستنتية وهي طائفة منشقة عن الكاثوليكية ومعظم اتباعها من عرق الأنجلوساكس (البريطانيين والاستراليين وسكان أمريكا الشمالية) بالإضافة إلى بلدان شمال أوروبا وجميع هذه الطوائف تشترك بالعقائد الرئيسية الثلاثة التي تم ذكرها سابقا.

وكما تجدر الإشارة إلى أن المسيحية في بدايتها لم يكن يؤمن أتباعها بعقيدة التثليث سابقة الذكر، ولكن بعد مئات السنين من اختفاء المسيح وتحديدا في عام 325 بعد الميلاد عُقد مجمع نيقية بناء على تعليمات من الإمبراطور قسطنطين الأول لدراسة الخلافات في كنيسة الإسكندرية بين آريوس وأتباعه من جهة وبين الكسندروس الأول وأتباعه من جهة أخرى حول طبيعة يسوع هل هي نفس طبيعة الرب أم طبيعة البشر.

أنكر آريوس أزلية المسيح فاعتقد بأنه كان هناك وقت لم يكن المسيح موجودا فيه، واعتبره رفيعاً بين مخلوقات الله ومِنْ صُنْعِهِ، كما اعتبر أن الروح القدس من صُنْعِ الله أيضا. بينما أكد الكسندروس الأول (بابا الإسكندرية) على أن طبيعة المسيح هي من نفس طبيعة الله وتغلب رأي الكسندروس الأول (بابا الإسكندرية) بالاقتراع ورفض آريوس وإثنين من القساوسة بإصرار التوقيع وحرقت كتب آريوس وسمي مذهبه ببدعة آريوس ووصم أتباعه إلى اليوم بلقب أعداء المسيحية.
وبهذا يكون لدينا عقيدتين لنفس الدين وهي العقيدة الأولى والعقيدة الثانية أما الأولى فهي توافق هذا المعيار بحيث أن الآب هو الإله الوحيد وتتفق صفاته مع صفات الإله واجب الوجود ولكن العقيدة التثليثية الثانية لا يمكن أن تنجح في هذا المعيار وحيث أن الإله كلي العلم كلي القدرة اللامحدود لا يمكن أن يكون إنسان ضعيف يقتل على أيدي الرومان كما حصل مع المسيح بإدعاء النصوص المسيحية ويمكن حتى إيراد ادلة على نقض المسيح نفسه لهذه الصفات من نصوص العهد الجديد بكل

صراحة وهي في إنجيل مرقس (واما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما احد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب.)(مرقس 13: 32)، فهنا ينفي عن نفسه وعن الروح القدس صراحتا العلم بالساعة ويثبتها لشخص الآب فقط وهو ما يعارض صفة كلي العلم.

وفي إنجيل مرقس ايضا (فدخل يسوع أورشليم والهيكل، ولما نظر حوله إلى كل شيء إذ كان الوقت قد أمسي، خرج إلى بيت عنيا مع الاثني عشر. وفي الغد لما خرجوا من بيت عنيا جاع، فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق، وجاء لعله يجد فيها شيئا. فلما جاء اليها لم يجد شيئا الا ورقا، لانه لم يكن وقت التين. فأجاب يسوع وقال لها: «لا يأكل أحد منك ثمرا بعد الى الابد!». وكان تلاميذه يسمعون.)(مرقس 11: 11-14)، ناهيك عن حاجته للطعام ومعارضة ذلك لصفة (الإله الغني القائم بذاته)، ولكن مجددا يخالف صفة كلي العلم فالمسيح يجهل عدم وجود الثمر على الشجرة بل حتى يجهل وقت موسم التين!!!.

وفي إنجيل لوقا (والرجال الذين كانوا ضابطين يسوع كانوا يستهزئون به وهم يجلدونه. وغطوه وكانوا يضربون وجهه ويسألونه: «تنبأ! من هو الذي ضربك؟» واشياء اخر كثيرة كانوا يقولون عليه مجدفين.)(لوقا 22: 63-65)، لا يمكن اهانة وضرب الإله كلي القدرة، بل إن مثل هذه الآيات تنسف عقيدة المسيحية تماما، لأن نصوصهم نفسها تنفي عنه كل لوازم الألوهية.

لن نسترسل كثيرا في هذا المعيار وحيث أن الخلاصة هي بأن العقيدة الأولى للمسيحية قد توافق بشكل كبير هذا المعيار، ولكن العقيدة الثانية

والتي هي الغالبة حاليا تناقض كل تفسير منطقي وبرهان عقلي أو علمي لصفات الخالق.

- معيار الأدلة الموضوعية: كما في اليهودية تنسب النصوص المسيحية عددا من المعجزات التي تبرهن على صحة نبوة المسيح (في النصوص أن المعجزات من الآب) كما في إنجيل يوحنا (فانزعج يسوع ايضا في نفسه وجاء إلى القبر، وكان مغارة وقد وضع عليه حجر. قال يسوع: «ارفعوا الحجر!». قالت له مرثا، اخت الميت: «ياسيد، قد انتن لان له اربعة ايام». قال لها يسوع: «ألم أقل لك: ان امنت ترين مجد الله؟». فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا، ورفع يسوع عينيه إلى فوق، وقال: «ايها الاب، اشكرك لأنك سمعت لي، وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي. ولكن لاجل هذا الجمع الواقف قلت، ليؤمنوا أنك أرسلتني». ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم: «لعازر، هلم خارجا!» فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات باقمطة، ووجهه ملفوف بمنديل. فقال لهم يسوع: «حلوه ودعوه يذهب».)(يوحنا 11 : 38 - 44)، وهنا تبين أن المعجزة حصلت من الآب وليس من ذاته. وفي سفر أعمال الرسل يقول المؤلف («ايها الرجال الاسرائيليون اسمعوا هذه الاقوال: يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم، كما أنتم ايضا تعلمون.)(اعمال الرسل 2: 22)، وهنا يؤكد على أن المعجزات صنعها الله على يد المسيح.

ولكن جميع هذه المعجزات المذكورة لا يمكن البرهنة عليها بشكل موضوعي لإنعدام الدليل من خارج هذه النصوص الدينية أما بما يخص النبوءات فإنه توجد نبوءات لم تتحقق في النص المقدس المسيحي في الوقت المخصص لها وهي مجيء المسيح مجددا أو قيام الساعة كما وعد في إنجيل متى («وللوقت بعد ضيق تلك الايام تظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوات السماوات تتزعزع. وحينئذ تظهر علامة ابن الانسان في السماء. وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ويبصرون ابن الانسان اتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير. فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الاربع الرياح من اقصاء السماوات إلى اقصائها. 32 فمن شجرة التين تعلموا المثل: متى صار غصنها رخصا واخرجت اوراقها تعلمون ان الصيف قريب. هكذا انتم ايضا متى رأيتم هذا كله فاعلموا انه قريب على الأبواب. الحق اقول لكم: لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله. السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول.)(متى 24: 29 - 35)، وقد مضى 2000 عام ومضى الجيل ومئات الأجيال بعده، ولا شيء حصل!!!.

إما بخصوص النبوءات عن ظهور شخص المسيح في العهد القديم فهي كثيرة ولكن مجددا جميعها تدعم العقيدة الأولى للمسيحية (العقيدة التوحيدية) وحيث أن النبوءات تتنبأ بظهور نبي أو ملك وليس اله أو شخصية الهيه، نورد من هذه النبوءات في إشعياء (ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله ويحل عليه روح الرب روح

الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب. ولذته تكون في مخافة الرب فلا يقضي بحسب نظر عينه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه. بل يقضي بالعدل للمساكين ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض ويضرب الأرض بقضيب فمه ويميت المنافق بنفخة شفتيه. ويكون البر منطقة متنيه والامانة منطقة حقويه)(اشعياء 11 : 1- 5)، وفي نفس السفر (ما اجمل على الجبال قدمي المبشر المخبر بالسلام المبشر بالخير المخبر بالخلاص القائل لصهيون قد ملك إلهك.)(اشعياء 52 : 7)، وكما يوجد نبوءات أخرى لا تنطبق على حياة المسيح فهي تتنبأ بملك عظيم وشخص ذو سلطة أو مخلص للشعب اليهودي يجلبهم من الشتات ويبني لهم مملكة في أرض الميعاد (فلسطين وفق النظرة اليهودية) وكما في سفر إشعياء (ويكون في ذلك اليوم ان اصل يسى القائم راية للشعوب اياه تطلب الامم ويكون محله مجدا ويكون في ذلك اليوم ان السيد يعيد يده ثانية ليقتني بقية شعبه التي بقيت من اشور ومن مصر ومن فتروس ومن كوش ومن عيلام ومن شنعار ومن حماة ومن جزائر البحر. ويرفع راية للامم ويجمع منفيي اسرائيل ويضم مشتتي يهوذا من اربعة اطراف الارض.)(اشعياء 11 : 10- 12)، ويوجد نبوءات اخرى تحتمل عدة تفسيرات وليست واضحة بأنها تتعلق بشخص المسيا اليهودي.

- معيار الإتساق: في هذا المعيار تكسر المسيحية كل قواعد الفكر المنطقي والعقلاني فناهيك عن عوار العقيدة التثليثية الشديد والمخالف لكل

الصفات اللازمة للخالق فإنها أيضا تخالف النصوص الخاصة بها صراحة وبشكل يثير الاستغراب، فعقيدة الثالوث ليست موجودة في أي نص من نصوص الكتاب المقدس الذي يعتمدونه بل أن هناك نصوص صريحة تنقض عقيدتهم تماما نورد منها ما يلي:

1- تصريح المسيح بعقيدته الشخصية (فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسنا سأله: «اية وصية هي أول الكل؟» فأجابه يسوع: «إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد. وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك. هذه هي الوصية الاولى. وثانية مثلها هي: تحب قريبك كنفسك. ليس وصية اخرى أعظم من هاتين». فقال له الكاتب: «جيدا يا معلم. بالحق قلت لانه الله واحد وليس اخر سواه.)(مرقس 12 : 28 - 32)، وهنا يؤكد المسيح توحيد الإله كما هو في العقيدة اليهودية تماما.

2- نفي المسيح الألوهية عن أي أحد غير الآب (نقض ألوهيته وألوهية الروح القدس)(تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء وقال: «أيها الآب، قد أتت الساعة. مجد ابنك ليمجدك ابنك ايضا، اذ اعطيته سلطانا على كل جسد ليعطي حياة ابدية لكل من أعطيته. وهذه هي الحياة الابدية: ان يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته. أنا مجدتك على الأرض. العمل الذي اعطيتني لاعمل قد اكملته.)(يوحنا 17 : 1-4).

3- استنجاد المسيح المصلوب (وفق العقيدة المسيحية) بالإله عندما كان على الخشبة (ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة. ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا: «ايلي ايلي لما شبقتني» (اي: الهي الهي لماذا تركتني؟))(متى 27 : 45-46).

4- تأكيد المسيح بأن الآب هو إلهه كما هو اله التلاميذ بل وتأكيده بأنه أب التلاميذ كما هو ابوه (مساواة نفسه والتلاميذ في العلاقة مع الآب)(قال لها يسوع: «يا مريم» فالتفتت تلك وقالت له: «ربوني!» الذي تفسيره: يا معلم. قال لها يسوع: «لا تلمسيني لأني لم اصعد بعد الى ابي. ولكن اذهبي إلى اخوتي وقولي لهم: اني اصعد الى ابي وأبيكم والهي وإلهكم». فجاءت مريم المجدلية واخبرت التلاميذ أنها رات الرب، وأنه قال لها هذا.)(يوحنا 20 : 16 - 18)، وهنا تجدر الإشارة إلى ملاحظة في ترجمة النصوص المسيحية وحيث إن النص الأصلي للعهد الجديد هو باللغة اليونانية العامية المختلطة وقد ترجم إلى اللاتينية واليونانية ومنها إلى جميع اللغات الأخرى بما فيها العربية فكلمة (رب) اصلها (magister) أو (Dominum or Dominus) والتي تترجم إلى الإنجليزية (Lord) و (master) كما في نفس النص السابق باللاتينية :

(Dicit ei Iesus Maria conversa illa dicit ei **rabboni** quod dicitur **magister**.

dicit ei Iesus noli me tangere nondum enim ascendi ad Patrem meum vade autem ad fratres meos et dic eis ascendo ad Patrem meum et Patrem vestrum et Deum meum et Deum vestrum.

venit Maria Magdalene adnuntians discipulis quia vidi **Dominum** et haec dixit mihi.)(يوحنا 20: 16 -18).

والتي تعني وفقا للنص السابق المعلم وهنا يجب التأكيد على أن ورود كلمة (رب) في أي من نسخ العهد الجديد المعربة في حق المسيح يجب تغييرها إلى الترجمة الصحيحة وهي (سيد) كما يبين النص نفسه.

5- خضوع المسيح للآب يوم القيامة وللأبد (آخر عدو يبطل هو الموت. لانه اخضع كل شيء تحت قدميه. ولكن حينما يقول:«ان كل شيء قد اخضع» فواضح انه غير الذي اخضع له الكل. ومتى اخضع له الكل، فحينئذ الابن نفسه ايضا سيخضع للذي اخضع له الكل، كي يكون الله الكل في الكل.)(كورنثوس الأولى 15 : 26 - 28).

6- سجود المسيح للآب والدعاء له والرجاء منه (ثم تقدم قليلا وخر على وجهه وكان يصلي قائلا: «يا ابتاه ان امكن فلتعبر عني هذه الكاس ولكن ليس كما اريد انا بل كما تريد انت»)(متى 26: 39)

وهذه الآية أيضا تؤكد بأن المسيح خاضع لإرادة الآب ومستسلم لحكمه مثل أي نبي.

7- تأكيد المسيح بأن الآب أعظم منه (سمعتم اني قلت لكم: انا اذهب ثم آتي اليكم. لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لاني قلت امضي الى الآب، لان ابي اعظم مني.)(يوحنا 14 : 28).

8- المسيح لا يقدر على فعل المعجزات من نفسه إنما من الآب (فاجاب يسوع وقال لهم: «الحق الحق اقول لكم: لا يقدر الابن ان يعمل من نفسه شيئا الا ما ينظر الآب يعمل. لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك.)(يوحنا 5 : 19).

9- التأكيد في العهد الجديد على أن الآب الإله الوحيد (فمن جهة اكل ما ذبح للاوثان: نعلم ان ليس وثن في العالم، وان ليس إله آخر الا واحدا. لانه وان وجد ما يسمى الهة، سواء كان في السماء أو على الارض، كما يوجد آلهة كثيرون وأرباب كثيرون. لكن لنا إله واحد: الآب الذي منه جميع الاشياء، ونحن له. ورب (سيد) واحد: يسوع المسيح، الذي به جميع الاشياء، ونحن به.)(كورنثوس الأولى 8 : 4- 6)، وكذا في الآيات (ولكن اريد ان تعلموا ان راس كل رجل هو المسيح، واما راس المراة فهو الرجل، وراس المسيح هو الله.)(كورنثوس الأولى 11 : 3)، وفي الرسالة إلى أفسس (كي يعطيكم اله ربنا (سيدنا) يسوع المسيح، ابو المجد، روح الحكمة والاعلان في معرفته،)(افسس 1: 17).

10- نفي واضح من المسيح عن نفسه الإلوهية (وساله رئيس: «أيها المعلم الصالح ماذا اعمل لارث الحياة الابدية؟» فقال له يسوع: «لماذا تدعوني صالحا؟ ليس احد صالحا الا واحد وهو الله.)(لوقا 18 : 18 - 19).

11- مجددا المسيح لا يقدر على شيء ويخضع لمشيئة الآب الذي أرسله (انا لا أقدر ان افعل من نفسي شيئا. كما اسمع أدين، ودينونتي عادلة، لاني لا اطلب مشيئتي بل مشيئة الاب الذي ارسلني. «ان كنت اشهد لنفسي فشهادتي ليست حقا. 32 الذي يشهد لي هو اخر، وانا اعلم ان شهادته التي يشهدها لي هي حق.)(يوحنا 5 : 30 - 31).

12- تصريح واضح بأن الآب أعظم من المسيح (الحق الحق اقول لكم: انه ليس عبد اعظم من سيده، ولا رسول اعظم من مرسله. ان علمتم هذا فطوباكم ان عملتموه. «لست اقول عن جميعكم. انا اعلم الذين اخترتهم. لكن ليتم الكتاب: الذي ياكل معي الخبز رفع علي عقبه. اقول لكم الان قبل ان يكون، حتى متى كان تؤمنون أنى انا هو. الحق الحق اقول لكم: الذي يقبل من ارسله يقبلني، والذي يقبلني يقبل الذي ارسلني».)(يوحنا 13 : 16 - 20).

13- تصريح المسيح بأنه لا يسجد إلا لله (ثم اصعد يسوع إلى البرية من الروح ليجرب من إبليس. فبعد ما صام اربعين نهارا واربعين ليلة جاع اخيرا. فتقدم إليه المجرب وقال له: «ان كنت ابن الله فقل ان تصير هذه الحجارة خبزا». فاجاب: «مكتوب: ليس بالخبز

وحده يحيا الانسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله». ثم اخذه ابليس إلى المدينة المقدسة واوقفه على جناح الهيكل وقال له: «ان كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى اسفل لانه مكتوب: انه يوصي ملائكته بك فعلى اياديهم يحملونك لكيلا تصدم بحجر رجلك». قال له يسوع: «مكتوب ايضا: لا تجرب الرب إلهك». ثم اخذه ايضا ابليس إلى جبل عال جدا واراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له: «اعطيك هذه جميعها ان خررت وسجدت لي». حينئذ قال له يسوع: «اذهب يا شيطان! لانه مكتوب: للرب إلهك تسجد واياه وحده تعبد». ثم تركه ابليس واذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه.)(متى 4 : 1 - 11) طبعا ناهيك عن فكرة أن الشيطان يعرض عليه الممالك ليغريه بالسجود له، أليس كل شيء ملك لله اصلا؟ وكيف يصح بالأساس أن يوسوس الشيطان لإله، إن هذا لشيء عجيب!!!.

نكتفي بهذا القدر من الأدلة الصريحة التي ينفي كل دليل منها أي اتساق بين العقيدة المسيحية التثليثية وبين النصوص المقدسة لديهم، وكما قال المثل الباحث عن الحق يكفيه دليل وصاحب الهوى لا يكفيه ألف دليل.

- معيار حفظ النصوص الأصلية: أولا جميع ما أثبتناه على نص التوراة وكتب الأنبياء في الفصل الخاص باليهودية ينطبق على المسيحية أيضا لأن العهد القديم في الكتاب المقدس هو نفس هذه الكتب، أي قبل أن نبدأ بتقييم الحفظ النصي خسرت المسيحية أكثر من ثلثي كتابها المقدس.

والآن ماذا عن العهد الجديد، يتكون العهد الجديد كما شرحنا سابقا من كتب مختلفة لمؤلفين مختلفين وهي الأناجيل الأربعة ورسائل بولس وكتب أخرى وهنا يجب الإشارة إلى وجود علم كامل وأبحاث بآلاف الصفحات حول مطابقة النصوص الموجودة حاليا مع النصوص الأصلية التي تم كتابتها في الفترة الأولى من المسيحية، وباختصار يوجد نسخ مختلفة من العهد الجديد وفيها زيادة وحذف لآيات كاملة (كما هو الحال في حذف خاتمة انجيل مرقس من النسخة العالمية الجديدة وحذف جملة الآب والإبن والروح القدس من إنجيل يوحنا) يقول الدكتور بارت ايرمان (نحن بحاجة إلى قواعد النقد النصي بسبب إننا لا نمتلك المخطوطات الأصلية لاي كتاب من كتب العهد الجديد ،ما نملكه الآن مخطوطات متأخرة كثيرا عن المخطوطات الأصلية في أغلب الأحوال لعدة قرون لاحقة،تلك المخطوطات المتأخرة نفسها لم تنسخ من الأصول ، لكنها في المقابل تم نسخهم من قبل نسخ عن نسخ عن نسخ عن الأصول. مشكلة تلك المخطوطات المتأخرة الباقية إلى يومنا هذا هي أن كلها تختلف عن بعضها البعض بشكل عظيم أو أقل. النقد النصي يفحص تلك المخطوطات الباقية- هناك الآلاف منهم – محاولاً إتخاذ قراراً في ضوء مبادئ القواعد النقدية بشأن ماذا قالت الأصول نفسها.)[54]، كما يقول الدكتور ايرمان (بساطة أن الكتاب المقدس لم يكن خاليا من الأخطاء. الأخطاء زادت أضعافاً مضاعفة كلما تتبعت الترجمات عبر القرون. هناك بعض المخطوطات اليونانية القديمة التى تصل إلى

[54] مقابلة تلفزيونية مع قناة التاريخ الأمريكية

5700 مخطوطة هي أساس الإصدارات الحديثة من العهد الجديد ، وقد كشف العلماء الاختلافات في أكثر من 200 ألف موضع في تلك النصوص."ولكى تفكر بهذه الطريقة: فإن الواقع أن هناك من الأخطاء داخل تلك المخطوطات أكثر من الكلمات في العهد الجديد")[55]، ويقول القس سويجارت (يوجد ما يقرب من أربعة وعشرين ألف مخطوط يدوي قديم من كلمة الرب من العهد الجديد ..وأقدمها يرجع إلى ثلاثمائة وخمسين عاماً بعد الميلاد ، والنسخة الأصلية أو المنظورة ، أو المخطوط الأول لكلمة الرب لا وجود لها).

ما وضحناه سابقا هو حول مطابقة النص الحالي مع النص الأصلي أما صحة النص الأصلي نفسه (أي أن النص الأصلي هو وحي من الله) فعندك الكثير من الأدلة على خلاف ذلك نبدأ اولا بانجيل لوقا، وهذا الكتاب يرجح بأن لوقا تلميذ بولس قد كتبه في عام 60 ميلادي[56]، وهو كتب كرسالة من شخص إلى شخص آخر اسمه ثاوفيلس وليس ككتاب مقدس موحى من الله اصلا، ويمكن دعم هذه النظرية من خلال الإنجيل نفسه وحيث يقول مؤلف لوقا (اذ كان كثيرون قد اخذوا بتاليف قصة في الامور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة. رأيت انا ايضا اذ قد تتبعت كل شيء من الاول بتدقيق ان اكتب على التوالي اليك ايها العزيز ثاوفيلس. لتعرف صحة الكلام الذي علمت به.)(لوقا 1 : 1-4)، وهنا يطرح سؤال عميق إن كان

[55] ويكيبيديا، ar.wikipedia.org/wiki/بارت_إيرمان#cite_note-11
[56] قاموس الكتاب المقدس / ص 823

ثاوفيلس حسب المؤرخين قد عاش إما في القرن الثاني أو الرابع للميلاد فكيف لكاتب هذا الإنجيل أن يكون هو نفسه لوقا الذي عاش مع المسيح في القرن الأول الميلادي !!!.

إجماع علماء النقد النصي على أن كل من أناجيل متى ولوقا مستمدة من إنجيل مرقس ونص آخر غير معروف أي أن الإنجيلين هما تقليد لإنجيل مرقس مع الإضافة والتعديل يقول وليم باركلي في تفسيره لإنجيل مرقس (إن متّى ولوقا كان أمامهما إنجيل مرقس عند كتابة إنجيليهما، ولم يغيّرا كثيرًا من ألفاظ مرقس)، وهذا يعني لكل ذي عقل أن متّى ولوقا اعتمدا في كتابة إنجيليهما على إنجيل مرقس وليس على الروح القدس كما يزعم علماء الدين المسيحيين. أما بخصوص مرقس فيقول وليم باركلي نفسه (بأن إنجيل مرقس ما هو إلا خلاصة شهادة ومواعظ بطرس أعظم الرسل)، وهذا يعني بانه لم يكتب إنجيله بوحي من الروح القدس هو ايضا.

وأخيرا يوجد عدة عبارات في العهد الجديد تشير إلى وجود إنجيل للمسيح نفسه والذي كان يبشر ويكرز به، يقول بولس (اني اتعجب انكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر! ليس هو آخر، غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح.)(غلاطية 1 : 6-8)، وكما يقول بولس (في نار لهيب، معطيا نقمة للذين لا يعرفون الله، والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح، الذين سيعاقبون بهلاك أبدي من وجه الرب ومن مجد قوته،)(تسالونيكي الثانية 1: 8-9)، و يقول بطرس في أعمال الرسل (فاجتمع الرسل

والمشايخ لينظروا في هذا الأمر. فبعد ما حصلت مباحثة كثيرة قام بطرس وقال لهم: «ايها الرجال الاخوة، انتم تعلمون انه منذ أيام قديمة اختار الله بيننا انه بفمي يسمع الأمم كلمة الإنجيل ويؤمنون)(أعمال الرسل 15 : 6-7)، ويقول مؤلف إنجيل مرقس (فان من اراد ان يخلص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل فهو يخلصها)(مرقس 8 : 35)، وهذا يعني ضياع نص كامل من من النصوص المقدسة لدى المسيحيين إن لم يكن فقد للنص الأصلي الوحيد اصلا.

- معيار عدم التناقض: مرة اخرى تخسر المسيحية قبل أن تبدأ المعركة، فجميع التناقضات النصية التي تم إيرادها عن اليهودية تنطبق على المسيحية أيضا بسبب اعتمادهم للتوراة وكتب الأنبياء في كتابهم المقدس مع التأكيد مجددا على اعتبارهم هذا الكتاب وحي مباشر من الإله (والإله لا يمكن أن يقع في التناقض أو أن يخطئ) ولكن ماذا عن التناقضات في العهد الجديد، طبعا هي موجودة وبكثرة أيضا تصل إلى أكثر من 200 تناقض حسب بعض الباحثين، نذكر عدد منها لمزيد من الإثبات:

1- الاختلاف في نسب المسيح بين إنجيلي متى ولوقا ففي إنجيل متى ينسب المسيح إلى سليمان بن داوود وفي إنجيل لوقا إلى ناتان بن داوود. (انظر نسب المسيح في الإنجيلين).

2- كان هناك 28 جيل من داوود إلى المسيح بحسب إنجيل متى بينما كان هناك 43 جيل من داوود إلى المسيح بحسب إنجيل لوقا. (انظر نسب المسيح في الإنجيلين).

3- في إنجيل متى والد يوسف النجار هو يعقوب أما في إنجيل لوقا فوالد يوسف هو هالي. (انظر نسب المسيح في الإنجيلين).

4- عدد النساء التي جاءت إلى المغارة (قبر المسيح) ففي إنجيل مرقس ثلاثة نساء (وبعدما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطا لياتين ويدهنه. وباكرا جدا في اول الاسبوع اتين الى القبر اذ طلعت الشمس. وكن يقلن فيما بينهن: «من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر؟» 4 فتطلعن ورأين أن الحجر قد دحرج! لانه كان عظيما جدا. ولما دخلن القبر راين شابا جالسا عن اليمين لابسا حلة بيضاء فاندهشن. فقال لهن: «لا تندهشن! أنتن تطلبن يسوع الناصري المصلوب. قد قام! ليس هو ههنا. هوذا الموضع الذي وضعوه فيه.)(مرقس 16: 1- 6)، وفي إنجيل متى (وبعد السبت عند فجر اول الاسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الاخرى لتنظرا القبر. وإذا زلزلة عظيمة حدثت لان ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه. وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج. فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات. فقال الملاك للمرأتين: «لا تخافا انتما فاني اعلم انكما تطلبان يسوع المصلوب.)(متى 28: 1- 5)، وفي إنجيل لوقا نساء كثيرات ويضاف إلى ذلك اختلاف عدد الملائكة من واحد إلى

اثنين (ثم في اول الاسبوع اول الفجر اتين الى القبر حاملات الحنوط الذي اعددنه ومعهن أناس. فوجدن الحجر مدحرجا عن القبر فدخلن ولم يجدن جسد الرب يسوع. وفيما هن محتارات في ذلك إذا رجلان وقفا بهن بثياب براقة. وإذ كن خائفات ومنكسات وجوههن إلى الارض قالا لهن: «لماذا تطلبن الحي بين الأموات؟»)(لوقا 24 : 1-5).

5- اختلاف صريح في سماع أو رؤية الحدث الذي حصل مع بولس ففي أعمال الرسل (فقال وهو مرتعد ومتحير: «يارب، ماذا تريد ان افعل؟»فقال له الرب:«قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل». وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين، يسمعون الصوت ولا ينظرون احدا. فنهض شاول عن الأرض، وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر احدا. فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق.)(أعمال الرسل 9 : 6-8)، وفي نفس السفر (فحدث لي وأنا ذاهب ومتقرب إلى دمشق انه نحو نصف النهار، بغتة ابرق حولي من السماء نور عظيم. فسقطت على الأرض، وسمعت صوتا قائلا لي: شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟ فأجبت: من انت يا سيد؟ فقال لي: انا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده. والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا، ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني. فقلت: ماذا افعل يارب؟ فقال لي الرب: قم واذهب إلى دمشق، وهناك يقال لك عن جميع ما ترتب لك أن تفعل. 11 واذ كنت لا

أبصر من أجل بهاء ذلك النور، اقتادني بيدي الذين كانوا معي، فجئت إلى دمشق.)(اعمال الرسل 22 : 6-11).

6- طريقة موت يهوذا الذي خان المسيح ففي سفر أعمال الرسل قتل عندما سقط على وجهه وفي إنجيل متى شنق نفسه («ايها الرجال الاخوة، كان ينبغي أن يتم هذا المكتوب الذي سبق الروح القدس فقاله بفم داود، عن يهوذا الذي صار دليلا للذين قبضوا على يسوع، إذ كان معدودا بيننا وصار له نصيب في هذه الخدمة. فإن هذا اقتنى حقلا من اجرة الظلم، واذ سقط على وجهه انشق من الوسط، فانسكبت أحشاؤه كلها. وصار ذلك معلوما عند جميع سكان أورشليم، حتى دعي ذلك الحقل في لغتهم «حقل دما» أي: حقل دم.)(اعمال الرسل 1 : 16 - 19)، بينما في إنجيل متى (حينئذ لما رأى يهوذا الذي اسلمه انه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلا: «قد اخطات اذ سلمت دما بريئا». فقالوا: «ماذا علينا؟ أنت أبصر!» فطرح الفضة في الهيكل وانصرف ثم مضى وخنق نفسه. فاخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا: «لا يحل ان نلقيها في الخزانة لأنها ثمن دم». فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخاري مقبرة للغرباء. لهذا سمي ذلك الحقل «حقل الدم» إلى هذا اليوم.)(متى 27 : 3- 8).

نكتفي بذكر هذه التناقضات والتي يجمع عليها الناقدون النصيون المسيحيون بما فيهم المتدينون، ولا داعي للتعرض للتناقضات التي تحتمل التأويل أو يمكن

اختلاق تبريرات لها، وبكل الأحوال المسيحية التثليثية بصورتها الحالية تفشل في جميع المعايير لصحة الدين وبجدارة، بل هي تناقض جميع الإثباتات العقلية والمنطقية التي تدحض الإلحاد وأعتقد بأن السبب الرئيسي لشيوع الإلحاد في الغرب خلال القرنيين الماضيين هو المسيحية نفسها، فلا مجال للتوفيق بين العقل والمنطق وبين المسيحية فالمسيحي يجب عليه لزاما أن يتجاهل جميع الأدلة والبراهين والحقائق العلمية والمنطقية ليؤمن بهذا الدين، فكيف يمكن للعقل المثقف الذي يؤمن بالعلم التجريبي وبالبحث العلمي الصارم أن يكون مسيحيا مؤمنا في نفس الوقت!!! وهذا الذي اعتقد بأنه حصل مع معظم العلماء العقلانيين الذين عاشوا في المجتمعات الغربية المسيحية في القرنين التاسع عشر والعشرين، وهو ما انشأ موجة اللادينية التي عتت بأوربا وباقي بلدان العالم.

الإسلام

الإسلام هو الدين الأخير من الأديان الإبراهيمية الثلاثة، وينص الإسلام على أن هناك إله واحد لا شريك له وهو الله جل وعلا وهو نفسه إله جميع الأنبياء في الأديان الإبراهيمية السابقة له (اليهودية والمسيحية) وان الله كما أرسل إبراهيم وموسى وعيسى وأنبياء آخرين إلى قومهم، أرسل أيضا آخر رسله وهو محمد عليه الصلاة والسلام إلى جميع البشرية وأوحى له القرآن والذي هو كلام الله الحرفي والذي نقله إليه الملاك جبريل عليه السلام، وكما ينص القرآن صراحة على أن الإسلام هو دين جميع الأنبياء من آدم ولغاية النبي محمد عليه الصلاة والسلام وأن الله إنما أنزل شرائع مختلفة وليس أديان مختلفة.

والإسلام يدين به حوالي 2 مليار إنسان في العالم اليوم، وكما انه الدين الأسرع نموا في العالم، وكما هو معلوم فإن الإسلام نشأ في القرن السابع الميلادي عندما أعلن النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأنه تلقى الوحي من الله تعالى وبأنه أمر بتبليغ الرسالة لجميع البشر، وذلك في مدينة مكة في الجزيرة العربية.

يتميز المسلمون عن باقي الديانات والطوائف بوجود تيار رئيسي يدين به الأغلبية الساحقة من المسلمين وهو التيار السني أو أهل السنة والجماعة وحيث أن أكثر من 90% من المسلمين يتبعون هذا التيار، وبالإضافة إلى الشيعة والإباضية تمثل هذه التيارات الثلاثة جميع تيارات الإسلام المعترف بها في الوقت الحالي، ويتفق جميع أتباع هذه التيارات الثلاثة على جملة من العقائد التي تمثل أساسيات العقيدة الإسلامية، والتي تعتبر مخالفتها أو عدم الإعتقاد بها خروج من دائرة الإسلام وأهم هذه العقائد هو التوحيد الصارم لله سبحانه وتعالى ونفي وجود أي شريك له في الألوهية و أنه جل وعلا الإله الوحيد المستحق للعبادة والخالق الوحيد لهذه الكون، وكما يتفق جميع المسلمين على تفرده عز وجل بصفات الكمال ونفي التشبيه له بأي من المخلوقات.

وكما يتفق جميع المسلمين على أن محمد صلى الله عليه وسلم هو آخر الأنبياء المرسلين من الله تعالى وبأن القرآن الكريم كلام الله الحرفي الذي أوحي إليه وأنه ناسخ لجميع الكتب السماوية السابقة والتي طالها التحريف، وأن القرآن هو المصدر الرئيسي للعقيدة الإسلامية وأن الله عز وجل أنزل فيه الشريعة الإسلامية التي تمثل أوامره ونواهيه فيما يخص العبادات الشعائرية والمعاملات بين المسلمين والمعاملات مع غير المسلمين والمبادئ الأخلاقية في الإسلام.

وكما يؤمن جميع المسلمين بأن أقوال النبي الكريم وأفعاله وما أقره هي ايضا من الوحي الإلهي وأن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم هي المصدر الثاني للتشريع ولكن على عكس القرآن الكريم وبعض الأحاديث المتواترة عن النبي، يختلف المسلمون بما يخص صحة عدد كبير من الأحاديث للرسول الكريم وكما تنفرد بعض الطوائف الشيعية (الإثني عشرية والإسماعيلية) بإضافة أقوال أئمة آل البيت (الإمام علي بن ابي طالب وابنائه والمختارين من أحفاده) كمصدر ثالث للتشريع على خلاف أهل السنة والجماعة والإباضية والشيعة الزيدية.

بناء على ما سبق سيتم اعتماد التيار العام الإسلامي في تطبيق المعايير التي تم تطبيقها على الأديان الأخرى وبحيث يتم تجنب الخلافات البينية بين المسلمين وخصوصا في الفروع سواء الفقهية أو العقدية.

- معيار توافق رسالة الدين مع الصفات الواجبة للخالق: يتفق جميع المسلمين على وجود الخالق الواحد المتفرد بالألوهية والذي يتصف بجميع الصفات الواجبة له، وحيث أن الله تعالى يصف نفسه في القرآن الكريم بجملة من الصفات تندرج جميع الصفات التي ذكرناها سابقا فيها، بل ويتفق علماء العقيدة الإسلامية من جميع التيارات الثلاثة على أن لله صفات يثبتها العقل قبل النقل ويسمون العلم الذي يبحث في هذه المسألة بعلم الكلام (الفلسفة الإسلامية) واشهر من استخدم الأدلة المنطقية لإثبات هذه الصفات لله تعالى هو الإمام أبو حنيفة النعمان إمام أهل السنة والجماعة وتبعه جملة من العلماء المسلمين أشهرهم هو الإمام أبو

منصور الماتريدي والإمام أبو الحسن الأشعري ويليهم أبو المعين النسفي وأبو حامد الغزالي وفخر الدين الرازي.

وكما يتفق المسلمون على جملة من المبادئ الأخلاقية والتي تنظم حياة المجتمع الإسلامي وعلاقة المسلمين مع غير المسلمين ويوجد تصور دقيق جدا للخير والشر والحق والباطل في الشريعة الإسلامية، بل ويتميز الإسلام بوجود نظام عقوبات صارم يحدد نوع المخالفات لهذه المبادئ الأخلاقية والعقوبة اللازمة بحق المخالف، فجرائم مثل السرقة والقتل والزنا وقذف المحصنات والسلب والنهب وشرب المسكرات في العلن وغيرها توجب عقوبة جسدية مباشرة على مرتكبها ولا تكتفي الشريعة الإسلامية بالتحذير من فعلها أو بالأمر بتجنبها.

وهنا لا داعي للإسترسال بما يخص هذا المعيار وحيث أن الإسلام يتفق تماما مع جميع ما تم إثباته للخالق واجب الوجود بالإضافة إلى أنه الدين الوحيد الذي يلبي جميع متطلبات المبادئ الأخلاقية مع تنظيم دقيق ومفصل لهذه المبادئ، بل إن كل من يقرأ القرآن ويتعمق في رسالة الإسلام يشعر بأن الله أراد لهذا الدين أن يصحح جميع المفاهيم الخاطئة التي لا يمكن تغييرها بدون الإسلام فعنصرية اليهود المتجذرة في كتبهم الحالية والشعور بأن الله لم يخلق البشر إلا لأجلهم لا يدحضها إلا الإسلام وخلاف المسيحيين حول شخصية المسيح وطبيعته ورسالته لا يوضحها ويعطي النظرة المنطقية المقبولة عقلا وقلبا الا الإسلام، بل ان الاسلام يقطع الشك باليقين في جميع الأسئلة الوجودية المهمة لأي انسان، وحيث أن الله إنما خلق البشر لعبادته واختبارهم في هذه الدنيا،

بحيث يطمئن قلب المؤمن لمّا يرى الحروب والمعاناة والألم والظلم الموجود في هذا العالم عندما يتيقن بأن هذه الدنيا دار اختبار وليست دار قرار، فكل نعيم وسلطة وغنى مثل كل الم ومعاناة وظلم زائل ثم إلى ربك الرجعى فيحكم بين الخلق و يكافئ المحسن ويعاقب المسيء ولا يظلم ربك أحدا، ولا قوة الا بالله.

- معيار الأدلة الموضوعية: لقد وضحنا سابقا مركزية القرآن الكريم في الدين الإسلامي ونظرة جميع المسلمين له، وحيث يجمع المسلمون بأن القرآن الكريم الموحى باللغة العربية هو أقوى وأهم البراهين على صدق نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك لما يتميز به من محتوى وبلاغة واتساق لغوي منقطع النظير، وبالنسبة للشخص المثقف المتضلع باللغة العربية فإن القرآن الكريم معجزة المعجزات ولا يُشك في مصدره الإلهي الحتمي، بل حتى عتاة كفار قريش الذين حاربوا دعوة رسول الله عليه الصلاة والسلام في بدايتها لم يستطيعوا تفسير سبب قوة تأثير وبلاغة القرآن الكريم فاتهموا الرسول بأنه إما ساحر أو معلم مجنون (يتعلم من الجن) لمحاولة دحض المصدر الإلهي كسبب للتأثير العميق له، فترى الوليد بن المغيرة وهو من سادات كفار قريش يقول في القرآن (إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو وما يعلى عليه)[57].

---

[57] المعجزة الخالدة للسيّد هبة الدين الشهرستاني: ص21

ويورد ابن هشام هذه القصة عن شهادة سيد آخر من سادات قريش المشركين وهو عتبة بن ربيعة:

(حدّثت أنّ عتبة بن ربيعة ـ وكان سيّداً ـ قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ورسول الله (صلّى الله عليه وآله) جالس في المسجد وحده : يا معشر قريش ، ألا أقوم إلى محمّد فأُكلّمه وأعرض عليه أُموراً لعلّه يقبل بعضها فنعطيه ايّها شاء ويكف عنها ؟ وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يزيدون ويكثرون ، فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، قم إليه فكلمه .

فقام إليه عتبة حتّى جلس إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال : يا ابن أخي ، إنّك منا حيث قد علمت من السِطة في العشيرة والمكان في النسب ، وإنّك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرّقت به جماعتهم ، وسفّهت به أحلامهم وعيّبت به آلهتهم ودينهم ، وكفّرت به مَن مضى من آبائهم ، فاسمع منّي أعرض عليك أُموراً تنظر فيها ، لعلّك تقبل منها بعضها !

فقال له رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : قل يا أبا الوليد ، أسمع !

قال: يا ابن أخي ، إن كنت إنّما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتّى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد به شرفاً سوّدناك علينا حتّى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به مُلكاً ملّكناك علينا ... قال : وإن كان هذا الذي يأتيك رئيّاً تراه لا تستطيع ردّه عن نفسك طلبنا لك الطبّ وبذلنا فيه أموالنا حتّى نُبرئك منه ، فإنّه ربّما غلب التابع على الرجل حتّى يُداوى منه !

حتّى إذا فرغ عتبة ورسول الله (صلّى الله عليه وآله) يستمع منه ، قال : أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ! قال (صلّى الله عليه وآله) : فاسمع منّي ! قال عتبة : أفعل !

فجعل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقرأ من مُفتتح سورة فصّلت :

(حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا) فصلت :(1 – 4) فمضى (صلّى الله عليه وآله) يقرأها عليه ، وهو منصتٌ لها .

قال: وكان عتبة ينصت لقراءته (صلّى الله عليه وآله) وقد ألقى يديه خَلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه ، ثُمّ انتهى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إلى السجدة منها ، فسجد ثمّ قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ؟ فأنت وذاك !

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به ، فلمّا جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟

قال: ورائي أنّي قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قطّ ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ! يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي ، وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه ، فوالله ليكوننّ لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فمُلكه مُلككم وعزّه عزّكم ، وكنتم أسعد الناس به .

قالوا: سَحَرك والله يا أبا الوليد بلسانه .

قال: هذا رأيي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم).[58]

أما شهادات بعض المستشرقين الغربيين المنصفين فننقلها كما أوردها الدكتور عبد المعطي الدالاتي[59]:

يقول المستشرق آرثر آربري (عندما أستمع إلى القرآن يتلى بالعربية ، فكأنما أستمع إلى نبضات قلبي).

ويقول غوته (إن أسلوب القرآن محكم سام مثير للدهشة ... فالقرآن كتاب الكتب ، وإني أعتقد هذا كما يعتقده كل مسلم ... وأنا كلما قرأت القرآن شعرت أن روحي تهتز داخل جسمي).

ولما بلغ غوته السبعين من عمره أعلن على الملأ أنه يعتزم أن يحتفل في خشوع بليلة القدر التي أنزل فيها القرآن على النبي محمد..

وفي يوم أبصر غوته ريشة طاووس بين صفحات القرآن فهتف (مرحباً بك في هذا المكان المقدس ، أغلى كنز في الأرض).

وفي ديوانه (الديوان الشرقي للشاعر الغربي) يقول غوته (هاجر إلى الشرق في طهره وصفائه ، حيث الطهر والصدق والنقاء ، ولتتلقى كلمة الحق منزلة من الله بلسان أهل الأرض).

(القرآن ليس كلام البشر ، فإذا أنكرنا كونه من الله ، فمعناه أننا اعتبرنا محمداً هو الإله).

---

[58] سيرة ابن هشام: ج1 ص313 - 314.

[59] كتاب ربحت محمدا ولم اخسر المسيح،د.عبد المعطي الدالاتي .

وتقول المستشرقة الألمانية آنا ماريا شميل ، في مقدمتها لكتاب (الإسلام كبديل) لمراد هوفمان (القرآن هو كلمة الله ، موحاة بلسان عربي مبين ، وترجمته لن تتجاوز المستوى السطحي ، فمن ذا الذي يستطيع تصوير جمال كلمة الله بأي لغة؟!).

ويقول الباحث الأمريكي مايكل هارت في كتابه المعروف (المائة الأوائل)(لا يوجد في تاريخ الرسالات كتاب بقي بحروفه كاملاً دون تحوير سوى القرآن).

(بين أيدينا كتاب فريد في أصالته وفي سلامته ، لم يُشكّ في صحته كما أُنزل ، وهذا الكتاب هو القرآن).

ويقول المستشرق بارتلمي هيلر (لما وعد الله رسوله بالحفظ بقوله "والله يعصمك من الناس" ، صرف النبي حراسه ، والمرء لا يكذب على نفسه ، فلو كان لهذا القرآن مصدر غير السماء لأبقى محمد على حراسته !) .

ويقول المستشرق (فون هامر) في مقدمة ترجمته للقرآن (القرآن ليس دستور الإسلام فحسب ، وإنما هو ذروة البيان العربي ، وأسلوب القرآن المدهش يشهد على أن القرآن هو وحي من الله ، وأن محمداً قد نشر سلطانه بإعجاز الخطاب ، فالكلمة لم يكن من الممكن أن تكون ثمرة قريحة بشرية) و(القرآن وحي من الله ، لا يحده زمان ، ومتضمن للحقيقة المركزة).

ويقول البروفيسور يوشيودي كوزان – مدير مرصد طوكيو – نقلاً عن كتاب (إنه الحق)(إن هذا القرآن يصف الكون من أعلى نقطة في الوجود ... إن الذي قال هذا القرآن يرى كل شيء في هذا الكون ، وكل

شيء مكشوف أمامه).
ويحاول المفكر مارسيل بوازار أن يصل إلى سر التأثير العجيب للقرآن فيقول (القرآن يخاطب الإنسان بكليته ... من منظور تستطيع نسبته إلى علم النفس التطبيقي).
إذن فمحتوى القرآن الكريم نفسه كرسالة إلهية تخاطب عقل وإدراك وقلب الإنسان هو اقوى وأول البراهين على صدق نبوة الرسول الكريم ونحن نعتقد أن قراءة سورة من سور القرآن الكريم بتدبر وتفكر وصدق نية، كفيلة بإزالة أي شك بصدق الرسول الكريم ورسالة الإسلام، واعلم عزيزي القارئ أن من ابتعد عن القرآن ضل وغوى ولو أحاط بكل علوم الدنيا، وأن الإيمان إنما يكون بالقلب والعقل معا فلا سبيل إليه بالأدلة العقلية المنطقية وحدها بأي حال من الأحوال، ولا قوة الا بالله.
ولكن نحن هنا نورد بعض من هذه الأدلة العقلية الموضوعية وذلك لإقامة الحجة فقط لا غير، ولا مجال لإيراد جميع البراهين والأدلة التي لا يسعها كتاب مختصر لا يمتلك مؤلفه الإختصاص الدقيق في هذه المسألة، ولعلنا ننصح لمن أراد الاستزادة بكتاب بصائر للدكتور هيثم طلعت لما وجدنا فيه من التفصيل الكبير والحجة الدامغة التي لم نجدها في غيره من الكتب وبالله التوفيق.
أولا: براهين صدق النبوة من كتب الأديان السماوية السابقة (التوراة وكتب الأنبياء والعهد الجديد):
1- في سفر التكوين (فسمع الله صوت الغلام، ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها: «ما لك يا هاجر؟ لا تخافي، لان الله قد سمع

لصوت الغلام حيث هو. قومي احملي الغلام وشدي يدك به، لأني سأجعله امة عظيمة».)(تكوين 21 : 17-18)، وعد من الله لهاجر أن يجعل من نسل ولدها إسماعيل أمة عظيمة وتتحقق النبوءة بظهور الإسلام عند العرب (احفاد اسماعيل) وانتشاره في كل الأرض على أيديهم.

2- في سفر التثنية (قال لي الرب قد أحسنوا فيما تكلموا. أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما اوصيه به ويكون ان الانسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي انا اطالبه. واما النبي الذي يطغي فيتكلم باسمي كلاما لم اوصه ان يتكلم به أو الذي يتكلم باسم الهة اخرى فيموت ذلك النبي.)(تثنية 18 : 17 - 20)، وعد الله بأن يبعث نبي مثل موسى من اخوة بني اسرائيل (أي من نسل أحد غير يعقوب من أبناء اسحق واسماعيل) وهذا ينطبق على الرسول صلى الله عليه وسلم (الرسول عليه الصلاة والسلام من نسل قيدار بن اسماعيل)، وكما لا يخفى التشابه بين النبي موسى والنبي محمد من وجوه كثيرة فكلاهما اعطي الشريعة (التوراه والقرآن) وكل منهما كان قائد سياسي بالإضافة للنبوة، وكلاهما تزوج النساء وانجب اطفالا، وكلاهما قاد المعارك ضد الأعداء.

3- اما الحاسمة فهي نبوءة اشعياء التي لا مجال للتأويل أو الفرار منها، حتى أن الكثير من أحبار اليهود يعترفون بأنها لا تنطبق إلا على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم (مع تمسكهم بإدعائهم بأنه

نبي للأمم وليس لبني إسرائيل) واقوالهم بذلك منشورة وشاهدت مرئيات لعدد منهم يعترف بذلك صراحة، بل وهذه النبوءة سبب لدخول الكثير من المسيحيين للإسلام والأمثلة كثيرة من مرئيات الدعوة الإسلامية في الغرب والمنشورة باللغة الإنجليزية، نورد النبوءة كما هي في كتبهم (هوذا عبدي الذي اعضده مختاري الذي سرت به نفسي.وضعت روحي عليه فيخرج الحق للامم. لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفئ. إلى الأمان يخرج الحق. لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها باسط الارض ونتائجها معطي الشعب عليها نسمة والساكنين فيها روحا. انا الرب قد دعوتك بالبر فامسك بيدك واحفظك واجعلك عهدا للشعب ونورا للامم لتفتح عيون العمي لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة أنا الرب هذا اسمي ومجدي لا اعطيه لآخر ولا تسبيحي للمنحوتات. هوذا الاوليات قد اتت والحديثات انا مخبر بها. قبل ان تنبت اعلمكم بها. غنوا للرب اغنية جديدة تسبيحه من اقصى الارض. ايها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها. لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار.لتترنم سكان سالع.من رؤوس الجبال ليهتفوا. ليعطوا الرب مجدا ويخبروا بتسبيحه في الجزائر.)(اشعياء 42 : 1- 12) النبوءة بوضوح شديد تتحدث عن **نبي مختار** من **ديار قيدار** (الجزيرة

العربية) وقيدار هو جد الرسول صلى الله عليه وسلم ويتحدث عن **سكان سالع** وهو جبل في المدينة المنورة. يأتي هذا النبي بشريعة **لكل الأمم** (وهو ما لا ينطبق على أي نبي من أنبياء بني اسرائيل بما فيهم عيسى المسيح)، ويهتف اتباعه بتسبيح ومجد الرب (الأذان من المساجد) ويملأ اتباعه الأرض بهذه التسبيحات!!! ولا يمكن أن تنطبق هذه النبوءة إلا على الإسلام الذي انتشر من ديار قيدار لكل انحاء العالم. وكما تجدر الإشارة إلى أن النسخة التي وجدت في مخطوطات البحر الميت (كهوف قمران) تورد في بداية الإصحاح اسم أحمد بالعبرية بدل الذي اعضده حيث يبدأ الإصحاح ب (هو ذا عبدي احمد مختاري الذي سرت به نفسي.)[60]، ويوجد عدة بحوث بهذا الخصوص، وكما يوافق ذلك ما نقل عن كعب الأحبار في تاريخ دمشق لإبن عساكر حيث قال لما سأل عن ذكر الرسول في كتب اليهود (أحمد عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق)[61]، وهذا يمثل ترجمة تقريبية لأول ثلاثة آيات من الإصحاح 42 كما هو واضح للقارئ، بكل الأحوال النبوءة على وضعها الحالي في السفر لا تقبل أي تأويل أو تفسير غير الإخبار عن الرسول عليه الصلاة والسلام ورسالة الإسلام وكما هو ظاهر من النص بكل وضوح.

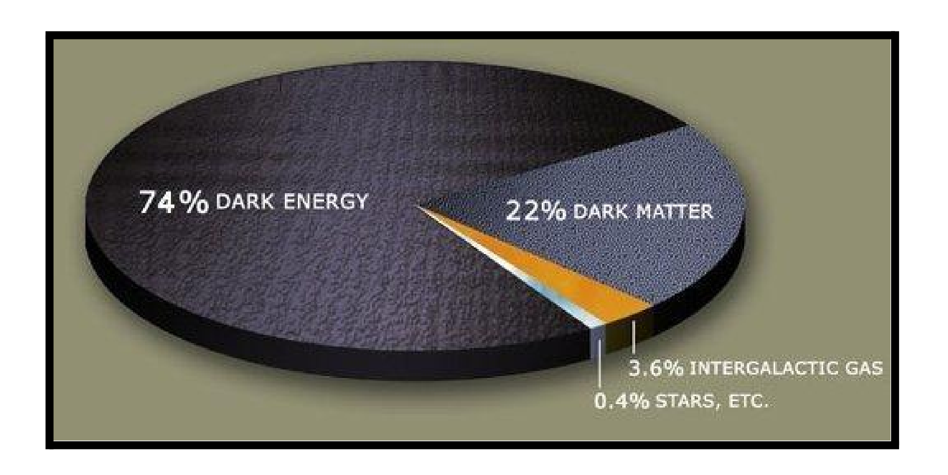
[60] بحث المتخصص باللغات السامية عبد الله بن عيسى آل عبدالجبار.

[61] ابن عساكر - تاريخ دمشق، باب ما جاء من أن الشام يكون ملك أهل الإسلام.

4- يوجد عدة نبوءات أقل وضوحا في كثير من أسفار العهد القديم والجديد مثل سفر دانيال وفي المزامير والأناجيل وحتى في الأسفار المنحولة مثل سفر رؤيا إبراهيم والذي يتنبأ حتى بوقت قدوم النبي ويمكن الإطلاع عليها للإستزاده.

ثانيا: براهين صدق النبوة في القرآن والسنة بما يخص الحقائق العلمية :

1- تصوير دقيق لنشوء الكون وطبيعته يطابق النظرة العلمية الحديثة ونظريات الإنفجار العظيم والطاقة المظلمة والمادة المظلمة وغيرها (انظر الصورة 8 أدناه)، وذلك من حيث الأصل (اولا كانت رتقا أي مادة كثيفة عند بداية خلق الزمان والمكان ثم بعد وقت معين أصبح ما يشبه الدخان والغبار في جميع الكون قبل تكون المجرات و النجوم و ثم تكونت الكواكب منه)، وتكوين السماء (ذات حبك من المادة والطاقة المظلمة في الفراغ بين الأجرام السماوية) وأخيرا التوسع في الكون وكما في الآيات التالية، يقول عز وجل (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ)(الانبياء: 30)، وفي هذه الآية يشير الخالق جل وعلا إلى حقيقة علمية مثبتة أخرى وهي بأن الماء أساس بناء أي كائن حي، ويقول تعالى (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ)(الذاريات: 7)، ويقول تعالى (ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)(فصلت : 11)، ويقول تعالى (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ)(الذاريات: 47)، صدق الله العظيم.



شكل (8) مكونات الكون

2- ذكر مراحل خلق الإنسان بالتفصيل في رحم الأم على الخلاف من جميع النظريات التي كانت سائدة في العالم في ذلك الوقت بل ولغاية القرن المنصرم (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14))(المؤمنون: 12-14).

3- وصف دقيق للغاية لتكوين السحاب وكيفية هطول الأمطار (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ)(النور: 43).

4- وصف الجبال وهنا يوجد ثلاث معجزات علمية دقيقة اولا عندما درس العلماء أسرار الأرض ودرسوا الجبال وجدوا أن كثافة الجبل تختلف عن كثافة الصخور المحيطة به، ووجدوا كذلك وكأن الجبل عبارة عن أداة ترسو على الأرض فتثبت القشرة الأرضية فلا تسمح لها بالاهتزاز أو الاضطراب، لأن الطبقة التي تلي القشرة الأرضية هي طبقة من الصخور ذات درجة حرارة عالية وضغط مرتفع ثم تليها طبقة ثالثة أكثر حرارة وأكثر ضغطاً وتعتبر أكثر لزوجة وبالتالي كأن الطبقة الأولى والثانية تسبحان وتعومان على طبقة ثالثة تماماً كأن هناك مجموعة ألواح تطفو على سطح الماء وهذا مصداق لقوله تعالى (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)(النحل: 15)، وقوله تعالى (وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ)(الأنبياء: 31)، وقوله (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ)(ق: 7).

والثاني بأن الجبال لها جذور اكبر من حجمها الظاهر على السطح وحيث أن العلماء وجدوا أن لكل جبل جذر عميق يمتد في الأرض، وذلك مصداق لقوله تعالى(أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا)(النبأ: 6-7).

والثالث هو إثبات دوران الأرض حول محورها وذلك بذكر مرور الجبال كما تمر السحاب بتشبيه عجيب للغاية!!! يقول تعالى (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ)(النمل: 88).

5- ظاهرة البرزخ بين الماء العذب والماء المالح عند التقاء الأنهار بالمحيطات (انظر الصورة 9 ادناه) يقول تعالى (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا)(الفرقان: 53).



الشكل(9) التقاء الماء العذب مع المالح

6- وجود المدارات للنجوم والكواكب والأقمار وحيث أن الشمس تدور حول مركز المجرة والكواكب تدور حول النجوم والأقمار تدور حول الكواكب (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)(الأنبياء : 33).

7- وصف للثقوب السوداء وطبيعتها من حيث انعدام رؤيتها وجذبها لكل مادة تقترب من مدارها، بل حتى الضوء لا ينفذ منها، حيث يقول تعالى (فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (16))(عبس: 15-16).

8- وصف للنجوم النيوترونية بما يخص طبيعتها وحيث أنها شديدة الإضاءة (ثاقبة) والأهم من ذلك الصوت الذي يصدر منها (الطارق) وحيث أن هذه النجوم تطلق موجات نابضة تشبه الطرق بشكل دقيق!!!، حيث يقول تعالى (وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ)(الطارق: 1-3).

9- ذكر الله لحقيقة علمية ثابتة بخصوص النجوم وهي أننا نرى مواقعها التي كانت عليها في وقت انبعاث الضوء الصادر منها لا في وقت رؤيتها (وهذا فرق في التوقيت يصل إلى ملايين السنين) وكما تعبر الآيات عن عظمة هذه المعرفة وكأن الله يخبر البشر بأنكم لا تعلمون تأويلها في وقت نزول الآية ولكن سوف تعلمون تأويلها في المستقبل وحيث ان هذه المعلومة تتضمن تفاصيل كثيرة وهي الأبعاد الكبيرة للكون وسرعة الضوء الكبيرة جدا والزمن الطويل لعمر الكون، يقول تعالى (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)(الواقعة: 75-76).

10- وكما ورد في السنة النبوية الشريفة (عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العزل فقال: "ما مِن كلِّ الماء يكون الولد، إذا أراد الله خَلْقَ شيءٍ لم يمنعه شيءٌ")(رواه مسلم)، ومن المعلوم بأن الإنسان إنما يكون من البويضة المخصبة

التي هي حاصل تخصيب حيوان منوي واحد من ضمن ملايين الحيوانات المنوية الموجودة في السائل المنوي للرجل.

11- وكما ورد في السنة النبوية الشريفة (عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل، فمن كبر الله عز وجل وسبح واستغفر، وحرك حجرا أو شاله أو عظما، أو أمر بالمعروف ونهى عن المنكر عدد الستين وثلاثمائة السلامى، يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار)(رواه مسلم)، وقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أن في جسم الإنسان 360 مفصل بالعدد، فمن أخبر النبي الكريم بذلك؟؟؟ هل درس الطب البشري في جامعة السوربون مثلا!!!.

نكتفي بذكر هذه المعجزات العلمية الواضحة لتجنب الإطالة، علما بأنه يوجد المئات منها، بعضها صريح والأغلب متفاوتة الوضوح فيما بينها أو تحتمل أكثر من معنى.

ثالثا: براهين صدق النبوة في القرآن والسنة بما يخص الأخبار عن الغيب أو المستقبل:

1- أشهر النبوءات في القرآن الكريم هي في بداية سورة الروم، قال تعالى (الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)(الروم:2-5)، فناهيك عن إخبار الله تعالى بأن الروم سوف ينتصرون بعد عدة سنين وهم كانوا قد

هزموا في عقر دارهم هزيمة لا تقوم بعدها لهم قائمة، ولكن الإخبار عن المكان وهو أدنى الأرض من المعجزات العلمية في القرآن وحيث أن مكان المعركة وهو غور الأردن هو أخفض مكان في العالم أيضا!!!.

2- نبوءة العلو الثاني لبني اسرائيل وقدومهم من كل بقاع العالم إلى أرض فلسطين لتكوين دولتهم وهي الآيات في سورة الإسراء، قال تعالى(وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا)(الإسراء: 1- 6)، و(وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا)(الإسراء: 104).

3- التعهد بحفظ القرآن من الله تعالى، قال عز وجل (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)(الحجر:9).

4- حفظ الرسول صلى الله عليه وسلم من القتل ومن المؤامرات عليه،قال تعالى (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)(المائدة: 67).

5- نبوءة انتشار الإسلام في الجزيرة العربية (عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو يومئذ متوسد بردة في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا الله تبارك وتعالى، أو ألا تستنصر لنا؟ فقال رسول الله:«قد كان الرجل فيمن كان قبلكم يؤخذ فيحفر له في الأرض، فيجاء

بالمنشار على رأسه فيجعل بنصفين فما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب فما يصده ذلك، والله ليتمن الله عز وجل هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله تعالى، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون)(مسند احمد)، ونبوءة فتح جزيرة العرب ثم فارس ثم الروم (عن نافع بن عتبة قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة قال: فأتى النبي ﷺ قوم من قبل المغرب عليهم ثياب الصرف فوافقوه عند أكمة فإنهم لقيام ورسول الله ﷺ قاعد قال: فقالت لي نفسي ائتهم فقم بينهم وبينه لا يغتالونه قال: ثم قلت لعله نجى معهم فأتيتهم فقمت بينهم وبينه فحفظت منه أربع كلمات أعدهن في يدي قال: «تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله» قلت: ويبقى فتح الدجال، وسيقع الأمر فيه كما حدث ﷺ تماماً، وسيكون ذلك آية أخرى لمن يشهدها في وقتها)(رواه مسلم)، انتشار الإسلام في اسقاع الدنيا (عن تَميم الداري رضي الله عنه ، قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لَيَبْلغنَّ هذا الأمرُ ما بلغ الليلُ والنهارُ، ولا يترك اللهُ بيت مَدَر ولا وَبَر إلا أدخله الله هذا الدين، بعِزِّ عزيز أو بذُلِّ ذليل، عزا يُعِزُّ الله به الإسلام، وذُلا يُذل الله به الكفر)(مسند احمد).

6- أبو ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده (عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما سار رسول الله ﷺ إلى تبوك جعل لا يزال الرجل يتخلف فيقولون: يا رسول الله، تخلف فلان، فيقول: دعوه، إن يك

فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه، حتى قيل: يا رسول الله! تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره، فقال: دعوه، إن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه، فتلوم أبو ذر بعيره فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فجعله على ظهره، ثم خرج يتبع رسول الله ﷺ ماشيًا، ونزل رسول الله ﷺ بعض منازله ونظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول الله! إن هذا الرجل ماشي على الطريق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كن أبا ذر، فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله! هو والله أبو ذر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يرحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده. قال: فضرب الدهر ضربه (أي مرت الايام) وسار أبو ذر إلى الربذة، فلما حضره الموت أوصى امرأته وغلامه فقال: إذا مت فاغسلاني وكفناني من الليل ثم ضعاني على قارعة الطريق، فأول ركب يمرون بكم فقولا: هذا أبو ذر، فلما مات فعلوا به كذلك، فاطلع ركب فما علموا به حتى كادت ركابهم تطأ سريره، فإذا ابن مسعود في رهط من أهل الكوفة فقال: ما هذا؟ فقيل: جنازة أبي ذر، فاستهل ابن مسعود يبكي، وقال: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: يرحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده. فنزل فوليه بنفسه حتى أجنه (دفنه وأقبره))(صححه ابن اسحق وابن كثير في البداية والنهاية).

7- مقاتلة الزبير لعلي رضي الله عنهما (لما دنا علي وأصحابه من طلحة والزبير ودنت الصفوف بعضها من بعض، خرج علي رضي الله عنه وهو على بغلة رسول الله ﷺ فنادى: ادعوا لي الزبير بن العوام؛

فإني علي، فدُعي له الزبير، فأقبل حتى اختلفت أعناق دوابهما، فقال علي: يا زبير أنشدتك بالله أتذكر يوم مر بك رسول الله ﷺ ونحن في مكان كذا وكذا؟ فقال: يا زبير تحب عليًا؟ فقلت: ألا أحب ابن خالي وابن عمي وعلى ديني فقال: يا علي أتحبه؟ فقلت: يا رسول الله، ألا أحب ابن عمتي وعلى ديني فقال: يا زبير، أما والله لتقاتلنه وأنت له ظالم قال: بلى، والله لقد نسيته منذ سمعته من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكرته الآن، والله لا أقاتلك،

فرجع الزبير على دابته يشق الصفوف، فعرض له ابنه عبد الله بن الزبير فقال: مالك؟ فقال: ذكرني علي حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ سمعته يقول: لتقاتلنه وأنت له ظالم، فلا أقاتله قال: وللقتال جئت! وإنما جئت تصلح بين الناس ويصله الله هذا المر قال: قد حلفت ألا أقاتله قال: فأعتق غلامك جرجس وقف حتى تصلح بين الناس، فأعتق غلامه ووقف، فلما اختلف الناس ذهب على فرسه)(المستدرك على الصحيح للحاكم النيسابوري).

8- مقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه على يد الفئة الباغية (معاوية ومن معه) تواترت أحاديث عدة عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم حول مقتل عمار بن ياسر بأنه: (تقتله الفئة الباغية)، عن رواة عدة منهم أم سلمة وأبو قتادة الأنصاري وأبو هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص وحذيفة بن اليمان وعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وآخرين. وقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمي أنه راي عمار بن ياسر يوم صفين لا يتوجّه في ناحية ولا واد من أودية صفين، إلا

وأصحاب النبي محمد يتبعونه، كأنه علم لهم، كما سمعه يومئذ يقول لهاشم بن عتبة بن أبي وقاص (يا هاشم، تفر من الجنة! الجنة تحت الهارقة، اليوم ألقى الأحبة، محمدًا وحزبه، والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هُجَر لعلمت أنّا على حق، وأنهم على الباطل). وقد استرشد الكثيرون بذلك في أن الحق مع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في حربه مع معاوية بن أبي سفيان كخزيمة بن ثابت الذي كان قد اعتزل القتال، حتى قُتل عمار فانضم إلى جيش علي[62].

9- الحفاة العراة يتطاولون في البنيان (عندما سأل النبيَّ ﷺ عن الساعة وقال: أخبرني عن أمارتها. فقال ﷺ: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان)(رواه مسلم)، وهذه النبوءة من النبوءات العظيمة على أكثر من وجه وحيث أنه لا يتصور بدون عائدات البترول والتكنولوجيا الحديثة بناء ناطحات السحاب في الرياض ودبي وأبو ظبي والمنامة، حتى يكون أعلى برج في العالم موجود في دبي حاليا،سبحان الله.

10- نبوءات فتح القدس،فتح مصر والشام والعراق والقسطنطينية وهي مشهورة في الأحاديث.

11- نبوءة ترك الخيل والدواب واستخدام مركبة جديدة للذهاب إلى المساجد (ظهور السيارات) كما في الأحاديث التالية (سيَكونُ في آخرِ أُمَّتي رجالٌ يرْكبونَ على سُروجٍ كأشباهِ الرِّحالِ، ينزِلونَ على أبوابِ المساجدِ، نساؤُهم كاسياتٌ عارياتٌ على رؤوسِهم كأسنِمةِ البُختِ

[62] الطبقات الكبرى لابن سعد - عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ (10).

العِجافِ، العنوهُنَّ فإنَّهم ملعوناتٌ...)(رواه احمد)، وكما في الحديث الشريف (عن أبي هريرة، أنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (وَاللهِ، لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا، فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ، وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ، وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ، وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا، وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ، وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ))(رواه مسلم)، وهنا القلاص هو الإبل ونحوه. وكما في الحديث الشريف (عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَيَّاشٍ الْقِتْبَانِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عِيسَى بْنِ هِلَالٍ الصَّدَفِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: سَيَكُونُ فِي آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ رِجَالٌ يَرْكَبُونَ عَلَى الْمَيَاثِرِ حَتَّى يَأْتُوا أَبْوَابَ مَسَاجِدِهِمْ ... فَقُلْتُ لِأَبِي: وَمَا الْمَيَاثِرُ؟ قَالَ: سُرُوجًا عِظَامًا)(المستدرك على الصحيح للحاكم النيسابوري).

12- نبوءة استشهاد عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، نبوءة استشهاد الحسين السبط رضي الله عنه، نبوءة إصلاح الحسن السبط رضي الله عنه بين فئتين عظيمتين من المسلمين.

نكتفي بهذا القدر في هذا الباب لعدم الإطالة.

رابعا: براهين اخرى :

1- الإعجاز البلاغي في القرآن وهذا في غاية الكثرة في كل صفحة من صفحات القرآن الكريم وهو معلوم بالضرورة لأي شخص يتكلم العربية.

2- الإعجاز العددي في القرآن الكريم وله امثلة كثيرة جدا نذكر من المتفق عليها (ذكر كلمة دنيا 115 مرة، وتم ذكر كلمة آخرة 115 مرة) و (تم ذكر كلمة ملائكة ومشتقاتها 88 مرة، وتم ذكر كلمة شياطين ومشتقاتها 88 مرة) و(تم ذكر كلمة إبليس 11 مرة، وتم ذكر الاستعاذة 11 مرة) و (تم ذكر كلمة محمد 4 مرات، وتم ذكر كلمة شريعة ومشتقاتها 4 مرات) و (تم ذكر كلمة المصيبة ومشتقاتها 75 مرة، وتم ذكر كلمة الشكر ومشتقاتها 75 مرة) و (وردت كلمة الشهر مفردة، الشَّهْرَمفردا 10 مرات، شَهْرًا مرتان ليكون المجموع: 12 مرة) و (وردت كلمة اليوم مفردة وغير مضافة، الْيَوْمَ مفردا 349 مرة، يَوْمًا 16 مرة ليكون المجموع: 365 مرة) و (كلمة عيسى في القرآن تكررت 25 مرة و كلمة آدم في القرآن تكررت 25 مرة مصداقا للآية الكريمة (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)(آل عمران: 59)).

3- الإعجاز التشريعي وهو صلاحية الأحكام والقوانين الإسلامية لكل وقت وزمان، وهذا ليس برهان عليه أكثر من وضع العالم اليوم، الذي انتشر فيه الزنا والشذوذ الجنسي والإنحلال الأخلاقي ومعاقرة المسكر والمخدرات وضياع الأموال بالقمار وتسلط الربا على أرزاق البشر، ولا حول ولا قوة الا بالله.

وبهذا القدر نكتفي ونختم معيار الأدلة الموضوعية بما يثبت الحجة وبالله التوفيق.

- معيار الإتساق: وبالنسبة لهذا المعيار فإننا أوردنا جزء كامل يتناول العقيدة الإسلامية الصحيحة معززا بالأدلة من القرآن والسنة النبوية الشريفة وحيث يمكن لمس التطابق التام بين القرآن والسنة، بل والسيرة النبوية الشريفة وبين معتقد الغالبية العظمى من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة.
- معيار حفظ النصوص الأصلية : لا يوجد كتاب على وجه الأرض محفوظ كما هو الحال مع القرآن الكريم، وهذا مما لا خلاف عليه سواء بين المسلمين أو الأغلبية الساحقة من المطلعين على التاريخ الإسلامي من المستشرقين الغربيين وغيرهم، اما ادلة الحفظ النصي للقرآن الكريم فتتمثل بهذه النقاط الثلاثة:

1- وجود نسخة موحدة من القرآن الكريم حاليا وباللغة الأصلية لنزوله (اللغة العربية) وهي متطابقة حرفيا في أي بقعة في بقاع العالم من جاكرتا في اندونيسيا إلى أبعد بلد في ادغال افريقيا.
2- التقليد الأصلي المتبع بحيث يحفظ المسلمين القرآن الكريم غيبا بالسند المتصل من زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وحيث أن آلاف الصحابة حفظوه من الرسول مباشرة عن ظهر قلب ثم نقلوه إلى من بعدهم على عدة قراءات، وباسانيد متعددة ليصل عدد الحفاظ اليوم إلى أكثر من 21 مليون حافظا للقرآن كاملا ومئات الملايين من المسلمين الذين يحفظون أجزاء مختلفة منه.

3- وجود مخطوطات اثرية ترجع إلى القرن الأول الهجري والتي تطابق تماما نسخة القرآن الموجودة حاليا مثل مخطوطة جامعة برمنغهام التي تضم صفحتين من سورة الكهف ومخطوطة صنعاء التي تضم كامل آيات القرآن الكريم بالإضافة إلى آلاف المخطوطات الأحدث نسبيا والتي تتطابق تماما مع النص الحالي.

- معيار عدم التناقض : لا يوجد أي تناقض نصي في أي من آيات القرآن الكريم أو السنة المتواترة بإجماع المجتمع العلمي، ولكن قد يوجد بعض التناقضات الظاهرية في الأحاديث النبوية الشريفة، ولكن من المعلوم أن هذا لا يلزم المسلمين وحيث أن إجماع المسلمين على أن هذه النصوص إنما هي ظنية الثبوت لورودها عن طريق الآحاد (سند الرواية من شخص لشخص آخر)، وكما لا يخفى أن المسلمين اوجدوا علما جديدا في تاريخ البشرية، وهو علم الرجال (علم الجرح والتعديل) وذلك للوقوف على مدى صحة الأحاديث المنسوبة للرسول صلى الله عليه وسلم وتم تصنيف هذه الأحاديث في عشرات الكتب على مدى التاريخ الإسلامي وحيث تم الحكم على آلاف الأحاديث بأنها اما موضوعة (مكذوبة على لسان الرسول) أو محرفه (فيها زيادة أو تحوير عن الأصل) وعليه فإن وجود أي تناقض حقيقي في هذه الأحاديث مع القرآن الكريم والسنة المتواترة إنما هو يطعن في صحة نسبة هذا الحديث للرسول صلى الله عليه وسلم أو بمدى حفظ النص الأصلي للحديث (خلوه من التحريف أو الزيادة والنقصان) ولا يطعن بصحة الإسلام.

الأديان الأخرى

لن نتعرض بالتفصيل لاي من الأديان الأخرى اللاحقة للإسلام وحيث انه بثبوت دين الإسلام كدين الحق الذي أنزله الله تعالى، فإنه يلزم الوقوف على لوازمه التي تتضمن الإيمان بالقرآن الكريم وجميع ما جاء في آياته ومحل الشاهد هنا هو الآيات التي تصرح بأن الإسلام هو آخر الأديان إلى يوم القيامة وبأن الرسول محمد عليه الصلاة والسلام هو خاتم النبيين، يقول الله تعالى في محكم تنزيله (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ، وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً)(الأحزاب: 40)، ويقول تعالى (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)(آل عمران: 85)، ويقول تعالى (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ۚ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(المائدة: 3).

وعليه فإن أي شخص يدعي النبوة مثل ميرزا غلام احمد (مؤسس الطائفة الأحمدية القاديانية) و حسين علي النوري (مؤسس الديانة البهائية) و الغورو ناناك (مؤسس السيخية) و جوزيف سميث (مؤسس المورمونية) واي مؤسس لطائفة اخرى ينبغي الحكم عليهم بالكذب مسبقا فلا يصح أن يجمع بين صحة الإسلام وصحة دين لاحق له باي حال من الأحوال، وخصوصا إذا كان هؤلاء المدعين يصرحون بصحة نبوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كما في

القاديانية والبهائية أو ينقلون من مصادر الإسلام بعض المعتقدات أو التشريعات كما هو الحال مع السيخية فذلك نقض لدينهم من افواههم وشهادة من أنفسهم على كذبهم، ولا قوة الا بالله.

نبدأ وبالله التوفيق في شرح منهجيتنا في هذا الجزء وحيث اننا استخدمنا العقل والمنطق السليم المستند على العلم وعلى الاستنتاجات الواضحة الجلية وعلى الحجج العلمية التي لا تقبل النفي أو التأويل في الجزء السابق، وعليه حق لنا استخدام هذه النتائج الصحيحة ولوازمها في هذا الجزء، وحيث اننا قررنا واثبتنا صحة الإسلام دونا عن جميع الملل والأديان وصدق نبوة سيدنا محمد عليه افضل الصلاة والسلام وعلى أن القرآن الكريم الذي جاء به محفوظ بالتواتر وهو وحي من الخالق سبحانه وتعالى إلى نبيه عن طريق جبريل عليه السلام، فعندها يلزم أن تكون آيات القرآن الكريم والمتواتر من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم دليلا صحيحا قائما بذاته وغير محتاج إلى حجج عقلية أو منطقية أو علمية.

وبناء على ذلك فإنني أرى بأن الجزء السابق هو البديل الأصح في عالم اليوم لحجج علماء الكلام المطولة والمتكلفة في موضوع إثبات واجب الوجود و صدق رسالة نبينا عليه الصلاة والسلام، على أننا لا ننقصهم قدرهم ودفاعهم عن هذا الدين بما وصلوا إليه من خلال استخدام علوم الفلسفة والحجج المنطقية الكلامية، ولكن تطور العلوم التي وصلت إليها البشرية تجعل منظور الإنسان إلى العالم يختلف كثيرا عن ما كان عليه في تلك الأوقات وما كان سائدا فيها من فهم منقوص وخاطئ للكون وصفاته وعلوم الكيمياء والفيزياء والبيولوجيا وغيرها، علاوة عن سهولة هذه الطريقة وامكانية استيعابها من الإنسان العادي متواضع الثقافة على عكس طريقة علماء الكلام التي تحتاج نظرا ثاقبا وذكاءً ونباهة من

القارئ لا تتوافر عند اغلب الناس، وإن مما يثبت صحة موقفنا هو أن طريقتنا هذه هي ما يتبعه جل دعاة الإسلام اليوم في الشرق والغرب ويؤلف فيها العلماء المسلمون الكتب المطولة والمقالات الباهرة التي تؤكد صحة دين الإسلام عن طريق العلم والحقائق المعرفية الحديثة، كما أن هذه الطريقة هي اختيار الأغلبية العظمى من دعاة الإسلام الذين يبرعون في المرئيات والمسموعات على وسائل الميديا والتواصل الإجتماعي.

وكما يجدر التأكيد على أن حجج علماء الكلام لا تخلو من الأخطاء في الإفتراضات وفي اعتبار مسلمات ليست على الحقيقة الا وهما متحصلا من ثقافة عصرهم أو ممن سبقهم من الفلاسفة الذين هم على غير ملة الإسلام وهو ما أدى بهم إلى أخطاء في الإستنتاجات أو تكلف كبير في الردود على حجج الفلاسفة الواهية لعدم وجود العلم القاطع بطبيعة العالم وعدم الإطلاع على نتائج العلم التجريبي الحديث.

ان مما لا شك فيه بأن الخالق إنما بعث الرسل والنبيين وايدهم بالمعجزات والأدلة للناس لكي يعرفوه ويؤمنوا به ويعبدوه ولا يشركوا به احدا، وينفذوا اوامره ويجتنبوا نواهيه، يقول الله عز وجل (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(البقرة: 21)، ويقول الله عز وجل (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)(الذاريات: 56)، ويقول الله عز وجل (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا)(النساء: 48)، ويقول الله عز وجل (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)(النحل: 36)، وعليه فإن اولى العلوم بالمعرفة والدراسة للمسلم هي علوم العقيدة الإسلامية وخصوصا اصول العقيدة التي لا يصح ايمان المسلم بدونها ولا يعذر المسلم في عدم معرفة اصول العقيدة باي حال من الأحوال، لأن هذا هو عين الإعراض عن دين الله بعدم تعلم أصوله وعقائده وثم الاقرار بها والعمل بمقتضاها، وعليه فقد وجب ان نضمّن كتابنا هذا الجزء والذي يختص ببيان العقيدة الحق، وبيان ما اختلف فيه المسلمون بإيجاز وإثبات أن الحق هو ما عليه السواد الأعظم من المسلمين وهو ما يوافق صريح القرآن الكريم وصحيح السنة المطهرة مع الاعتراف بوجود اختلاف في فروع العقيدة بين اهل الحق مما يسهل الخلاف فيه ولا يترتب عليه تبديع أو تكفير لبعضهم.

وأعلم أن السواد الأعظم من المسلمين هم أهل السنة والجماعة وهم عندنا اهل الحق المبين والعقيدة الصحيحة والذين ينقسمون إلى فريقين هم أهل الرأي وهم أتباع الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه وأهل الحديث وهم أتباع الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد بن حنبل رحمهم الله جميعا.

اما المتون المعتمدة عند كلا الفريقين، فالحق أنه لا يوجد متن محقق منقول أو مأثور عن أحد أئمة اهل الحديث، وإنما هناك اجتهادات لعلماء من مختلف هذه المذاهب الثلاثة، أهمهم الإمام أبو الحسن الأشعري والذي أصل في العقائد على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله للوصول إلى تصور عقدي كامل لعقيدة أهل السنة والجماعة والذي يتابعه في اجتهاداته معظم علماء المذهب الشافعي والمذهب المالكي، ومنهم أيضا الإمام أبو الفرج ابن الجوزي وتلميذه موفق الدين ابن قدامة المقدسي والذين ألفوا ايضا في العقيدة اعتمادا على أقوال وتقريرات الإمام احمد بن حنبل رحمه الله في مذهبه، ولكن هذه المؤلفات أو التقريرات التي قررها هؤلاء الأئمه لم تكن يوما محل إجماع عند جميع علماء أهل الحديث وكما ان فيها استرسال في تقرير فروع تفصيلية للمسائل العقدية بحيث يصعب على عوام المسلمين فهمها واستيعابها، ناهيك عن تكليفهم بدراستها واعتقادها.

أما عند الحنفية فإن الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه قد اهتم بتقرير عقيدة أهل السنة والجماعة بما يوافق القرآن والسنة الصحيحة والمنقول عن الصحابة الكرام وأقرانه من فضلاء التابعين، وحيث أن له عدة كتب أهمها كتاب الفقه الأكبر الذي يعنى ببيان عقيدة السلف الصحيحة، كما ذكر بعض المسائل العقدية في الفقه الأبسط ورسالة العالم والمتعلم والوصية، وقد نقل إلينا الإمام أبو جعفر

الطحاوي الحنفي رحمه الله في متنه المختصر المشهور هذه العقائد التي اتفق عليها ايضا جميع علماء الحنفية بل ومعظم علماء أهل السنة والجماعة من كلا الفريقين، وكما أن هذا المتن ألفه الإمام رحمه الله نقلا عن إجماع أئمة الحنفية الثلاثة وحيث أنه يبدأ بهذه المقدمة (قال العلامة حجة الإسلام أبو جعفر الوراق الطحاوي بمصر رحمه الله: هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، على مذهب فقهاء الملة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وأبي عبدالله محمد بن الحسن الشيباني رضوان الله عليهم أجمعين؛ وما يعتقدون من أصول الدين، ويدينون به رب العالمين)[63]، فأصبح هذا المتن المختصر هو المرجع عند جميع أتباع المذاهب السنية المعتبرة لبيان عقيدة أهل السنة والجماعة الأصولية وفق فهم سلف هذه الأمة للقرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأصبح هذا المتن المجمع عليه هو بحق مختصر لما يكلف عوام المسلمين بإعتقاده في اصول الدين.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الإمام أبو منصور الماتريدي رحمه الله نقل ايضا نفس العقائد عن الإمام أبو حنيفة وفي وقت متزامن تقريبا مع الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله، ولكن الإمام الماتريدي لم يوردها مجردة بل قام بتأليف كتابه المشهور (التوحيد) والذي ينتصر فيه لجميع ما أقره الإمام أبو حنيفة من العقائد بإستخدام الحجج الكلامية والبراهين العقلية بالإضافة إلى الأدلة من الكتاب والسنة وكما دافع عن عقيدة أهل السنة والجماعة امام الفرق المبتدعة من

[63] الطبعة الأولى لدار ابن حزم عام 1995 متن العقيدة الطحاوية

ومعتزلة وقدرية وجبرية ومرجئة ومجسمة وخوارج ورافضة، وقد أجاد الرد عليهم وأثبت بطلان وفساد مناهجهم.

ولكن الإمام الماتريدي رحمه الله قد توسع في الكثير من المسائل الفرعية فيما يخص الإستنتاجات والتقريرات المترتبة على الحجج العقلية والمنطقية، والتي قد لا تكون من لوازم الإفتراضات الأساسية وانا ارى ان الحق هو عدم التعرض لهذه الإستنتاجات الفرعية المختلف عليها في كتابنا هذا وعدم الخوض فيها و الإكتفاء بنقل ما عليه الإجماع بين علماء أهل السنة والجماعة والذي يكلف عوام المسلمين بإعتقاده، مع الاستشهاد بما أورده الإمام الماتريدي في تفسير وشرح بعض المسائل العقدية التي أجاد الإمام فيها وسهل فهمها سواء في كتابه التوحيد أو في تفسيره للقرآن الكريم (تأويلات أهل السنة).

بناء على ما سبق فقد قررت ايراد شرح متن العقيدة الطحاوية في هذا الجزء من الكتاب وحيث أنه بحق عقيدة أهل السنة والجماعة وفق تقريرات علماء السلف الكرام، وحيث أوردت المتن الأصلي كما جاء في الطبعة الأولى لدار ابن حزم عام 1995، ولكن لما كنت غير أهل للشرح على هذا المتن العظيم فقد قررت الإستناد في ذلك على أقرب الشروح الموافقة للمعنى المراد وذلك لشيخين من علماء المذهب وهما قاضي القضاة سراج الدين الغَزْنَوي الهندي الحنفي المتوفى سنة (773هـ - 1372م)[64]، والشيخ الجليل العلامة عبد الغني الغنيمي

[64] رغم سعة علم الشيخ سراج الدين الغزنوي وتوفيق الله له في شرحه لهذا المتن ولكن نقل عنه مخالفات في التعصب للتصوف البدعي والدفاع عن بعض غلاة المتصوفة الذين وقعوا في المحظور وأنه اجتهد في تأويل ما وقعوا فيه من العقائد الفاسدة مثل ابن الفارض وذلك لدفع شبهة الكفر عنهم، وهو ما لا نجوزه ولا نقبله، ولكننا لم نجد في شرحه للعقيدة الطحاوية اقرارا لمذهب هؤلاء الفاسد بل هو يؤكد بوضوح عقيدة المسلمين وأهل السنة والجماعة بتنزيه الخالق عن كل نقص أو حلول أو تشبيه أو تماثل ولربما أن ما نسب للشيخ في الدفاع عن هؤلاء الغلاة الضالين غير صحيح أو انه قد رجع عن الدفاع عنهم وألف شرحه هذا بعد ذلك هذا والله أعلم.

الميداني الحنفي المتوفى سنة (1298هـ - 1881م)[65] رحمهم الله، واوردت فقط ما امكن من التعزيز بالادلة العقلية والنقلية أو الشرح اليسير، وكما أنني اجتهدت في الإختصار بالنقل قدر الإمكان والله ولي التوفيق.

الإيمان بالله تعالى

نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره. وذلك مصداق لقوله تعالى (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)(الإخلاص)، وقوله تعالى (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)(الأنعام :162 - 163)، وقوله تعالى (فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)(الشورى :11)، وقوله تعالى (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا)(فاطر :44)، وقوله تعالى (اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)(آل عمران :2)، يقول الإمام الماتيريدي في تفسيره لهذه الآية (وقوله: (ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ):هو الحيُّ بذاته، وكل حيٍّ سواه حيٌّ بحياة هي غيره، فاذا كان هو حيّاً بذاته لم يوصف بالتغاير والزوال، ولما كان كل حيٍّ سواه حيّاً بغيره احتمل التغاير والزوال؛ وكأن الحياة عبارة يوصف بها مَنْ عَظُمَ شَأْنُهُ، وشَرُفَ أمره عند الخلق)، وهنا يؤكد الإمام الماتيريدي مبدأ التغاير بين الخالق والمخلوق وحيث ان الله سبحانه

[65] الشيخ الميداني من أفاضل علماء الحنفية ويعرف عنه التصوف السني البعيد عن البدع والغلو ومخالفة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة و تقريرات علماء المذهب.

وتعالى هو الفاعل المسبب وأن الكون وجميع المخلوقات هي نتائج فعل الله وهو التكوين والخلق، فالله هو الخالق الحي القائم بذاته وجميع المخلوقات محتاجه إليه لإيجادها واستمرار وجودها، وهذه الحقيقة تحيل إلى فساد عقائد بعض الفلاسفة وغلاة المتصوفة الحلولية القائلين بوحدة الوجود أو الحلول والإتحاد بين الخالق والمخلوقات موافقين بذلك اقرانهم من غلاة اليهود الغنوصيين تعالى الله عن ذلك علو كبيرا، وهذه العقائد من اكبر انواع الشرك المخرج من دائرة الإسلام وحيث أنها تصحح عقائد من يعبد النجوم و الكواكب أو من يعبد الأصنام و البشر بل أنها تصحح كل عقيدة شركية وقعت فيها البشرية، فكل من اعتقد بأن الله يحل في شخص أو شيء أو ان المكون والكون شيء واحد فقد كفر، كما هو معلوم في المذهب بل بإجماع اهل الإسلام جميعا.

ومن مقتضيات توحيد الله سبحانه وتعالى هو عدم التوجه في العبادة الا إليه وحده يقول الله عز وجل (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)(الكهف:110)، وقد بين الله سبحانه وتعالى ان اعظم جريمة يقترفها الإنسان هي الكفر والشرك به، يقول الله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا)(النساء: 48)، فقال الله عز وجل في حق النصارى الذين اتخذوا المسيح اله مع الله وتوجهوا بصلواتهم إلى القديسين مثل مريم العذراء و بطرس و بولس ومارجرجس وأغسطينوس وغيرهم (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)(التوبة:31)، فبين الله عز وجل ان

التوجه بالصلاة التعبدية إلى غيره هو شرك به سواء بإعتقاد الوهية هذا الآخر كما هو حال الأغلبية الساحقة من النصارى في اعتقادهم عن المسيح أو التوجه إلى القديسين في الصلاة كما هو حال طائفة الكاثوليك وحيث أنهم يعتقدون أن هؤلاء القديسين لهم تصرف في أمور الكون، فيطلبون منهم ويسألونهم حاجاتهم مع التذلل والتقرب إلى رموزهم وتماثيلهم أو تقلد القلائد والتمائم التي تحتوي صورهم واسمائهم[66].

لذلك فالواجب على المسلم الذي فهم معنى التوحيد ورسالة الإسلام أن لا يتوجه بالدعاء التعبدي الا لله عز وجل وأن لا يستعين إلا بالله عز وجل فيما لا يقدر عليه إلا هو، قال تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)(الفاتحة : 5)، وقال تعالى (قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ)(الأعراف: 128)، وفي الحديث الشريف (عن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب -رضي الله تعالى عنهما- قال: كنت خلف النبي ﷺ يوما، فقال: يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم: أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف)(رواه الترمذي).

وهنا يجب التفريق بين من يتوجه إلى المخلوقين بالدعاء وهذا لا يجوز في الإسلام وبين ما هو مندرج في باب التوسل إلى الله، وذلك حسب الشرح التالي:

---

[66] لا تعارض بين هذا التفسير للآية الكريمة وبين الحديث المروي عن عدي بن حاتم الطائي والذي يفسر العبادة في الآية الكريمة بأن هؤلاء الأحبار والرهبان يحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله فيطيعهم اليهود والنصارى في ذلك، فالآية تحتمل كلا المعنيين ولا حرج في الجمع بينهما.

اولا: الإستعانة والإستغاثة بذات المخلوق فيما هو من الخوارق أو من ما هو خارج عن الأخذ بالأسباب الطبيعية ولا فرق في الحكم بين أن يكون المخلوق حيا أو ميتا، وذلك مثل أن يستعين ويطلب من الأنبياء والأولياء اعتقادا منه بقدرتهم وتصرفهم في أمور الكون سواء استقلالا أو بدعوى التكليف من الله[67]، كمن يطلب الرزق والولد والنصر والشفاء من المرض من الأولياء والصالحين، ومنه أيضا أن يتقرب إلى الأولياء (أحياء أو أموات) بصورة من صور العبادة التي لا تجوز إلا في حق الله، كتقديم القرابين أو السجود أو بالنذر أو بالطواف حول قبورهم وأمثال ذلك، وهذا كله من صور الشرك الصريح الذي يخرج صاحبه من دائرة الإيمان، قال الإمام محيي الدين البركوي الحنفي رحمه الله (وأمّا الزيارة البدعية: فزيارة القبور لأجل الصلاة عندها، والطواف بها، وتقبيلها، واستلامها، وتعفير الخدود عليها، وأخذ ترابها، ودعاء أصحابها، والاستعانة بهم، وسؤالهم النصر، والرزق والعافية، والولد، وقضاء الديون، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفان، وغير ذلك من الحاجات التي كان عبّاد الأوثان يسألونها من أوثانهم، فليس شيئا من ذلك مشروعا باتفاق أئمة الدين؛ إذ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أحد من الصحابة، والتابعين، وسائر أئمة الدين، بل أصل هذه الزيارة البدعية الشركية مأخوذة عن عبّاد الأصنام)[68]، وقال الإمام حسن البنا رحمه الله (وزيارة القبور اياً كانت مشروعة بالكيفية المأثورة، ولكن الاستعانة بالمقبورين اياً كانوا ، وندائهم لذلك، وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب ، أو بعد، والنذر لهم ، وتشييد القبور ، وسترها، وإضاءتها، والتمسح

---

[67] التكليف الإلهي هو من أكبر مداخل الشرك في جميع الأمم، فلا خلاف بين جميع المسلمين على كفر من اعتقد في احد من الخلق القدرة الذاتية استقلالا.

[68] مجموعة رسائل ابن عابدين (1/ 67).

بها، والحلف بغير الله، وما يلحق بذلك من المبتدعات، كبائر تجب محاربتها، ولا نتأول لهذه الأعمال)[69].

وقد صنف الإمام صنع الله الحلبي الحنفي رسالة قيمة في هذا الباب سماها (سيف الله على من كذب على أولياء الله)، ومنه في أول الرسالة (هذا وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدّعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات، ويستغاث بهم في الشدائد والبليات، وبهممهم تنكشف المهمات، فيأتون قبورهم، وينادونهم في قضاء الحاجات، مستدلين على أن ذلك منهم كرامات.

وقررهم على ذلك من ادعى العلم بمسائل، وأمدهم بفتوى ورسائل، واثبتوا للأولياء بزعمهم الإخبار عن الغيب بطريق الكشف لهم بلا ريب، أو بطريق الإلهام أو منام!

وقالوا: منهم أبدال ونقباء، وأوتاد نجباء، وسبعين وسبعة، وأربعين وأربعة، والقطب هو الغوث للناس، وعليه المدار بلا إلتباس، وجوزوا لهم الذبائح والنذور، وأثبتوا لهم فيهما الأجور.

وهذا كما ترى كلام فيه تفريط وإفراط، وغلو في الدين بترك الاحتياط، بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي؛ لما فيه من روائح الشرك المحقَّق، ومصادرة الكتاب العزيز المصدَّق، ومخالفة لعقائد الأئمة وما اجتمعت عليه هذه الأمة)[70].

أما الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فهي أكثر من أن تحصى ويكفي قول الله تعالى في كتابه العزيز مخاطبا رسوله (قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا

---

69 الأصول العشرين للإمام حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين

70 سيف الله على من كذب على أولياء الله، الإمام صنع الله الحلبي الحنفي

أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا * قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا)(الجن : 20- 21)، وقوله تعالى (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ۖ لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا)(الكهف: 26)، فالنافع والضار والمتحكم في جميع أمور الكون هو الله وحده لا يشرك في حكمه ملك مقرب أو نبي مرسل، وإنما يكلف الملائكة بالتصرف فيما أمر به ويكلف الأنبياء والرسل بتبليغ الناس بما أمر به، فهؤلاء المختارين من عباده لا يملكون اجابة داعٍ أو نصرة مستغيث أو رزق طالب!!! فمن توجه إليهم بأي من ذلك فقد وقع في وحل الشرك والعياذ بالله، فكيف بمن يتوجه إلى من هم دونهم من الأولياء والصالحين الذين لم يكلفوا أصلا بتبليغ رسالة أو بتصرف الملائكة، نعوذ بالله من الخذلان.

ثانيا: التوسل إلى الله ويمكن تقسيمه إلى هذه الأنواع الخمسة :

1- ما هو في حكم الواجب، وهو ما يستفاد من قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(المائدة: 35)، فالمسلم مطالب بالتضرع إلى الله وإخلاص الدعاء له والتوسل إلى الله بذاته وبصفاته وبالعمل الصالح والطاعات وترك المعاصي والذنوب.

2- ما هو في حكم المندوب، ومنه التوسل إلى الله في حب الرسول صلى الله عليه وسلم وتعظيمه والصلاة عليه ومنه أيضا التوسل إلى الله بحب صحابة رسول الله ولا سيما فضلاء الصحابة مثل أبو بكر الصديق وعمر وأبو عبيدة وعثمان وعلي كرم الله وجهه وباقي الصحابة الكرام عليهم رضوان الله، والتوسل إلى الله بحب آل البيت والعترة الطاهرة ولا سيما الحسن و الحسين السبطين والصالحين من أبنائهم وأحفادهم رضي الله عنهم أجمعين، وهذا من

المنقول عن الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه، حتى أنه دفع حياته ثمنا لحبه وموالاته لآل البيت في سجون الظالمين، ومنه أيضا التوسل إلى الله بحب الأولياء والصالحين وموالاة المصلحين ومعاداة الظالمين والمفسدين، ومنه أيضا التوسل إلى الله بالسنن وفضائل الأعمال من النوافل والصدقات وغيرها.

3- ما هو في حكم المباح، ومنه التوسل إلى الله بزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ويجوز شد الرحال لذلك كرامة للرسول عليه الصلاة والسلام على الحصر، ويجوز أيضا التبرك بمتعلقات الرسول عليه الصلاة والسلام كالعباءة والشعر وعمامته وغيرها، ويجوز الدعاء والصلاة لله عند مقام أحد الأنبياء أو الصحابة الكرام أو الأولياء والصالحين بنية التوسل بهم بشرط عدم شد الرحال لزيارتهم أي أن تكون الزيارة عرضية والإختصار في الزيارة وعدم الإتيان بأي من المحظورات فيها، ويدخل في ذلك أيضا الطلب من الصالحين الأحياء الدعاء له ولكن ايضا بشرط عدم تعمد زيارتهم لذلك.

4- ما هو في حكم المكروه، ويدخل في ذلك كل ما كان بصفة الإقسام على الخالق بالمخلوقين مثل التوسل بجاه الرسول عليه الصلاة والسلام أو بالكعبة المشرفة، يقول الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه (يكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام، والمشعر الحرام، ونحو ذلك)[71]، ويدخل في المكروه شد الرحال لزيارة قبور الأولياء والصالحين قاصدا ذلك، أو تعمد زيارة الصالحين الأحياء بنية طلب الدعاء منهم.

---

[71] شرح الفقه الأكبر للإمام علي قاري الحنفي.

5- محرم وآثم فاعله، وهو زيارة القبور والأضرحة من أجل طلب الدعاء لله من الأموات المدفونين فيها، فإنه من أشكال التعلق بغير الله ومن مداخل الشرك وفيه عصيان صريح والعياذ بالله، يقول الله عز وجل (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)(البقرة: 186)، وعليه فصاحب هذا الفعل آثم عاص، ويجب أن ينتهي المسلم عن مثل هذه الأفعال التي تمس بجانب التوحيد يقول الإمام ولي الله الدهلوي أحمد بن عبد الرحيم الحنفي (كل من ذهب إلى بلدة أجمير، أو إلى قبر سالار مسعود أو ما ضاهاها لأجل حاجة يطلبها، فإنه آثمٌ إثمًا أكبر من القتل والزنا، ليس مَثَلُه إلا مثل من كان يعبد المصنوعات، أو مثل من كان يدعو اللات والعزى)[72]، أما بما يخص الخلاف بين من يعتقد بأن الأموات يسمعون الزائرين وبين من ينفونه فحكم التحريم واحد بغض النظر عن صحة رأي أي من الفريقين، ونحن نتابع امامنا كمال الدين ابن الهمام الحنفي[73] وإمامنا محمد أمين ابن عابدين في نفي السماع ونرى بأن الآيات الصريحة تقطع الحجة بنفي سماع الموتى للأحياء وذلك لقوله تعالى (وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ)(فاطر: 22)، أما بخصوص ما ورد من الأحاديث والآثار من سماع الرسول صلى الله عليه وسلم في قبره أو سماع قتلى المشركين في بدر لنداء الرسول صلى الله عليه وسلم، فنرجع بذلك إلى أصول المذهب الحنفي وحيث أن الحديث المشهور يخصص عام القرآن فيكون سماع قتلى قريش استثناء خاص في ذلك الموقف بإذن الله وقد مضى وانتهى،

72 التفهيمات الإلهية - الإمام ولي الله الدهلوي الحنفي

73 الإمام محمد بن عبد الواحد السيواسي كمال الدين، المعروف بابن الهمام، قال السخاوي في حقه: «إنه عالم أهل الأرض ومحقق أولى العصر» توفي سنة 861 هجري.

أما الآثار والأحاديث التي تخص سماع الرسول صلى الله عليه وسلم فتكون أيضا استثناء له من دون الخلق، وأما الآثار التي لا ترقى إلى رتبة الحديث المشهور فلا يجوز تخصيص القرآن بها فيبقى حكم القرآن العام بعدم السماع، هذا والله أعلم.

ويجب التنويه إلى أن حكم طلب الدعاء من الأموات البعيدين (من غير الحضور إلى قبورهم واضرحتهم) يختلف عن الحكم السابق فهذا الفعل هو من الكبائر الموبقات لأنه يصاحبه اعتقاد في غاية الفساد وهو سماع الميت للطلب منه بلا حد مكانا وزمانا، وهذا مما لا يكون إلا لله تعالى.

وهنا يجب أن نحذر من الإنجرار وراء الغلو والتوسع في تكفير المسلمين بهذه المسألة، فنفرق بين المسائل التي هي في حكم المكروه والحرام وبين الإعتقادات والأعمال الشركية سابقة الذكر، ونفرق أيضا بين ممن هو مناط الدعوة والنصح والإرشاد من المسلمين وبين ممن هو مناط تطبيق الأحكام الشرعية والحدود والعقوبات، وحيث أنه قد خرجت فرقة من الحنابلة في القرن الثامن عشر الميلادي على يد محمد بن عبد الوهاب النجدي (الدعوة النجدية السلفية) والتي غالت في التكفير ورمي المسلمين بالشرك والإلحاد بالجملة وتوجت ذلك بإستحلال دماء المسلمين وأموالهم في جزيرة العرب بل وصل بهم الحد لتكفير كل من خالفهم بما فيه دولة الخلافة الإسلامية العثمانية، وهؤلاء ينطبق عليهم معظم صفات الخوارج، يقول الإمام الفقيه محمد أمين ابن عابدين الحنفي (كما وقع في زماننا في أتباع محمد بن عبد الوهاب الذين خرجوا من نجد وتغلّبوا على الحرمين، وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة، لكنهم اعتقدوا أنهم هم المسلمون

وأن من خالف اعتقادهم مشركون، واستباحوا بذلك قتل أهل السنّة قتل علمائهم حتى كسر الله شوكتهم وخرب بلادهم وظفر بهم عساكر المسلمين عام ثلاث وثلاثين ومائتين وألف)[74]، أما وجه الحكم فذلك بأنهم يحققون قول الرسول صلى الله عليه وسلم (يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان)[75]، (ومن خرج على أمتي، يضرب برها وفاجرها، ولا يَتَحَاشَى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه)[76]، ومعلوم ما وقع منهم في حق المسلمين من قتلهم الرجال واستباحة الأموال بدعوى الكفر والردة بل إن ذلك منصوص عليه في كتب التاريخ المعتمدة لديهم مثل كتاب تاريخ ابن غنام وكتاب عنوان المجد في تاريخ نجد لإبن بشر، وهم يسمون أنفسهم صراحة بالمسلمين ومخالفيهم من سكان الجزيرة العربية بالمرتدين والمشركين وبهذا ينطبق عليهم أيضا قول سيدنا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لما سئل عن أهل النهر (أمشركون هم؟. قال: من الشرك فروا. قيل: فمنافقون هم؟. قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا. قيل له: فما هم؟. قال: قوم بغوا علينا)[77]، وكما ينطبق عليهم قول عبد الله بن عمر رضي الله عنه (انْطَلَقُوا إلى آياتٍ نَزلتْ في الكُفَّارِ فجَعلُوها في المُؤمِنينَ)[78]، وهذه المقولة ظاهرة وواضحة في جميع مؤلفات محمد بن عبد الوهاب مثل كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وكتاب كشف الشبهات ورسائله العديدة التي تقطر بالتكفير الصريح واستباحة دماء المسلمين بأقل

[74] حاشية رد المحتار على الدر المختار الجزء السادس ص 413- الإمام ابن عابدين الحنفي
[75] أخرجه البخاري (3344)، ومسلم (1064).
[76] أخرجه مسلم (1848)، والنسائي (4114)، وابن ماجه (3948)، وأحمد (8061).
[77] كتاب تعظيم قدر الصلاة - محمد بن نصر المروزي
[78] صَحِيح البُخارِي ج8 ص51- تعليق الإمام البخاري في باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم.

شبهة[79]، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وقد زادوا على معتقدهم الفاسد هذا، التعصب للشيخ إبن تيمية غفر الله له في آرائه المخالفة لمعتقد أهل السنة والجماعة من حيث إثبات مقتضى الجسمية والمكان والحد للذات العلية، تعالى الله عن ذلك، فجمعوا القبيح من معتقدات المجسمة والخوارج ولا حول ولا قوة الا بالله.

وقد انقسمت هذه الفرقة عدة انقسامات في وقتنا هذا فمنهم من هو في نفس حكم سلفه مثل اتباع ما يسمى بالسلفية الجهادية التي انبثقت منها التنظيمات المتطرفة مثل تنظيم القاعدة والدولة الإسلامية وبوكو حرام وغيرها، ومنهم من ترك الغلو في التكفير ولكنهم غلو في موالاة الحكام الظلمه والفاسدين مثل اتباع السلفية المدخلية والجامية، ومنهم من توازن في مسألة التكفير ونفى التشبيه صراحة عن الله تعالى (مع التمسك بمقتضى التجسيم البدعي) مثل اتباع الشيخ محمد ناصر الدين الألباني غفر الله له، فهذه الفرق لا تأخذ حكم الخوارج بطبيعة الحال وإنما

---

[79] من أوضح الأمثلة على تكفير ابن عبد الوهاب للمسلمين قوله في إحدى رسائله (لقد طلبت العلم واعتقد من عرفني أن لي معرفة وأنا ذلك الوقت لا أعرف معنى لا إله إلا الله ولا أعرف دين الإسلام قبل هذا الخير الذي منّ الله به وكذلك مشايخي ما منهم رجل عرف ذلك فمن زعم من علماء العارض أنه عرف معنى لا إله إلا الله أو عرف معنى الإسلام قبل هذا الوقت أو زعم عن مشايخه أن أحدا عرف ذلك فقد كذب وافترى ولبّس على الناس ومدح نفسه بما ليس فيه) الدرر السنية (10/51-52)، فهو ينفي معرفة الإسلام والتوحيد عن جميع شيوخ الحنابلة في نجد السابقين والمعاصرين له، اما استحلال دماء المسلمين بلا ادنى شبهة فأوضح الأمثلة هو رسالته إلى عبد الله بن علي ومحمد بن جماز(من محمد بن عبد الوهاب، إلى الإخوان : عبد الله بن علي ومحمد بن جماز، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
وبعد، لا تحركون إلى أن ننبكم تراكم ما تجوزون إلا براضة هلحين. وفرج وعرفج الذين وراهم يبون يتبينون في الدين، ولا يبغون شيئاً. فأنت يا عبد الله، أخبرهم بالمبغي منهم، ترى الأمر يدور على ما قال الله تعالى: (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ) الآية. فأمرهم بي يفهمونه، ولكن الأمر لهم يأمرهم بالتوبة من الشرك، والدخول في الإسلام. وأهل القصيم غارهم إن ما عندهم قبب ولا سادات، ولكن أخبرهم أن الحب والبغض والموالاة والمعاداة لا يصير للرجل دين إلا بها، ما داموا ما يغيضون أهل الزلفي وأمثالهم، فلا ينفعهم ترك الشرك ولا ينفعهم قول: "لا إله إلا الله". فأهم ما تفطنهم له: كون التوحيد من أخل به مثل من أخل بصوم رمضان، ولو ما أبغضه) كتاب الرسائل الشخصية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الجزء السادس)(322).

هم مبتدعة في بعض الجوانب العقدية والفقهية[80]، ولكن من باب الإنصاف يجب علينا أن لا ننكر جهود بعض أتباع هذه الفرقة اليوم وخصوصا المعتدلين منهم (الذين ليسوا في حكم الخوارج) في نصرة التوحيد في العبادة والتحذير من البدع وضلالات القبورية سالفة الذكر، يقول الله عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)(المائدة: 8)، فالمسلم لا يفجر في الخصومة ويعطي كل ذي حق حقه، ونحن نشهد بالحق ان شاء الله.

قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء، لا يفنى ولا يبيد، ولا يكون إلا ما يريد.

وذلك مصداق لقوله تعالى (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)(الحديد :3)، وقوله تعالى (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ)(الرحمن :27)، وقوله تعالى (فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ)(البروج :16). والله عز وجل لا بداية له فهو الأول ولا نهاية له فهو الآخر فلا يحده أي من مخلوقاته بما فيها الزمان والمكان اللذين خلقهما واوجدهما لحاجة باقي مخلوقاته إليهما ووقوع التكوين والحدوث للمصنوعات بمقتضاهما.

لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام، ولا يشبه الأنام، حي لا يموت، قيوم لا ينام.

---

[80] رغم تعصب شيوخ الدعوة النجدية الأوائل للمذهب الحنبلي في الأمور الفقهية فقد خالف شيوخ الدعوة المتأخرين ذلك فادعوا الاجتهاد من القرآن والسنة مباشرة وعدم تقليد المذاهب الأربعة ولكنهم في الحقيقة خلطوا بعض أصول المذهب الحنبلي مع آراء الشيخ ابن تيمية وتلميذه ابن القيم مع آراءهم الشخصية فوقعوا في الميوعة المذهبية وأصبح لكل فرقة منهم مرجعية فقهية مرتبطة بشيخ أو مجموعة محدودة من شيوخهم، وكل فرقة تخطئ الفرقة الأخرى وتدعي اصابة الحق، ولا حول ولا قوة الا بالله.

وذلك مصداق لقوله تعالى (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا)(طه: 110)، وقوله تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ)(الشورى:11)، وقوله تعالى (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا)(الفرقان: 58)، وقوله تعالى (اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ)(البقرة: 255).

يقول الشيخ الغزنوي (الوهم: قوة تدرك الجزئيات، والفهم: إدراك العقل للكليات، والله تعالى ليس بذي وضع وكيفية فينطبع في الأوهام، ولا بذي حد فيبلغ كنهه العقل ويحيط به، بل هو متعال عن ذلك، قال: (وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا)(طه: 110)، إذ الإدراك والإحاطة بجميع أطرافه لا يُتَصَوَّرُ إلا فيما يُحَدُّ وينتهي)[81]. وهذه قاعدة في غاية الدقة فالله عز وجل هو غيب الغيوب فعقول البشر قاصرة تماما عن ادراك ذاته، بل إن الخوض في ذلك هو من المزالق التي ضل فيها الكثير من الخائضين في ذات الله.

خالق بلا حاجة، رازق بلا مؤنة، مميت بلا مخافة، باعث بلا مشقة.

وذلك مصداق لقوله تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)(الذاريات: 56-58)، وقوله تعالى (يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)(فاطر: 15)، وقوله تعالى (مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ)(لقمان:28). يقول الشيخ الغزنوي (قوله: (خالق بلا حاجة) إذ الحاجة نقص

[81] شرح العقيدة الطحاوية للعلامة أبي حفص سراج الدين الغزنوي.

يُحْتاج إلى دفعها، والله هو الغني المطلق، فلا يكون له حاجة في فعله، قال تعالى: (فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)(آل عمران: 97)).

ما زال بصفاته قديما قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزليا كذلك لا يزال عليها أبديا.

وذلك مصداق لقوله تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)(الشورى :11)، وقوله تعالى (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ)(الزمر: 62)، وقوله تعالى (وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۘ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)(القصص: 88)، يقول الشيخ الميداني (أي بسبب وجودهم (شيئاً لم يكن قبلهم) أي قبل وجودهم (من صفاته) متعلق بمحذوف صفة لشيء، أي لم يزدد بوجودهم شيئاً من صفاته لم يكن قبل وجودهم، إذ لو استفاد صفة لم يكن موصوفاً بها في الأزل لكان إذ ذاك ناقصاً تعالى الله عن ذلك. (وكما كان) سبحانه وتعالى (بصفاته) قديماً (أزلياً كذلك لا يزال عليها أبدياً) سرمدياً).[82]

يقول الشيخ الغزنوي (أراد بهذا الكلام أن الله عز وجل موصوفٌ بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أزلاً وأبداً سواء كانت صفات الذات كالحياة والقدرة والإرادة والمشيئة والسمع والبصر، أو صفات الأفعال كالتخليق والتكوين والإحياء والإماتة، فإنها كلها صفات له قائمة بذاته قديمات مصونات الزوال ، وكان موصوفاً بهذه الصفات قبل خلقه، أي: قبل مخلوقاته، فإن (الخلق) يُذكر ويراد به المخلوق).

[82] شرح العقيدة الطحاوية للشيخ عبد الغني الميداني.

ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداث البرية استفاد اسم الباري.

يقول الشيخ الغزنوي ((الخالق) و (الباري) بمعنى واحد، يقال: برأ، اي: خَلَقَ. والبرية والخليقة، وإنما كرر هذا الكلام تأكيداً لمعنى أن الله في الأزل متصف بصفات الكمال عير مُتَعَرٍّ عن شيء من صفات المدح، إذ يستحيل أن تكون ذاته في الأزل خالية عن صفات الكمال لما في ذلك من النقص، وهو محال على الله تعالى؛ ولأن التعري منها يوجب الافتقار إلى حصوله بإيجاد العالم، والله تعالى غني عن العالمين متعالٍ عن أن يكتسب صفة لم تكن له بإيجاد الخلق). يقول الإمام الماتريدي في كتاب التوحيد (ونحن نقول بأنه عز وجل لم يزل عالما قادرا فاعلا جوادا على الوجوه التي تصح في العقل ويقوم معه التدبير إنه لم يزل كذلك ليكون بفعله كل شيء يكون في وقت كونه بوجه يصح عنه دفع الوصف بالغنا عن التكوين والإمتناع عن وقوع القدرة عليه والغنا بنفسه في الوجود عن الباري ولا قوة إلا بالله).

له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالقية ولا مخلوق. وكما أنه محيي الموتى بعدما أحياهم استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم.

ويقول الشيخ الغزنوي (هذا تحقيق لما ذُكِر أولاً وتأكيدٌ له، فإنه تعالى (خالق) و (رب) قبل وجود المخلوق والمربوب، لأن صفاته قائمة بذاته. وحاصل هذا الكلام نفي قول الأشاعرة حيث قالوا: إن صفات الذات قديمة، وصفات الفعل كالخلق والإيجاد والتكوين محدثة، وهو قول عامة المعتزلة والنجارية والكرامية.

ونحن نقول: إن الله تعالى بجميع صفاته قديم؛ لأن الله تعالى مدح نفسه في الأزل بصفات الفعل بقوله: (هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) (الحشر: 24)، فثبت أنه موصوف في الأزل بكونه خالقاً بارئاً مصوِّراً، ولا مخلوق في الأزل ولا مربوب ولا مصوَّر؛ ولأن صفات الفعل لو كانت حادثة في ذات الله للزم أن يكون محلاً للحوادث، وهو باطل، أو في محل آخر أو لا في محل، والكل محال، يؤيد ذلك قوله تعالى: (هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) (الحشر: 24)).

ذلك بأنه على كل شيء قدير، وكل شيء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير، لا يحتاج إلى شيء، (ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير).

يقول الشيخ الغزنوي (قوله: (وكل شيء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير) معناه: كل شيء مفتقر إليه في وجوده وبقائه، لا وجود لشيء إلا بإيجاده، ولا قوام لشيء إلا بتقويمه، فهو القيوم الذي أحوج إليه كل شيء، هو الله الغني وأنتم الفقراء، وجميع الأشياء يوجدها بقول: (كُنْ فَيَكُونُ)، وجميع الأمور عليه يسيرة، لا يلحقه بإيجادها مشقة)، وهنا يقرر الشيخ مبدأ غنى الله بذاته و احتياج الخلق للخالق لإيجاده وقوامته على خلقه، وهو ما يؤكد ما أوردناه سابقا بفساد عقائد من يؤمن بوحدة الوجود والحلول ومخالفتها لعقيدة الإسلام جملة وتفصيلا .

خلق الخلق بعلمه، وقدر لهم أقدارا، وضرب لهم آجالا. لم يخفَ عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم، وأمرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته.

يقول الشيخ الميداني ((لم يخف عليه شيء من أفعالهم) من (قبل أن خلقهم) بل (وعلم ما هم عاملون) من (قبل أن يخلقهم) والعلم صفة من صفاته الذاتية وهي صفة أزلية ينكشف بها المعلومات عند تعلقها بها، فالله تعالى عالم بجميع الموجودات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض والسماوات، بل أحاط بكل شيء علماً من الجزئيات والكليات والموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات، فهو بكل شيء عليم من الذوات والصفات).

وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن.

يقول الشيخ الغزنوي (لقوله تعالى: (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)(التكوير: 29)، ولأن في نفاذ مشيئة غير الله، وعدم نفاذ مشيئته أمارة عجزه، حيث جرى في ملكه ما لم يشأ، وهو على الله تعالى محال).

يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي فضلا، ويضل من يشاء، ويخذل ويبتلي عدلا، وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله.

يقول الشيخ الغزنوي (بَيَّنَ بهذا الكلام أن العباد لا يستحقون على الله، وجوب مراعاة الأصلح، بل يتصرف فيهم كيف يشاء، لأن العالم مِلْكَه، وللمالك أن يتصرف في ملكه كيف يشاء ويريد، قال تعالى: (يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ)(آل عمران: 40)، و (يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ)(المائدة: 1)).

ويقول الشيخ الميداني (اي ما تعلقت المشيئة وهي الإرادة الإلهية بوجوده، يوجد لتعلق العلم بوجوده، وما لم تتعلق المشيئة بوجوده لا يوجد، لتعلق العلم بعدم

وجوده، وفي هذا رد على المعتزلة القائلين: إنما يريد الله من أفعال العباد ما كان طاعة، و المعاصي والقبائح واقعة بإرادة العبد على خلاف إرادة الله تعالى وقد قال تعالى: (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ)(الإنسان: 30)، وهم قد شاؤوا المعاصي فكانت بمشيئة الله تعالى بهذا النص).

وهو متعال عن الأضداد والأنداد، لا رادَّ لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره. آمنا بذلك كله، وايقنا أن كلا من عنده.

يقول الشيخ الميداني (أي لا يتعقبه أحد بتغيير ولا نقض، يقال: عقَّب الحاكم على حكم من كان قبله إذا حكم بعد حكمه بخلافه، أي لا راد لما أبرمه من قضائه ولا ناقض لما حكم به لأنه القاهر فوق عباده، (ولا غالبَ لأمره) وهو العزيز الحكيم).

الإيمان بنبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم

وأن محمدا عبده المصطفى، ونبيه المجتبى، ورسوله المرتضى، وأنه خاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء، وسيد المرسلين، وحبيب رب العالمين، وكل دعوى النبوة بعده فغَيٌّ وهوى، وهو المبعوث إلى عامة الجن، وكافة الورى، بالحق والهدى، وبالنور والضياء.

وذلك مصداق لقوله تعالى (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ)(الفتح : 29)، وقوله تعالى (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)(الأحزاب: 40)، وقوله تعالى (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا

أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ)(الأحقاف: 29)، وقوله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)(سبأ: 28)، وقوله تعالى (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)(الأعراف : 158)، ويثبت في الأثر أن النبي الكريم سيد ولد آدم، ومما ثبت عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سيد الثقلين (الإنس والجن) ويثبت عنه التوقف عن لفظ افضل الخلق جميعا، لعدم ورود الشرع به وتبعه الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في ذلك، وهذا هو الأحوط لأن هذه عقيدة، والعقيدة عندنا لا تثبت إلا بنص قطعي الثبوت قطعي الدلالة، أي بآية من القرآن الكريم قطعية الدلالة، أو حديث متواتر أو مشهور قطعي الدلالة. أما بخصوص قوله تعالى (إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ أُوْلَـٰئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ)(البينة: 7)، فهنا البرية تحتمل عدة معاني ولا نجزم بأنها تعني الخليقة جميعا يقول الإمام أبو منصور الماتريدي في تفسير هذه الآية (فإن كان البرية مأخوذا من البرى، فهو يرجع إلى الأصناف جميعا، وإن كان من البري - وهو التراب - فهو يرجع إلى البشر خاصة؛ فيصير كأنه قال: شر أهل البشر من جنسهم، وخير أهل الخير من جنسهم؛ لأنهم صاروا قادة في الهدى والخير)[83]، وكون الرسول صلى الله عليه وسلم هو أفضل المؤمنين فيثبت عندنا وصفه بأنه خير البرية، فيكون بذلك وصفه بخير الخلق محتملا بحسب معنى الكلمة، فيعذر بهذا كل من رجح الوصف بخير الخلق أو نفاه من علماء المسلمين.

[83] تأويلات أهل السنة - سورة البينة

وننوه هنا بأن الغلو في هذه المسألة قد جلبت بدع وأفكار دخيلة على الإسلام ومنها بدعة تفضيل قبر النبي الكريم على السماوات السبع والعرش والكرسي بالقياس على أن هذا القبر يحوي أفضل الخلق (حتى لو كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو أفضل الخلق فإنه لا يلزم هذا القياس)، ومنها دعوى بعض غلاة الصوفية ان الكون وما فيه خلق من أنوار الرسول صلى الله عليه وسلم وأن هذه الأنوار أول المخلوقات وهذا من الإطراء الذي نهى عنه الرسول الكريم في الحديث الشريف (لَا تُطْرُونِي كما أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فإنَّما أنَا عَبْدُهُ، فَقُولوا: عبدُ اللَّهِ ورَسولُهُ)(رواه البخاري)، وقال عز وجل (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ)(آل عمران: 144)، بل إن هذا الكلام فيه شبهة الأخذ من كتب النصارى، يقول بولس في الرسالة الأولى إلى كورنثوس (لانه وان وجد ما يسمى الهة، سواء كان في السماء أو على الأرض، كما يوجد آلهة كثيرون وأرباب كثيرون. لكن لنا اله واحد: الآب الذي منه جميع الاشياء، ونحن له. ورب واحد: يسوع المسيح، الذي به جميع الاشياء، ونحن به.)(كورنثوس الاولى: 5-6)، فيثبت بطلان هذه الدعوة من أصلها، ولا قوة الا بالله.

الإيمان بالقرآن الكريم

وإن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولا، وأنزله على رسوله وحيا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه، وأوعده

بسقر، حيث قال تعالى: (سأصليه سقر)، فلما أوعد الله بسقر لمن قال: (إن هذا إلا قول البشر) علمنا وايقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر.

وذلك مصداق لقوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41) لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (42))(فصلت: 41-42)، وقوله تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)(الحجر:9)، وقوله تعالى (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ)(التوبة: 6).

وهنا يقول الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه في الوصية (نُقِرُّ بأن القرآن كلام الله تعالى ، غير مخلوق ، ووحيه ، وتنزيله ، وصفته ، لا هو ولا غيره ، بل هو صفته على التحقيق ، مكتوب في المصاحف ، مقروء بالألسُن ، محفوظ في الصدور ، غير حالٍّ فيها ، والحبر والكاغد والكتابة كلها مخلوقة ؛ لأنها أفعال العباد ، وكلام الله سبحانه وتعالى غير مخلوق ؛ لأنَّ الكتابة والحروف والكلمات والآيات كلها آلة القرآن ؛ لحاجة العباد إليها ، وكلام الله تعالى قائم بذاته ، ومعناه مفهوم بهذه الأشياء ، فمَنْ قال بأنَّ القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم، والله تعالى معبود لا يزال كما كان ، وكلامه مقروء مكتوب ومحفوظ من غير مزايلة عنه عن الموصوف).[84]

كفر من قال بالتشبيه

ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر، فمن أبصر هذا اعتبر، وعن مثل قول الكفار انزجر، وعلم أنه بصفاته ليس كالبشر.

---

[84] وصية الإمام الأعظم أبي حنيفة، تحقيق الدكتور جميل عبد الله عويضة 2009.

يقول الشيخ الغزنوي (فإن صفاته قديمة قائمة بذاته ليست بقابلة للزوال، وصفات البشر حادثة كذواتهم، قابلة للزوال والفناء والكيفيات، والله متعالٍ عن ذلك كله، ليس كمثله شيء).

رؤية الله حق

والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا: (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)، وتفسيره على ما أراده الله تعالى وعَلِمَه، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن الرسول ﷺ فهو كما قال، ومعناه على ما أراد لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلَّم لله عز وجل ولرسوله ﷺ، ورَدَّ عِلْم ما اشتبه عليه إلى عالمه. ولا يثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام، فمن رام عِلْمَ ما حُظِر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان، فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار، موسوسا تائها، زائغا شاكا، لا مؤمنا مصدقا، ولا جاحدا مكذبا. ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم، أو تأولها بفهم، إذا كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية بترك التأويل ولزوم التسليم، وعليه دين المسلمين. ومن لم يتوَقَّ النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه، فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية، منعوت بنعوت الفردانية، ليس في معناه أحد من البرية. وتعالى عن الحدود والغايات، والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات.

قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه نقل عنه أَبَو مُطِيع الحكم بن عبد الله الْبَلْخِي لما سأله (قلت أَرَأَيْت لَو قيل أَيْن الله تَعَالَى فَقَالَ يُقَال لَهُ كَانَ الله تَعَالَى وَلَا مَكَان قبل أن يخلق الْخلق وَكَانَ الله تَعَالَى وَلم يكن أَيْن وَلَا خلق كل شَيْء وَهُوَ خَالق كل شَيْء فَإِن قيل بِأَيّ شَيْء شَاءَ الشائي المشيء فَقل بِالصّفةِ وَهُوَ قَادر يقدر بِالْقُدْرَةِ وعالم يعلم بِالْعلمِ وَمَالك يملك بِالْملكِ).[85]

وقال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه في الوصية (نُقِرّ بأن الله سبحانه وتعالى على العرش استوى ، من غير أن يكون له حاجة ، واستقرار عليه ، وهو حافظ العرش ، وغير العرش من غير احتياج ، فلو كان محتاجا لما قَدِر على إيجاد العالم ، والحفظ ، وتدبيره كالمخلوقين ، ولو صار محتاجا إلى الجلوس والقرار ، فَقَبْلَ خلْقِ العرش أين كان الله تعالى ؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا).[86]

وقال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه في الفقه الأكبر (وَيتَكَلَّم لَا ككلامنا وَيسمع لَا كسمعنا وَنحن نتكلم بِالآلات والحروف وَالله تَعَالَى يتَكَلَّم بِلَا آلَة وَلَا حُرُوف والحروف مخلوقة وَكَلَام الله تَعَالَى غير مَخْلُوق وَهُوَ شَيْء لَا كالأشياء وَمعنى الشَّيْء الثَّابِت بِلَا جسم وَلَا جَوْهَر وَلَا عرض وَلَا حد لَهُ وَلَا ضد لَهُ وَلَا ند لَهُ وَلَا مثل لَهُ).[87]

ويقول الشيخ الميداني (ونقول: الرؤية إلى الذات المقدسة المنزهة عن الإحاطة والجهة حق أي ثابتة لأهل الجنة لكن بغير إحاطة بجوانب المرئي وحدوده،

[85] كتاب الفقه الأبسط، تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري.
[86] وصية الإمام الأعظم أبي حنيفة، تحقيق الدكتور جميل عبد الله عويضة .2009
[87] الفقه الأكبر للإمام الأعظم ابو حنيفة النعمان (الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة تأليف محمد بن عبد الرحمن الخميس).

لتعاليه تعالى عن التناهي والاتصاف بالجوانب والحدود، ولا كيفية من مقابلة وجهةٍ وارتسام، واتصال شعاع، وثبوت مسافة بين الرائي والمرئي، لأن هذا كله في رؤية الأجسام، والله تعالى ليس بجسم فليست رؤيته كرؤية الأجسام، فإن الرؤية تابعة للشيء على ما هو عليه، فمن كان في مكان وجِهة لا يرى إلا في مكان وجهة كما هو كذلك، وَيُرَى بمقابلة واتصال وشعاع وثبوتِ مسافة، ومن لم يكن في مكان ولا جهة وليس بجسم فرؤيته كذلك ليس في مكان ولا جهة، ولا بمقابلة واتصال شعاع وثبوت مسافة، وإلا لم تكن رؤية له، بل لغيره).

يقول الشيخ الغزنوي (فلا يُتَوَهَّمُ في رؤية الله مثل ما يُتَوَهَّمُ في رؤية المخلوقات من المحاذات واتصال الشعاع، إنما يراه أهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما عرفوه في الدنيا بلا كيفية وبلا إحاطة، فإنه تعالى فرد منَزَّه عن جميع جهات التركيب، فإنَّ كلَّ مركب مفتقر إلى أجزائه، وكل مفتقر ممكن، وكل ممكن حادث، فلا يكون فرداً قيوماً، فثبت أن الواجب الفرد الواحد في ذاته لا يكون في حيز ولا في جهة.

ولهذا قال: (تعالى الله عز وجل عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات) إذ الحَدُّ وصفُ المحدود، وهو المحصور المقهور تحت قهر الحد، وهو قهار فلا يكون محدوداً.

والغاية عبارة عن النهاية، والأركان والأعضاء صفات الأجسام، والأدوات آلات الأجسام، والقديم سبحانه وتعالى منزه عن هذه الأوصاف كلها).

ويقول الشيخ الغزنوي في تفسير (لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات) (لأنه تعالى نفى أن يكون مِثلاً لشيء بقوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (الشورى: 11)، وفي إثبات الجهة والتحيُّز إثبات للمماثلة مع الأجسام، وفي وصفه بالجهات قولٌ بإحاطتها، وفي القول بالتمكُّن بالمكان إثبات الحاجة إلى المكان، وفي كل ذلك إيجاب حدوثه وإزالة قدمه، والجهات والأكنة من أجزاء العالم، وهو مستغن عن العالم وأجزائه، ولأن الجهات الست محدثة وهي أوصاف للعالم المُحدَث، والله قديم، كان ولا مكان ولا حيِّز ولا زمان، كان الله ولم يكن معه شيء، والله تعالى في الأزل ما كان في جهات لعدم الجهات في الأزل، فلو يصير في الجهات بعدَ إحداثها لتغيَّر عما كان عليه وانتقل، والتغير والانتقال من أمارات الحدوث تعالى الله عن ذلك.

وقد تمسَّكَ المجسمة بظواهر النصوص، ومذهبُ السلف أن نصدقها ونفوض تأويلها إلى الله، مع تنزيهه عن التشبيه، ولا نشتغل بتأويلها، بل نعتقد أن ما أراد الله بها حق، وهذا الطريق اختاره الطحاوي، ومذهب الخلف يتأولونها بما يليق بذات الله وصفاته، ولا نقطع بأنه مراد الله لعدم دليل يوجب القطع على المراد).

وهنا نوضح ان هذه القاعدة العامة يجب اتباعها في جميع الصفات المتشابهات التي وردت في القرآن والسنة المتواترة من اثبات صفة اليد وصفة الوجه وصفة العين لله بلا كيف مع نفي الجسمية والآلة والعضو وعدم القطع بتأويلها على شيء لإحتمال المراد غير ذلك، علما بأن هذه الصفات تأتي في مقام المجاز في اغلب الآيات التي جاءت فيها يقول الله تعالى (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ)(الطور: 48)، تفسير بأعيننا في الآية الكريمة أي

بحفظنا أو رعايتنا أو نظرنا، ويقول الله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)(الفتح: 10)، أي أن الله يؤيد هذه البيعة أو انهم يبايعون الله ببيعتهم للرسول الكريم أو يعاهدون الله كما هو الواضح من الآية، ويقول الله تعالى (وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۘ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)(القصص:88)، أي أن كل شيء هالك الإ الله تعالى فالبقاء له وحده، إذن فالمعنى معلوم بأنه مجاز يستخدمه العرب وهذا ما يفهمه العاقل من الآية وهذا مراد الله في الإخبار، أما سؤال السائل عن وجود العين واليد والوجه الحقيقيين فهذا ليس ضرورة لفهم الآية الكريمة أو مراد الخبر، وعندها يجب أن يجاب هذا السائل بأن لله صفة العين واليد والوجه كما أخبر والتي لا نعلم كيفيتها وهي ليست آلة أو عضو أو جزء والله منزه عن الجسمية مطلقا، فإن استمر بالجدال علمت بأنه مبتدع لأنه يريد الخوض في ذات الله بالكيفية ويصدق في ذلك قول إمامنا محمد بن الحسن الشيباني رضي الله عنه (اتَّفق الفُقَهاءُ كُلُّهم من المشرِقِ إلى المغرِبِ على الإيمانِ بالقُرآنِ والأحاديثِ التي جاء بها الثِّقاتُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في صِفةِ الرَّبِّ عزَّ وجَلَّ، من غيرِ تغييرٍ ولا وصفٍ ولا تشبيهٍ، فمن فسَّر اليومَ شيئًا من ذلك فقد خرج ممَّا كان عليه النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وفارَق الجماعةَ؛ فإنَّهم لم يَصِفوا ولم يُفسِّروا، ولكِنْ أفتَوا بما في الكِتابِ والسُّنَّةِ ثمَّ سكتوا، فمَن قال بقولِ جَهمٍ فقد فارق الجماعةَ؛ لأنَّه قد وصَفه بصِفةِ لا شَيءٍ)،[88] وقول إمام أهل الحديث مالك بن أنس رحمه الله لمن يسأل عن هذه الصفات (سئل الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى، فقيل: يا أبا

[88] رواه اللالكائي في ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة))(740).

عبد الله: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)(طه:5)، كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ثم أمر بالرجل فأخرج)[89]، وهنا يقر كل من الإمامين بعقيدة أهل السنة والجماعة بنفي الجسمية والأدوات والأعضاء والتحيز عن الله تعالى لأنه لو كان إثبات السلف لهذه الصفات على ظاهرها لأجاب كل منهم بجلوس الرب على العرش وأن له يدين وساقين وقدمين وعينان ووجه كأعضاء حقيقية صراحة (تعالى الله عن ذلك) ولم يتحرجوا من تفسير هذه الآيات، ولما نشأ الخلاف اصلا.

أما بالنسبة للأحاديث والآثار التي قد يفهم من ظاهرها التشبيه أو التجسيم والتي يحتج بها بعض الحنابلة (الدعوة النجدية السلفية حاليا)، فنحن نقول بأن الحق هو في مذهبنا الذي لا يقبل إلا القرآن الكريم والسنة المشهورة في العقائد، **لأن العقيدة لا تُأخذ من ظني الثبوت (أحاديث الآحاد)**، وإلا للزم هؤلاء الحنابلة اعتقاد الإرجاء والجبر وفناء النار والطعن بمعظم الصحابة الكرام، بناء على ما لديهم من أحاديث صححوا سندها في هذه الأبواب، وهي مشهورة مدونة في أصح كتب الحديث، وليس هنا مقام ذكرها والرد عليها، ولا قوة الا بالله.

وهنا يجب توضيح الخلاف في مفهوم عقيدة السلف بيننا وبين هذه الفرقة من الحنابلة وخصوصا أتباع الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله ومحمد بن عبد الوهاب (الدعوة النجدية السلفية حاليا)، وذلك لقيام بعض هؤلاء بمحاولة تحوير هذا المتن المهم في العقيدة بزعم شرحه وهم في الحقيقة يتعقبون الإمام الطحاوي وينقضون تقريراته نقضا قبيحا وبما يوافق تقريرات وأفكار الشيخ ابن تيمية غفر

[89] لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد - للإمام موفق الدين بن قدامة المقدسي.

الله له، وذلك ابتداء بشارح الطحاوية ابن أبي العز الحنفي المتوفى سنة 792 للهجرة والذي حاول تسويق أفكار الشيخ ابن تيمية بين الحنفية بشرحه لهذا المتن، وانتهاء بشيوخ الدعوة النجدية المعاصرين مثل صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، و سفر الحوالي، وعبد الله بن جبرين، وابن باز، وابن عثيمين وغيرهم، لذلك وجب التنبيه والتحذير من هؤلاء المخالفين وبيان فساد منهجهم، وحيث أن الشيخ ابن تيمية غفر الله له ينسب عقيدة التوقف في موضوع الجسمية (عدم الجزم بالجسمية أو نفيها عن الله)[90] إلى السلف، يقول ابن تيمية (وصنف يثبتون هذه الصفات، ولا يتعرضون للتركيب والتجسيم، والتبعيض ونحو ذلك من الألفاظ المبتدعة، لا بنفي ولا إثبات؛ لكن ينزهون الله عما نزه عنه نفسه، ويقولون إنه (أحد، صمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد) ويقول من يقول منهم: مأثور عن ابن عباس وغيره: أنه لا يتبعض فينفصل بعضه عن بعض. وهم متفقون على أنه لا يمكن تفريقه ولا تجزئته. بمعنى انفصال شيء منه عن شيء. وهذا القول هو الذي يؤثر عن سلف الأمة، وأئمتها، وعليه أئمة الفقهاء وأئمة الحديث، وأئمة الصوفية، وأهل الاتباع المحض من الحنبلية)[91]، وهذا غير صحيح كما هو مبين في ما تم ايراده اعلاه (**مذهب السلف هو إثبات**

[90] وللأسف فقد جر هذا الإدعاء (عدم الجزم بالجسمية أو نفيها عن الله) من الشيخ ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ومن قبلهم اشياخهم من بعض علماء الحنابلة العديد من المشاكل العقدية وصلت إلى حد تكفير المسلمين الذين ينفون ظاهر هذه الآيات المتشابهات عن الله تعالى من اتباعه (الدعوة النجدية السلفية حاليا) ومن أمثلة ذم نفي الجسمية عنه تبارك وتعالى قول ابن باز (نفي الجسمية والجوارح والأعضاء عن الله من الكلام المذموم) وقول ابن عثيمين (وأما أدلة نفاة الرؤية العقلية - هذه العقلية ليست وصف الرؤية بل وصف للأدلة، يعني الأدلة العقلية لنفاة الرؤية - فقالوا لو كان الله يرى لزم أن يكون جسماً والجسم ممتنع على الله لأنه يلزم التشبيه والتمثيل؟ والرد عليهم: إنه إن كان يلزم من رؤية الله أن يكون جسماً فليكن ذلك. لكننا نعلم علم اليقين أنه لا يماثل أجسام المخلوقين) وقول صالح الفوزان (الله خلق آدم على صورته أي لله أصابع كما أن للمخلوق أصابع وله وجه كما للمخلوق وجه وله يدين كما للمخلوق يدين) وأقوالهم في تكفير المسلمين الذين اتفق سلفهم وخلفهم على نفي التجسيم والآلة والعضو مشهورة في كتبهم لا مجال لسردها هنا ولا حول ولا قوة الا بالله.

[91] (انظر كتابه تلبيس الجهمية صفحة 269- 272)

الصفة مع التنزيه أي مع نفي الجسمية والآلة والعضو والجزء وعدم الخوض في ذات الله)[92]، وقد تم إيراد كلام الإمام أبو حنيفة سابقا في الفقه الأكبر (وَهُوَ شَيْء لَا كالأشياء وَمعنى الشَّيْء الثَّابِت بِلَا جسم وَلَا جَوْهَر وَلَا عرض وَلَا حد لَهُ وَلَا ضد لَهُ وَلَا ند لَهُ وَلَا مثل لَهُ)، وقد بنى ابن تيمية على اعتقاده هذا الكثير من التقريرات الفاسدة مثل اثبات مقتضى الآلة أو العضو يقول ابن تيمية في رسالته التدمرية (والكبد والطحال، ونحو ذلك، هي أعضاء الأكل والشرب، فالغني المنزه عن ذلك منزه عن **آلات ذلك**، بخلاف اليد فإنها للعمل والفعل، وهو سبحانه موصوف بالعمل والفعل؛ إذ ذاك من صفات الكمال، فمن يقدر أن يفعل أكمل ممن لا يقدر علي الفعل)[93]، وكما جر ذلك عليه إثبات الحد والمقدار المخصوص (الأبعاد الثلاثة) للباري عز وجل، تعالى الله عن ذلك، وكما أخطأ ابن تيمية وخالف عقيدة السلف في دعواه بأن نفي المكان عن الله يعني العدم ويريد بذلك ضرورة إثبات المكان والجهة لله تعالى، وهذا لا يجوز ومخالف تماما لعقيدة أهل السنة والجماعة كما أوردها الإمام الطحاوي أعلاه (وتعالى عن

[92] الله سبحانه ليس في زمان ولا مكان؛ لأنه خلق الزمان والمكان، ولا يقال له أين ولا متى، وإلا فكما قال الإمام علي في جواب من سأله أين الله؟ فقال: ((مَنْ أَيَّنَ الأَيْنَ لا يُقالُ لهُ اين)) . وقال الإمام علي: ((كان الله ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان)) . وقال ايضاً: ((أرايتَ لو قيل: اين الله تعالى؟ فقال: يقال له: كان الله تعالى ولا مكان قبل أن يخلق الخلق، وكان الله ولم يكن أين ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيء)) . وقال الإمام الشافعي: ((إنه تعالى كان ولا مكان، فخلق المكان وهو على صفته الأزلية كما كان قبل خلق المكان، لا يجوز عليه التغيير في ذاته ولا التبديل في صفاته)) . قال الإمام العز ابن عبدالسلام: ((كان الله قبل أن كَوَّنَ المكانَ ودَبَّر الزمان وهو الآن على ما عليه كان)) . قال ابن الحاجب تعليقاً على عقيدة العز ابن عبدالسلام: ((ما قاله ابن عبد السلام هو مذهب أهل الحق، وإن جمهور السلف والخلف على ذلك، ولم يخالفهم إلا طائفة مخذولة يُخْفون مذهبهم ويدسونه على تخوف إلى من يستضعفون علمه وعقله)) . قال ابن حجر: ((وما اشتهر بين جهلة المنسوبين إلى هذا الإمام الأعظم المجتهد (يعني أحمد بن حنبل) من أنه قائل بشيء من الجهة أو نحوها فكذبٌ وبهتان وافتراء عليه)) . وقال الإمام النووي رحمه الله ((إن الله تعالى ليس كمثله شيء، منزَّهٌ عن التجسيم والانتقال والتحيز في جهة وعن سائر صفات المخلوق)) . قال الإمام القرافي وهو (أي الحق سبحانه وتعالى) ليس في جهة ونراه نحن وهو ليس في جهة .حاشية شرح الطحاوية للإمام الغزنوي

[93] الرسالة التدمرية - المطبعة السلفية - المجلد 2 - الصفحة 94 - جامع الكتب الإسلامية.

الحدود والغايات، والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات) كما أنه خطأ من الناحية العلمية أيضا، فالعدم كما بيننا في الجزء الأول هو غياب المكان والزمان والمادة والطاقة بل أن وصف الله بأنه يحويه المكان سفسطة ومخالف لصفاته التي يثبتها العقل والعلم لأن الله موجد وخالق المكان بالضرورة كما تم تبيانه في الجزء الأول من هذا الكتاب.

وكما أخطأ الشيخ خطأ فادحا في موضوع قدم نوع العالم وحدوث أعيانه وربط ذلك بالسلف كعادته في الدفاع عن أقواله الشاذة، يقول ابن تيمية (وأما أكثر أهل الحديث ومن وافقهم فإنهم لا يجعلون النوع حادثاً، بل قديماً، ويفرقون بين حدوث النوع وحدوث الفرد من أفراده، كما يفرق جمهور العقلاء بين دوام النوع ودوام الواحد من أعيانه، فإن نعيم أهل الجنة يدوم نوعه ولا يدوم كل واحد من الأعيان الفانية)[94]، أي أن الله ما زال منذ الأزل يخلق عوالم ومخلوقات ويقضي عليها ثم يخلق أعيان اخرى من نوعها!!! وهذا الإعتقاد ليس فقط مخالف لمعتقد أهل السنة والجماعة بل هو خاطئ تماما عقليا وعلميا أيضا، حيث أن الله عز وجل هو خالق الزمان كما وضحنا سابقا فلا يوجد (قبل الزمن) وكما أن تسلسل الحوادث منفي إجماعا عند العقلاء كما بينا في الجزء السابق ايضا، ولكن يبدو أن تعصب ابن تيمية لمذهبه بالتوقف عن نفي الجسمية عن الذات العلية قد جر عليه الكثير من اللوازم الفاسدة المبنية على هذا الأساس الفاسد، وكما أنه متأثر بالكثير من شيوخ مذهبه الحنابلة مثل أبي محمد البربهاري والقاضي ابو يعلى الفراء وغيرهم ممن وقع في هذه البدع فمن المعلوم أن داء الحنابلة التجسيم

[94] ابن تيمية -درء تعارض العقل والنقل - المجلد 2 - الصفحة 148 - جامع الكتب الإسلامية.

البدعي[95] وفشوه في الكثير من علمائهم (رغم براءة الإمام احمد بن حنبل رحمه الله وكثير من علماء الحنابلة الفضلاء من هذه البدعة) يقول الإمام أبو الفرج ابن الجوزي رئيس الحنابلة في زمانه (فقد نصحت التابع والمتبوع فقلت لهم: يا أصحابنا أنتم أصحاب نقل وأتباع وإمامكم الأكبر أحمد بن حنبل يقول وهو تحت السياط: (كيف أقول ما لم يقل).

فإياكم أن تبتدعوا في مذهبه ما ليس فيه، ثم قلتم في الأحاديث، تحمل على ظاهرها. وظاهر القدم الجارحة، فإنه لما قيل في عيسى روح الله اعتقدت النصارى أن لله صفة هي روح ولجت في مريم، ومن قال: استوى بذاته فقد أجراه مجرى الحسيات، وينبغي أن لا يهمل ما يثبت به الأصل. وهو العقل، فإنه به عرفنا الله تعالى، وحكمنا له بالقدم، فلو أنكم قلتم: نقرأ الأحاديث ونسكت، ما أنكر عليكم أحد، إنما حملكم إياها على الظاهر قبيح، فلا تدخلوا في مذهب هذا الرجل الصالح السلفي ما ليس فيه. ولقد كسيتم هذا المذهب شيناً قبيحاً حتى لا يقال حنبلي إلا مجسم، ثم زينتم مذهبكم بالعصبية ليزيد بن معاوية، ولقد علمتم أن صاحب المذهب أجاز لعنته، وقد كان أبو محمد التميمي يقول في بعض أئمتكم: لقد شان هذا المذهب شيناً قبيحاً لا يغسل إلى يوم القيامة)[96]، ونحن في هذا الكتاب لا يسعنا أن نفند جميع آراء وسقطات ابن تيمية وتلميذه ابن القيم

[95] التجسيم البدعي هو مما لا يتضمن التشبيه بحيث يقول الشخص الله جسم لا كالأجسام أو يأخذ هذه النصوص التي توهم التجسيم على ظاهرها فيقول يد حقيقية ليست كالايدي أو عين حقيقية ليست كالأعين وغيرها وهذا النوع من التجسيم الشائع في الحنابلة لا يكفر القائل به و إنما يبدع لأن التجسيم الذي يكفر قائله هو التجسيم المنطوي على التشبيه، والمشبهة يكفرون بهذا الإعتقاد عند كل أهل السنة والجماعة بما فيهم هؤلاء الحنابلة أنفسهم فهم يكفرون من يقول بالتشبيه.

[96] الباز الأشهب المنقض على مخالف المذهب، الإمام أبو الفرج الجوزي الحنبلي - وفيه رد على ثلاثة من علماء الحنابلة الذين وقعوا في بدعة حمل الآثار الواردة بهذا الموضوع على الظاهر.

العقدية ومن تبعهم من هؤلاء الحنابلة (السلفية النجدية) فالشيخ غفر الله له قد قام وحده بتأليف عديد المجلدات كلها في الكلام والفلسفة والإنتصار لمذهبه مثل درء تعارض العقل مع النقل وبيان تلبيس الجهمية وما تعرض له من مسائل العقيدة في مجموع فتاويه، وقد اقتضى منا التحذير من هذه الأفكار الخاطئة والمخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة، ولا عاصم إلا الله.

يقول الإمام حسن البنا بموضوع الصفات (قد علمت أن مذهب السلف في الآيات المتشابهات والأحاديث التي تتعلق بصفات الله تبارك وتعالى أن يمروها على ما جاءت عليه، ويسكتوا عن تفسيرها أو تأويلها، وأن مذهب الخلف أن يؤولوها بما يتفق مع تنزيه الله تبارك وتعالى عن مشابهة خلقه، وعلمت أن الخلاف شديد بين أهل الرأيين حتى أدى بينهما إلى التنابز بالألقاب العصبية، وبيان ذلك من عدة أوجه :

أولا : اتفق الفريقان على تنزيه الله تبارك وتعالى عن المشابهة لخلقه .

ثانيا : كل منهما يقطع بأن المراد بألفاظ هذه النصوص في حق الله تبارك وتعالى غير ظواهرها التي وضعت لها هذه الألفاظ في حق المخلوقات ، وذلك مترتب على اتفاقهما على نفي التشبيه .

ثالثا : كل من الفريقين يعلم أن الألفاظ توضع للتعبير عما يجول في النفوس، أو يقع تحت الحواس مما يتعلق بأصحاب اللغة وواضعيها، وأن اللغات مهما اتسعت لا تحيط بما ليس لأهلها بحقائقها علم، وحقائق ما يتعلق بذات الله تبارك وتعالى

من هذا القبيل، فاللغة أقصر من أن تواتينا بالألفاظ التي تدل على هذه الحقائق، فالتحكم في تحديد المعاني بهذه الألفاظ تغرير .

وإذا تقرر هذا فقد اتفق السلف والخلف على أصل التأويل، وانحصر الخلاف بينهما في أن الخلف زادوا تحديد المعنى المراد حيثما ألجأتهم ضرورة التنزيه إلى ذلك حفظا لعقائد العوام من شبهة التشبيه، وهو خلاف لا يستحق ضجة ولا إعناتا .

ترجيح مذهب السلف :

ونحن نعتقد أن راي السلف من السكوت وتفويض علم هذه المعاني إلى الله تبارك وتعالى أسلم وأولى بالاتباع، حسما لمادة التأويل والتعطيل، فإن كنت ممن أسعده الله بطمأنينة الإيمان، وأثلج صدره ببرد اليقين، فلا تعدل به بديلا ، ونعتقد إلى جانب هذا أن تأويلات الخلف لا توجب الحكم عليهم بكفر ولا فسوق، ولا تستدعي هذا النزاع الطويل بينهم وبين غيرهم قديما وحديثا، وصدر الإسلام أوسع من هذا كله.

وقد لجأ أشد الناس تمسكا براي السلف، رضوان الله عليهم، إلى التأويل في عدة مواطن، وهو الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، من ذلك تأويله لحديث: (الحجر الأسود يمين الله في أرضه)، وقوله صلى الله عليه وسلم : (قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن)، وقوله صلى الله عليه وسلم:(إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن).

وقد رأيت للإمام النووي رضي الله عنه ما يفيد قرب مسافة الخلاف بين الرأيين مما لا يدع مجالا للنزاع والجدال، ولا سيما وقد قيد الخلف أنفسهم في التأويل بجوازه عقلا وشرعا، بحيث لا يصطدم بأصل من أصول الدين .

قال الرازي في كتابه أساس التقديس :(ثم إن جوزنا التأويل اشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيل، وإن لم نجز التأويل فوضنا العلم بها إلى الله تعالى، فهذا هو القانون الكلي المرجوع إليه في جميع المتشابهات، وبالله التوفيق).

وخلاصة هذا البحث أن السلف والخلف قد اتفقا على أن المراد غير الظاهر المتعارف بين الخلق، وهو تأويل في الجملة، واتفقا كذلك على أن كل تأويل يصطدم بالأصول الشرعية غير جائز، فانحصر الخلاف في تأويل الألفاظ بما يجوز في الشرع، وهو هين كما ترى، وأمر لجأ إليه بعض السلف أنفسهم ، وأهم ما يجب أن تتوجه إليه همم المسلمين الآن توحيد الصفوف، وجمع الكلمة ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، والله حسبنا ونعم الوكيل)[97]، وتعقيبا على كلام الإمام حسن البنا رحمه الله في ما يخص تأويل الألفاظ بما يجوز في الشرع، فإننا نؤكد وجوب التأويل في بعض المواضع في القرآن الكريم والحديث الشريف وذلك في كل موضع يفهم من ظاهره عقيدة مخالفة أو ناقضا للوازم التوحيد ومنها قوله تعالى (هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ

[97] رسالة العقائد - للإمام حسن البنا مؤسس دعوة الإخوان المسلمين وهو حنفي المذهب في الأصل كما هو معلوم.

وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)(الحديد: 4)، فقوله وهو معكم اين ما كنتم يؤول بمعية العلم والقدرة وليس على ظاهره الذي يفيد الحلول في الأرض تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وقوله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام (قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ)(طه: 46)، أي انه معهما بحفظه ولا يجوز امراره على ظاهره أو تفويضها بدون تأويل، وقوله تعالى (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ)(النور: 39)، وجد الله عنده، تؤول بموت هذا الكافر ولا يجوز امرارها على ظاهرها أو تفويضها بدون تأويل، وقوله تعالى (وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ)(التحريم: 12)، ونفخنا فيه تؤول بالمجاز عن فعل سيدنا جبريل مع مريم (بنفخه في جيبها) عندما حملت بعيسى عليه السلام، وفي الحديث الشريف عَنْ أبي بكرٍ الصدِّيقِ رضي الله عنه قال (نظرتُ إلى أقدامِ المشركين ونحن في الغارِ وهُمْ على رؤوسِنا فقُلْتُ: يا رسولَ الله لو أنَّ أحدَهم نظر تحت قدَميْه لأبْصرَنا. فقال: «ما ظَنُّكَ يا أبا بكرٍ باثنينِ اللهُ ثالثُهُما»)(رواه البخاري ومسلم)، فهنا الله معهم بالتاييد والحفظ ايضا، وهكذا في جميع الآيات والأحاديث التي إذا اثبتت على ظاهرها تفيد ما ينقض لوازم التوحيد لله تعالى فلا يجوز تفويضها وترك تأويلها باي حال من الأحوال.

الإيمان بالإسراء والمعراج

والمعراج حق، وقد أسرى بالنبي ﷺ، وعرج بشخصه في اليقظة إلى السماء، ثم إلى حيث شاء الله من العلا، وأكرمه الله بما شاء، وأوحى إليه ما أوحى، (ما كذب الفؤاد ما رأى) فـﷺ في الآخرة والأولى.

وذلك مصداق لقوله تعالى (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)(الإسراء: 1)، وقوله تعالى (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَايٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ)(النجم: 13-18)

يقول الإمام الماتريدي في تفسيره لحادثة الإسراء (وقوله - عز وجل -: (لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَآ).

اي: لنريه من آياتنا الحسية بعد ما أراه الآيات العقليّة؛ لأن الآيات الحسيّة أكبر في قطع الشبه ودفع الوساوس من العقلية؛ إذ لا يشك أحد فيما كان سبيل معرفته الحسّ والعيان. وقد يعترض ربما الشبه والوساوس في العقليات؛ لأنه لا يشك أحد في نفسه أنه هو؛ فأحبّ - عزّ وجلّ - أن يري رسوله آيات حسّية تضطر المنصفين على قبولها، والإيمان بها، والإقرار له أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لما يعلمون أن ما كان يخبرهم من أخبار - حيث قال: إنه رأى عِيرَ فلان، وأموراً - يعلمون أنه لا يقول إلا عن مشاهدة وعيان؛ لأنه كان ما أتى من الآيات العقليات قالوا: إنه سحر، وما ذكر من الأشياء التي كانت في كتبهم المتقدمة – قالوا :(أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ)(النحل: 24)، و (إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ)(النحل: 103).

ليس ذلك عمل سحر ولا إفكاً ولا افتراء ولا أساطير الأوّلين؛ على ما نسبوه إلى السحر مرة وإلى الإفك والافتراء ثانياً، ونحوه)[98].

الإيمان بالحوض والشفاعة والميثاق

والحوض الذي أكرمه الله تعالى به غياثا لأمته حق. والشفاعة التي ادخرها لهم حق، كما روي في الأخبار. والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق.

يقول الشيخ الميداني في الحوض (ونقول (الحوض) لرسول الله صلى الله عليه وسلم (الذي أكرمه الله تعالى به) يوم القيامة (غياثاً لأمته) يَرِدُهُ الأخيار ويزاد عنه الأشرار (حق) ثابت بصحيح الأخبار التي يبلغ مجموعها التواتر المعنوي. ففي صحيح البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه لا يظمأ أبداً)، وفي رواية لهما: (حوضي مسيرة شهر زواياه سواء وماؤه أبيض من الورق)، وحديث أنس عندهما ايضاً: (ما بين ناحيتَي حوضي كما بين صنعاء والمدينة)، وفي رواية لهما: (مثل ما بين المدينة وعُمان)، وفي رواية لمسلم من حديث أبي ذر: (عرضه مثلُ طوله ما بين عُمان إلى ايلة)، والأحاديث في الصحيحين وغيرهما كثيرة جداً من روايات جماعات من الصحابة).

ويقول الشيخ الميداني في الشفاعة (و نقول الشفاعة العظمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة في كافة الخلق لإراحتهم من الموقف، وهي التي ادخرها الله لهم بسؤاله صلى الله عليه وسلم ذلك من ربه كما روي ذلك في صحيح

[98] تفسير القرآن الماتريدي، تأويلات أهل السنة- سورة الإسراء.

الأخبار ففي الجامع الصغير رامزاً للطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه (إن لكل نبي دعوةً وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة)، قال ابن قاضي عجلون في شرح الشيبانية: إن مما خص الله تعالى به نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم الشفاعة في الحشر، كما روي في الصحيحين من طرق: (أنا أول شافع وأول مشفع)، وهذه الشفاعة لأهل الجمع في تعجيل الحساب والإراحة من طول الوقوف والغم، وهي الشفاعة العظمى في فصل القضاء يوم القيامة وهي مختصة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولم ينكرها أحدٌ وهي المقام المحمود في قوله تعالى: (عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا)(الإسراء: 79)، وهي المقام الذي يحمده فيه الأولون والآخرون، وقد ورد في الحديث الصحيح الأمر بأن ندعو بذلك عقيب الأذان والحكمة في سؤال ذلك صلى الله عليه وسلم مع كونه واجب الوقوع بوعد الله تعالى بإظهار شرفه صلى الله عليه وسلم وعظيم منزلته. وفي شرح الجزائرية للسنوسي رحمه الله لا شك أن مما يجب الإيمان به لتواتره ووقوع الإجماع عليه ثبوت الشفاعة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في إراحة الناس من الموقف، واختصاصها به صلى الله عليه وسلم أمر مستفيض مشهور في الصحاح).

أما الميثاق فهو ما يتعلق بقوله تعالى في الآية الكريمة (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ)(الأعراف: 172).

وفي تفسيرها يقول الإمام أبو منصور الماتريدي (فأما ابتداء الآية فهو ذلك عند التحقيق؛ لأنه ذكر الأخذ من بني آدم ثم من ظهورهم، والمأخوذ من بني آدم ثم

من ظهورهم هو النطف، وهو الماء الدافق الذي يخرج من بين الصلب والترائب، (وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ) أعلمهم ما منه أنشأهم وقلبهم من حال إلى حال، إلى أن تمت النسمة وظهرت البشرية على ما أعلم كل في ذريته خروج بدنه من تدبير والديه، وقيامه على ما عليه مداره وقراره، وبتدبير من لا يعجزه شيء، ولا يخفى عليه أمر؛ ليقولوا: إن الذي ذكر هذا هو ربهم الذي رباهم على ذلك، ليس كمثله شيء، فكان ذلك إعلاماً من الله إياهم على أنفسهم، وشهادة منها بالخلقة أنه ربهم الذي رباهم وملكهم على ما جرى فيهم من تدبير الله - جل ثناؤه - ولئلا يقولوا غداً: إنهم عن هذا غافلين؛ إذ قد عرف ذا كل ذي عقل، وعرف أنه كان بالله - سبحانه وتعالى - لا بوالديه؛ ليجعلوا شرك الآباء والأمهات لأنفسهم حجة من حيث كانوا منهم، والله أعلم. والثاني: أن يكون الله أشهدهم على أنفسهم بما أراهم من أحوال ذريتهم في الانتقال على أحوال أن أنفسهم كذلك كانت دخل كل منهم بجوهرهم في ذلك التدبير؛ ليعلموا أن الذي دبرهم على ذلك دبر الكل، فيزول عنهم شبهة أن الكون بغير الرب الذي ليس كمثله شيء، فيزول عنهم به عذر الغفلة وعلاقة الشبهة بكفر الوالدين من حيث حق التبعية، أو سفه التقليد بما يعلم خروج الجميع من التدبير، ورجوع التدبير إلى غير؛ ليكون موضع الاستدلال بما أمرهم هو ودعاهم إليه، لا بما أمرهم به الآباء والأمهات. ثم القول ببلى يكون نطقاً، ويكون خلقة، ويكون جواب الفطرة بحق التأمل، فالنطق أنه لا يسأل أحد قبل التلقين إلا وهو يقول بالرب والخالق؛ وعلى ذلك قوله: (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ)(لقمان: 25). والخلقة بما كان من حاجته إلى مقيم وإلى مدبر على شركة كل في ذلك إقرار له بالربوبية، وذلك معنى نفي التفاوت عن خلقه وفطرته بما يقلبه عن أحوال لو

تأمّل الخلائق إدراك كل حال منها ووجه التنقل وقدر التغير في كل حال لما تهيأ لهم؛ ليعلم أن في الفطرة شهادة بالتوحيد، وهذا معنى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كل مولود يولد على الفطرة" اي: على حال لو تركت العقول والفكر فيها لشهدت بالتوحيد، وذلك معنى قوله: (بَلَىٰ) لا أن ثم قول لسان؛ بل نطق حال؛ كما قال الحكيم: كل صامت ناطق؛ لأن صمته دليل تدبير آخر، فهو ناطق بالبيان عن الواحد العزيز، ولا قوة إلا بالله. وقد يحتمل الإشهاد أن جعلهم شهداء على أنفسهم بالعبودة لله، وأنه ربهم والمالك عليهم، والقول بـ"بلى" بما يلزم ذلك بالتأمل؛ فكأنه قال، والله أعلم. وفي الآية دلالة إثبات خلق الله فعل الخلق، وقد أخبر الله أنه أخذ ذلك، والله أعلم)[99].

الإيمان بعلم الله

وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة، وعدد من يدخل النار جملة واحدة، فلا يزاد في ذلك العدد ولا ينقص منه، وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه، وكلٌّ ميسر لما خلق له.

يقول الشيخ الغزنوي (إنما ذكر ذلك إثباتاً لسعة علم الله عز وجل و أزليته ولإثبات القضاء والقدر قطعاً لمادة الشك في القضاء والقدر ودفعاً لتلبيس أوهام القدرية حيث قالوا: كيف يُعذِّب اللهُ على ما قضاه وقدَّرَهُ؟ فبيَّن بقوله: (قد عَلِمَ الله) إلى آخره أن من يدخل الجنة يؤمن ويطيع عن اختيار، فعلم عددهم، وأن من يدخل النار ويكفر ويخالف الأوامر عن اختيار لا عن جبر واضطرار فيستحيل أن لا يعلم من خَلَقَهم (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)(الملك: 14)،

[99] تفسير القرآن للماتريدي، تأويلات أهل السنة - سورة الأعراف.

ولماقضى الله وقدر على الطائفتين بذلك وحكَمَ، دلَّ على علمِه بعددهم، إذ القضاء لا يكون بدون العلم، وهو لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، فكيف لايعلم بعدد من يدخل الجنة والنار**!!**، وكذا أفعالهم بخلقه فيكون عالماً بها).

الأعمال بالخواتيم

والأعمال بالخواتيم، والسعيد من سعد بقضاء الله، والشقي من شقي بقضاء الله.

يقول الشيخ الغزنوي في الدليل (لِما رُويَ عن أبي هريرة أن النبي قال: (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ)(رواه مسلم)، وورد ايضاً: (إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى يبقى بينه وبين الجنة باع أو ذراع، فتدركه الشقاوة فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى يبقى بينه وبين النار باع أو ذراع فتدركه السعادة فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة)(رواه البخاري)).

الإيمان بالقضاء والقدر

وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال الله تعالى في كتابه: (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) فمن سأل: لِمَ فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين. فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه من أولياء

الله تعالى، وهي درجة الراسخين في العلم؛ لأن العلم علمان: علم في الخلق موجود، وعلم في الخلق مفقود، فإنكار العلم الموجود كفر، وادعاء العلم المفقود كفر، ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود وترك طلب العلم المفقود. ونؤمن باللوح والقلم، وبجميع ما فيه قد رقم، فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه ليجعلوه كائنا لم يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه. وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه، فقدر ذلك تقديرا محكما مبرما، ليس فيه ناقض ولا معقب، ولا مزيل ولا مغير، ولا ناقص ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه، وذلك من عقد الإيمان وأصول المعرفة، والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته، كما قال تعالى في كتابه: (وخلق كل شيء فقدره تقديرا)، وقال تعالى: (وكان أمر الله قدرا مقدورا) فويل لمن صار لله تعالى في القدر خصيما، وأحضر للنظر فيه قلبا سقيما، لقد التمس بوهمه في محض الغيب سرا كتيما، وعاد بما قال فيه أفاكا أثيما.

يقول الشيخ الغزنوي (القَدَرُ جَعْلُ كل ما هو واقع في العالم على ما هو عليه من خير وشر ونفع وضر ، وبيان ما يقع على سنن القضاء في كل زمان ومكان، وهو تأويل الحكمة والعناية السابقة الأزلية، قال تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)(القمر: 49) ، فتكون عقول البشر قاصرة عن الإحاطة بكنه الحِكَمِ الإلهية، والبصائر قاصرةٌ عن إدراك الأسرار الربانية، فيكون القدر من الغيب الذي استأثر الله بعلمه وجعله سراً مكتوماً عن خلقه، لم يُظْهِر ذلك لملك مقرب ولا

لنبيٍّ مرسَل، فيكون التعمق فيه وسيلة الخذلان؛ لأن التعمق في طلب الوقوف على الحكمة التي كتمها الله عن الخلق يكون ناشئا عن الإنكار والارتياب، وهما من أوصاف أهل النفاق، فيصير التعمق فيه ذريعة الخُذلان، إذ المخذول هو الذي منع - بسبب خلافه - عن النصرة والظفر بالحق، ثم باستمراره على النظر فيما مُنِع من النظر فيه يصير نظره سُلَّماً للحرمان عن الثبات على الحق، ثم إذا كمل ولم يرجع عن طلبه ينتهي إلى درجة الطغيان، وهو المجاوزة عن الحد المجعول للعبد، فإنه ليس للعبد المنازعة في أحكام مولاه ولا الطلب للاطلاع على أسراره، فلذلك رتَّب هذه الكلمات على هذا النسق).

وقال الإمام النووي في شرحه على صحيح الإمام مسلم (اعلم أن مذهب أهل السنة إثباتُ القدر، وهو أنه سبحانه وتعالى قدر الأشياء في القدم وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى، وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى، وأنكرت القدرية هذا وزعمت أنه سبحانه وتعالى لم يُقَدِّرْهَا في سابق علمه وأنها مُستأنَفة العلم، أي يعلمها سبحانه وتعالى بعد وقوعها، تعالى رَبُّنَا عن أقوالهم الباطلة علواً كبيراً، وسميت هذه الفرقة القدرية لإنكارهم القدر وقد انقرضت هذه الفرقة، وصارت القدرية في هذا الزمان تعتقد أن الخير من الله والشر من غيره، تعالى الله عن ذلك)[100].

الإيمان بالعرش والكرسي

والعرش والكرسي حق، وهو مستغن عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه.

---

[100] شرح مسلم ١/ ٢٠٨ هامش القسطلاني طبعة الميمنية، الإمام النووي.

وقال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه في الوصية (نُقِرّ بأن الله سبحانه وتعالى على العرش استوى، من غير أن يكون له حاجة ، واستقرار عليه ، وهو حافظ العرش ، وغير العرش من غير احتياج ، فلو كان محتاجا لما قَدِر على إيجاد العالم ، والحفظ ، وتدبيره كالمخلوقين ، ولو صار محتاجا إلى الجلوس والقرار ، فَقَبْلَ خلْقِ العرش أين كان الله تعالى ؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا)[101].

ويقول الشيخ الغزنوي (ذكر الله العرش والكرسي في كتابه العزيز ولم يبين ماهيتهما سوى أن قال: (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)(البقرة:255) ، وقال: (رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ)(التوبة: 129) ، فذهب بعض أهل التأويل إلى أن الكرسي كناية عن العلم، وقال بعضهم: ((إن العرش لعله غير الكرسي))، وقد ذكر الله العرش مقيداً بالحمل محتفاً به الملائكة بقوله تعالى: (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ) (غافر: 7) ، وذكره مطلقاً بقوله: (رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) (التوبة: 129) ، وقال ايضاً: (حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) (الزمر: 75) ، فالعرش المقيد بالحمل قالوا: ((هو السرير المحمول المحفوف بالملائكة)) ، وقال بعضهم: ((إن العرش المذكور مطلقاً يُحْتَمَلُ أن يُرادَ به الملك، والمذهب الصحيح عند علمائنا: أن كل ما ثبت بالكتاب والسنة ولا يتعلق به العمل فإنه لا يجب الاشتغال بتأويله، بل يجب الاعتقاد بثبوته وحقيقة المراد به).

الإيمان بالملائكة والنبيين والكتب السماوية

ونقول إن الله اتخذ إبراهيم خليلا، وكلم الله موسى تكليما، إيمانا وتصديقا وتسليما. ونؤمن بالملائكة والنبيين والكتب المنزلة على المرسلين، ونشهد أنهم

---

[101] كتاب الوصية - الإمام أبو حنيفة النعمان.

كانوا على الحق المبين. ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين، ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين، وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين.

وهذا ثابت بقوله تعالى (وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ)(البقرة: 285). والإستثناء في تسمية أهل القبلة مسلمين مؤمنين (ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين، وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين) للذين لم يخلوا بشروط الإيمان كما هو مبين فمن زاد في الإيمان أو نقّص كفر، ولو أقام الصلاة واتى الزكاة وادعى الإسلام وذلك كمن يؤمن بها جميعا ولكنه يزيد أن نبيا جديدا نزل بعد محمد صلى الله عليه وسلم فهذا كافر بهذه الزيادة، أو من يؤمن أن كتابا جديدا نزل بعد القرآن فهذا كافر بهذه الزيادة، أو من يؤمن بأن موسى أو عيسى ليس بنبي فهذا كافر بالتنقيص من الرسل وهكذا (الإطلاع على قرار مؤتمر رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة بتكفير الطائفة الأحمدية القاديانية)[102].

ونحوه كل من ينكر ما ثبت في القرآن والسنة المتواترة مما لا يحتمل التأويل (المعلوم من الدين بالضرورة) فهذا كافر للنقص فيما يتوجب الإيمان به، ونعوذ بالله من الخذلان.

---

[102] وفي شهر ربيع الأول عام 1394هـ الموافق إبريل 1974م انعقد مؤتمر برابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، وحضره ممثلون للمنظمات الإسلامية العالمية من جميع أنحاء العالم، وأعلن المؤتمر كفر هذه الطائفة وخروجها عن الإسلام، وطالب المسلمين بمقاومة خطرها وعدم التعامل معها، وعدم دفن موتاهم في قبور المسلمين.
وقد صدرت فتاوى متعددة من عدد من المجامع والهيئات الشرعية في العالم الإسلامي، تقضي بكفر القاديانية، منها المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي، ومجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وهيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، هذا عدا ما صدر من فتاوى علماء مصر والشام، والمغرب والهند وغيرها.

حرمة الخوض في ذات الله والجدال في دين الله وقرآنه

ولا نخوض في الله، ولا نماري في دين الله، ولا نجادل في القرآن، ونشهد أنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، فعلمه سيد المرسلين، محمدا ﷺ، وهو كلام الله تعالى لا يساويه شيء من كلام المخلوقين، ولا نقول بخلقه، ولا نخالف جماعة المسلمين.

يقول الشيخ الغزنوي (معناه: ولا نتكلم في ذات الله وصفاته بمحض العقل من غير اتباع ما نطق به الكتاب والسنة؛ لأن الأصل في أسماء الله وصفاته التوقيف، ولا نخوض بالفكر في ذاته التي تحير الأفكار، فربما يؤدي ذلك إلى الإنكار، بل نتفكر في أفعاله وصنعه، فإن العقل قاصر عن إدراك كنه كبريائه، فإن الملائكة مع تجردهم عن دَنَسِ العلائق النفسانية اعترفوا بالقصور، وقالوا: (ما عرفناك حق معرفتك) ، فكيف البشر المتعلق بالعلائق والغواشي الغريبة المانعة عن خلوص الإدراك، فالخوض فيه ربما يُفْضي إلى القول بما هو منزه عنه، فالأولى ترك الخوض فيه).

ويقول الشيخ الميداني (و مما يجب علينا أننا (لا نخوض في ذات الله تعالى). روي عن أبي حنيفة أنه قال: لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء، بل يصفه بما وصف به نفسه.

ويقول الشيخ الميداني ((ولا نماري) أي لا نُداهن وهي عدم المبالاة (في دين الله تعالى ولا نجادل) أحداً (في القرآن) العظيم بل نعتقد (ونعلم أنه كلام رب العالمين نزل به) جبرائيل (الروح الأمين فعلمه سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمداً صلى الله عليه وعلى آله الأكرمين وصحبه أجمعين.

روي عن أبي يوسف أنه قال: كنت عند أبي حنيفة إذ دخل عليه جماعة في أيديهم رجلان فقالوا: إن أحد هذين يقول: إن القرآن مخلوق، والآخر ينازعه ويقول: القرآن غير مخلوق، فقال رضي الله عنه لا تصلوا خلفهما، فقلت: أما الذي يقول: القرآن مخلوق فنعم، لأنه لا يقول بقدم القرآن، وأما الآخر فما باله لا يُصلى خلفه؟ قال: إنهما تنازعا في الدين، والمنازعةُ في الدين بدعة. (وكلام الله تعالى لا يساويه) ولا يشبهه (شيءٌ من كلام المخلوقين) لأنه صفة من صفات رب العالمين، وقد تقدم لك أن من شَبَّهَ من صفات الله بشيء من صفات المخلوقين كان من الكافرين.

(ولا نقول بخلق القرآن) لأن الخلق صفة المحدَث العديم والقرآن كلام الله القديم ومما يجب علينا أننا (لا نخالف جماعة المسلمين) السواد الأعظم أهل السنة والجماعة، فإن الله تعالى عصم هذه الأمة عن الاتفاق على الضلالة، فمن خالفها كان ضالاً، قال تعالى: (وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (النساء: 115)).

الرد على المرجئة

وَلاَ نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ بِذَنْبٍ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ، ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله، نرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم، ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة، ونستغفر لمسيئهم، ونخاف عليهم ولا نقنِّطهم. والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة. ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه.

يقول الشيخ الغزنوي (وفيه إشارةٌ إلى ما ذهبت إليه الخوارج والمرجئة، فإن الخوارج ايِسوا من ثواب الله بارتكاب الكبيرة، والمرجئة أمِنوا من العذاب مع ارتكابها، فهما في طرَفي التفريط والإفراط، وخيرُ الأمورِ أوسطُها، وهو مذهبُ أهلِ السنةِ والجماعة.

قوله: (ولا يخرُجُ العبدُ من الإيمان إلا بجحود ما أدخلهُ فيه) .

لأنَّ الكُفْرَ والإيمانَ مُتَضادّانِ، فلا يَبْطُلُ أحدُهُما إلا بإتْيانِ الآخَرِ، والمُؤمِنُ صارَ مؤمِناً وَدَخَلَ فيْ الإيمانِ بالتصديقِ والإِقْرارِ، فلا يَصِيْرُ كافراً وخارِجاً عَن الإيمانِ إلا بالجُحُوْدِ والتَّكْذِيْبِ، فاذا ارْتَكَبَ كَبِيْرَةً مَعَ بقاءِ اعْتِقَادِ الْجَزْمِ والتَّصْدِيْقِ والإقْرارِ فلا يَخرُجُ عَنِ الإيْمانِ، فَلا يُحْكَمُ بِكُفْرِ أحَدٍ حتى يُعْلَمَ مِنْهُ جُحُوْدُ ما صارَ بِهِ مؤمِناً).

تعريف الإيمان

والإيمان: هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان. وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله. حق والإيمان واحد، وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالخشية والتقى، ومخالفة الهوى، وملازمة الأولى. والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن، وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن. والإيمان: هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وحلوه ومره من الله تعالى. ونحن مؤمنون بذلك كله، لا نفرق بين أحد من رسله، ونصدقهم كلهم على ما جاؤوا به.

قال شمس الأئمة وفخر الإسلام أبو بكر بن سهل السرخسي[103](الإقرار باللسان ركن الإيمان كالتصديق، إلا أنه ركن زائد يحتمل السقوط بعذر الإكراه، والتصديق ركنٌ أصلي لا يحتمل السقوط بحال، فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه بغير عذر لم يكن مؤمناً) وإليه يشير كلام المصنف حيث قال: (الإقرار باللسان والتصديق بالجنان).

يقول الشيخ الغزنوي (والأعمال ليست داخلة في حقيقة الإيمان كما هو مذهب بعض العلماء، حيث قال: ((الإيمان هو التصديق بالجنان والإقرار باللسان والعمل بالأركان))، وهو محكي عن الشافعي وأحمد وأهل الظاهر).

ويقول الشيخ الغزنوي (والأعمال عُطفت على الإيمان في مواضع كثيرة في القرآن، قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) (البقرة: 25) ، وقال تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ)(المائدة: 55)، وقال تعالى: (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ)(التوبة: 18)، والمعطوف غير المعطوف عليه؛ ولأن الإيمان شرطٌ لصحَّة الأعمال، قال الله تعالى: (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ)(طه: 112)، والشرط غير المشروط؛ ولأن جبريل لما سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الإيمان لم يُجِبْ عنه إلا بالتصديق بأشياء مذكورة في ذلك الحديث حيث قال:(الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، ثم

---

[103] الأمام الكبير وشيخ الإسلام محمد بن أحمد بن سهل، أبو بكر شمس الأئمة ابن سهل السرخسي، من كبار الحنفية، يعد من أعظم مجتهدي الإسلام، من أهل سرخس (في خراسان)، أشهر كتبه: (المبسوط) في ثلاثين جزءاً، أملاه من حفظه وهو سجين بالجب في أوزجند (بفرغانة) بسبب نصحه للوالي، وله (شرح السير الكبير للإمام محمد) منه مجلد مخطوط، وهو شرح لـ (زيادات الزيادات) للشيباني، و (الأصول) في أصول الفقه، و (شرح مختصر الطحاوي).

قال: هذا جبريل أتاكم يعلمكم معالم دينكم)، فلو كان الإيمان عبارة عن الأعمال مع التصديق والإقرار لبينه النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قوله: (وأن جميع ما أنزل الله تعالى في القرآن وجميع ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الشرع والبيان كله حق) .

لأنه لما ثبت أن القرآن منزل من عند الله وأن الرسول حق، ثبت أن جميع ما في القرآن وما صح من الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيان الشرع حق كله؛ لأنه معصوم عن الكذب والباطل.

وإنما ذكر هذا لأن الإيمان التفصيلي بكل واحد مما جاء به نبيه عليه الصلاة والسلام لا يمكن، فيجب الإيمان الإجمالي ليكون إيماناً بكل ما يجب الإيمان به؛ إذ لو أوجبنا عليه التفصيل لعجز عنه، وقد يترك شيئاً يجب الإيمان به؛ إذ لا يمكن المكلف أن يحيط بتفصيل جميع ما في الشرع من الأحكام.

قوله: (والإيمان واحدٌ وأهله في أصله سواء، والتفضيل والتفاضل بينهم بالتقوى ومخالفة الهوى وملازمة الأُوْلى) إنما قال: (الإيمان واحد) ؛ لأن الإيمان عبارة عن التصديق بجميع ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام، ولا تفاوت في ذلك بين المكلفين، وإنما قال: (أهله في أصل الإيمان سواء) يعني: أن إيمان أهل السماء من الملائكة وأهله في الأرض من الإنس والجن في الأصل واحد وهو التصديق بوحدانية الله وإثبات صفاته الذاتية والفعلية، وبكل ما يجب الإيمان به جملة، وجميع المكلفين في هذا على السواء.

وإلى هذا أشار أبو حنيفة رحمه الله في كتاب (تعليم المتعلم) حيث قال: إيماننا مثل إيمان الملائكة، لأنا آمنا بوحدانية الله تعالى وربوبيته ما جاء به من عنده بمثل ما أقرَّت به الملائكة وصدقت به الأنبياء الرسل، فمن ها هنا إيماننا مثل إيمانهم، وبعد ذلك لهم علينا فضائل في الثواب على الإيمان وجميع العبادات، وهو زائد على الإيمان؛ لأن الله تعالى كما فضلهم بالنبوة على الناس كذلك فضل عبادتهم وثوابهم، وهم أمناء الرحمن لا يدانيهم أحد من الناس في عبادتهم وخوفهم.

وهذا يدل على أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ؛ لأن أصله هو التصديق بجميع ما يجب الإيمان به، وذلك لا يحتمل الزيادة والنقصان.

والزيادة الواردة في الإيمان في قوله تعالى: (زَادَتْهُمْ إِيمَانًا)(الأنفال: 2)، وقوله تعالى: (لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ)(الفتح: 4)، وغيرها محمولة على الزيادة في ثمرات الإيمان بالأعمال الصالحة وإشراق نوره وصفائه، قال تعالى: (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ)(الزمر: 22)، لا على أن المراد به الزيادة في أصل الإيمان عملاً بالدليلين، وإليه أشار بقوله، وإنما التفاصيل بينهم والتفاوت في مراتبهم في أوصاف الإيمان من الاستنارة والضياء وزيادة اليقين والتمسك بالتقوى، ومخالفة هوى النفس الأمارة بالسوء، وملازمة ما هو الأولى في القول والفعل).

ويقول الشيخ الميداني (و نقول الإيمان وكذلك الإسلام لتلازمهما مفهوماً، فقد اتفق أهل الحق أنه لا إيمان بلا إسلام وعكسه لجميع الأنام من أهل الأرض والسماء واحد لأنه التصديق البالغ حد الجزم والإذعان الذي لا يقبل

التشكيك وأهلُه من الملائكة والأنبياء والأولياء وسائر المؤمنين الأبرار والفجار في أصله الذي هو التصديق كلهم فيه سواء أي لا تفاضل فيه من حيث ذاته، ولا يزيد ولا ينقص و إنما التفاضل بينهم والزيادة والنقص بالتقوى ومخالفة الهوى. وفي المسايرة قال أبو حنيفة وأصحابه: لا يزيد الإيمان ولا ينقص، واختاره من الأشاعرة إمام الحرمين وكثير، وذهب عامتُهم إلى زيادته ونقصانه، قيل: والخلاف مبني على أخذ الطاعات في مفهوم الإيمان وعدمه، فعلى الأول يزيد بزيادتها، وينقص بنقصانها، وعلى الثاني لا لأنه اسم للتصديق الجازم مع الإذعان، وهذا لا يتغير بضم الطاعات ولا ضم المعاصي وفيه نظر، بل قال: بزيادته ونقصانه كثير ممن صرح بأنه مجرد التصديق لظواهر كقوله تعالى: (زَادَتْهُمْ إِيمَانًا)(الأنفال: 2)، وعن ابن عمر قلنا: يا رسول الله، إن الإيمان يزيد وينقص؟ قال: (نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة، وينقص حتى يدخل صاحبه النار)، وقالوا: لا مانع عقلاً من ذلك، بل اليقين الذي هو مضمون التصديق يتفاوت قوة في نفسه من أجلى البديهيات إلى أخفي النظريات القطعية، ولذا قال إبراهيم عليه السلام حين خوطب بقوله: (أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي)(البقرة: 260) والحنفية ومعهم إمام الحرمين وغيره لا يمنعون الزيادة والنقصان باعتبار جهات هي غير نفس الذات، بل بتفاوته يتفاوت المؤمنون.

وروي عن أبي حنيفة أنه قال: أقول إيماني كإيمان جبريل، ولا أقول مثل إيمان جبريل، لأن المثلية تقتضي المساواة في كل الصفات، والتشبيه لا يقتضيه، فلا أحد يسوي بين إيمان آحاد الناس وإيمان الملائكة والأنبياء، بل يتفاوت، غير أن

ذلك التفاوت بزيادة ونقص في نفس الذات أو بأمور زائدة عليها، فمنعوا يعني الحنفية وموافقيهم الأولَ).

أهل الكبائر من المؤمنين لا يخلدون في النار

وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون، إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين، بعد أن لقوا الله عارفين مؤمنين. وهم في مشيئته وحكمه: إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر عز وجل في كتابه: (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء). وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته، وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته، وذلك بأن الله تعالى تولى أهل معرفته، ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته ؛ الذين خابوا من هدايته، ولم ينالوا من ولايته، اللهم يا ولي الإسلام وأهله ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به. ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، ونصلي على من مات منهم. ولا ننزل أحدا منهم جنة ولا نارا، ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق، ما لم يظهر منهم شيء من ذلك، ونذر سرائرهم إلى الله تعالى. لا نرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ إلا من وجب عليه السيف.

يقول الشيخ الميداني (و نقول أهل الكبائر من أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكذا جميعُ أمم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وخصه بالذكر إما لاتفاق الحكم في جميع الأمم فإذا عُلم حكم أمته عُلم الحكم في جميع الأمم الماضية حيث كانوا كلهم جاؤوا بالتوحيد، وإما لكونهم داخلين في حكم أمته حيث كان العهد مأخوذاً عليهم إن أدركوه ليؤمنن به، فرسالته عامة لجميع الأمم والحاصل أن جميع أهل الكبائر من أهل التوحيد إذا أراد الله تطهيرهم في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم

موحدون وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين أي معترفين له بالتوحيد وبه مؤمنين بلا ترديد، وذلك لأن التخليد في النار من أعظم العقوبات وقد جعله الله جزاء الكفر الذي هو أعظم الجنايات، فلو جوزي به غير الكافر كان زيادة على قدر الجناية فيلزم منه خُلف الوعد وذلك لا يجوز عليه تعالى، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ)(آل عمران:9).

قال العلامة النووي في شرح صحيح مسلم: واعلم أن مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف أن من مات موحداً دخل الجنة قطعاً على كل حال، فإن كان سالماً من المعاصي كالصغير والمجنون الذي اتصل جنونه بالبلوغ، والتائب توبة صحيحة من الشرك وغيره من المعاصي إذا لم يحدث معصية بعد توبته، والموفق الذي لم يبتائل معصية أصلاً فكل هذا الصنف يدخل الجنة ولا يدخلون النار أصلاً، لكنهم يَرِدُوْهَا على الخلاف المعروف في الورود، والصحيح أن المراد به المرور على الصراط، وأما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة بمشيئة الله تعالى، فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أولاً وجعله كالقسم الأول، وإن شاء عذبه القدْر الذي يريده سبحانه وتعالى ثم يدخله الجنة، فلا يخلد في النار أحدٌ مات على التوحيد ولو عمل من المعاصي ما عمل، كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر ولو عمل من أعمال البر ما عمل، وهذا مختصر جامع لمذاهب أهل الحق في هذه المسألة، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به على هذه القاعدة وتواترت بذلك نصوص تُحصِّل العلم القطعي، فاذا تقررت هذه القاعدة حمل عليها جميع ما ورد من أحاديث الباب وغيره، فاذا ورد حديث في ظاهره مخالفة له وجب تأويله عليها،

ليجمع بين نصوص الشرع، واذا تأملت ما حققه تجده عين ما ذكره المصنف حيث قال: وهم أي أهل الكبائر المتقدم ذكرهم في مشيئته تعالى وحكمه فهو سبحانه وتعالى إن شاء غفر لهم وعفا عنهم وذلك بفضله ورحمته كما قال تعالى في كتابه العزيز: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ)(النساء: 48)، (وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا)(النساء: 113) . وإن شاء عذبهم في النار المعدة لتطهير الأوزار بقدر جنايتهم وظلمهم لأنفسهم وذلك بعدله وحكمته ثم يخرجهم منها برحمته التي وسعت كل شيء من بريته، (وشفاعة الشافعين من أهل طاعته) كأنبيائه ورسله وملائكته وأهل معرفته وذلك بإذنه ومشيئته للأحاديث الكثيرة المتواترة المعنى).

ويقول الشيخ الغزنوي (المسلم إذا ارتكب كبيرة ومات قبل التوبة وهو موحد لم يشرك بالله فهو وإن دخل في النار لا يخلد فيها، بل مآل أمره أن يخرج من النار ويدخل الجنة، وفيه رد لقول المعتزلة القائلين بأنه يخلد في النار أبداً ولا يخرج منها، وهذا بناءً على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان عندنا، وعندهم يخرج، فإذا لم يتب يكون عندهم كافراً فيخلد في النار وقد مر التحقيق فيه (في تعريف الإيمان)).

ونعقب على كلام شيوخنا بموضوع ظاهر توعد الله عز وجل مقترفي الكبائر بالخلود في النار وذلك في قوله تعالى (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا)(النساء: 93)، وقوله تعالى (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ فَمَن جَاءَهُ

مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)(البقرة: 275)، وقوله تعالى (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا)(الفرقان: 68-69)، والحق أن هذه الآيات المجملة يكون تفسيرها بقوله تعالى (وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)(البقرة: 80-81)، فيكون شرط أحاطت الخطيئة بصاحب الكبيرة من القتلة والمرابين والزناة هو في جميع تأويل الآيات السابقة، فهؤلاء وإن انتسبوا للإسلام اسما ولكنهم معاندون لله يوافق كفرهم كفر إبليس الذي وإن كان يصدق بالله فهو معاند مستكبر عن أوامره والخضوع له, فالذي يرتكب الكبيرة ثم يتوب ويندم وإن عاد إليها لا يخرج من دائرة الإيمان فإن مات قبل أن يتوب عن آحاد معصيته كان في مشيئة الله وممن لا نقطع بخلوده في النار، أما هؤلاء المعاندين المستكبرين الذين أحاطت بهم خطيئتهم فهم كفار مخلدون في النار كما أخبر الله تعالى ويكون تكفيرهم والحكم بخلودهم في النار ليس بسبب الذنب أو الكبيرة المجترحة بذاتها وإنما بسبب العناد والاستكبار الذي نقض إيمانهم, ولا عاصم إلا الله.

ويقول الشيخ الغزنوي (أما جواز الصلاة؛ فلقوله عليه الصلاة والسلام (صلوا خلف كل بر وفاجر)(رواه البيهقي)، ولأن ترْكَ رؤيةِ الصلاة خلف الفاجر توهمُ التكفير بالكبائر، وقد قام الدليلُ على بطلانه؛ ولأن الصحابة كانوا يصلون خلف

الظلمة من بني أمية؛ لأن العصمة ليستْ بشرطٍ لصحة الإمامة كما هو مذهب الروافض، وأما الصلاةُ خلف من مات من المُذنِبين فثابتةٌ بفعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث صلى على ماعز بعد أن رجمه بعدما زنى؛ ولأن الصلاةَ لحق الإسلام، وهو مسْلم لم يخرج من الإسلام بفجوره).

ويقول الشيخ الغزنوي في قوله (ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد عليه الصلاة والسلام إلا من وجب عليه السيف) (لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها)، مثل الردة والقصاص والبغي).

وجوب طاعة الأئمة والولاة

ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعوا عليهم ولا ننزع يدا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة.

يقول الشيخ الغزنوي (وإنما يجب علينا إطاعتهم فيما إذا دعوا إلى طاعة أو إلى ما فيه مصلحة دينية أو دنيوية، وليس فيه معصية؛ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)(رواه أحمد)).

يقول الشيخ الميداني (بل ولا ينبغي لنا أن ندعو على أحد منهم لما يلزم من نفرة القلوب ووقوع المشاققة وربما أغراهم ذلك على شدة الظلم ولا ننزع يداً من طاعتهم لما في ذلك من إثارة الفتنة ونرى طاعتَهم من طاعة الله عز وجل فريضة علينا ما لم يأمروا بمعصية وإلا فلا طاعة لهم، ففي شرح البخاري

في باب لا تطيع المرأة زوجها في معصية: واجبٌ على المرأة أن لا تطيع زوجها في معصية، وكذلك كل من لزمته طاعةُ غيره فلا تجوز طاعته له في معصية الله تعالى، ويشهد لهذا قول النبي صلى الله عليه وسلم حين أمَّر على بعث، وأمر الناس بطاعته فأمرهم ذلك الأمير أن يقتحموا في نار أججها لهم فامتنعوا منها وقالوا: لم ندخل الإسلام إلا فراراً من النار، فذُكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: (والله لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً، إنما الطاعة في المعروف)، وقد صوب فعلهم، وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)(رواه أحمد).

وهنا يجب أن ننوه إلى أن الحكم بعدم الخروج على الحكام الظلمة ليس إكراما لهم فلا حب ولا كرامة لهؤلاء الظلمة، ولكن إنما يكون هذا التشريع لصون حرمات المسلمين ولحفظ الضرورات الخمس وهي النفس والدين والعرض والعقل والمال، وحيث أن الخروج على هؤلاء الحكام بالسيف يؤدي إلى الفتنة وقتل المسلمين وسلب أموالهم وانتهاك أعراضهم وضياع أحكام الدين في الفصل بين الناس. فإذا كانت هذه الضرورات منتهكة من هؤلاء الحكام الظلمة انتهاكا صريحا ظاهرا بحيث شاع القتل لأهون الأسباب وانتهكت الأعراض والأموال من أعوان الحكام، فلا يجوز السكوت على ظلمهم بل وجب نزع الحكم من أيديهم و ازاحتهم عنه بالوسائل المتاحة (أي أن الظلم مشروط بحد وليس مطلقا).

وأعلم بأن هذه الأحكام إنما تكون لولي الأمر الشرعي الذي تحققت له البيعة الصحيحة وليس على من اجتمع فيه اغتصاب السلطة والظلم والجور معا فأما هؤلاء فلا يجوز تأييدهم بأي حال من الأحوال، فإن وجد من هو أحق منه بالحكم

وخرج عليه وجب على المسلمين نصرة صاحب الحق وعدم طاعة المتغلب الظالم قطعا، وهنا نستشهد بخروج الإمام الحسين السبط رضي الله عنه على يزيد بن معاوية وذلك لأنه مغتصب للسلطة وفاسق ظالم في نفس الوقت، فوجب على المسلمين تأييد الحسين رضي الله عنه الأحق بالحكم في خروجه لهذه الأسباب مجتمعة.

وكذلك أيد الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه ثورة الإمام زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم على هشام بن عبد الملك لما كان فيه من اجتماع اغتصاب السلطة والظلم والجور والفساد، فوجب على المسلمين تأييد ثورة الأصلح و الأحق بالحكم وعدم طاعة المتغلب الظالم.

وكما أيد الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه ثورة الإمام محمد النفس الزكية رضي الله عنه ضد أبو جعفر المنصور والذي كان اضافة إلى اغتصابه للسلطة، طاغية مستحل لقتل المسلمين على أهون الأسباب، وقد سجن الإمام وجلد بالسياط ودفع حياته ثمنا لموقفه هذا من تأييد ثورة النفس الزكية ولا حول ولا قوة الا بالله.

يقول امامنا ابو بكر الجصاص رحمه الله[104] (ولم يدفع أحد من علماء الأمة؛ وفقهائها؛ سلفهم وخلفهم؛ وجوب ذلك؛ إلا قوم من الحشو؛ وجهال أصحاب الحديث، فإنهم أنكروا قتال الفئة الباغية؛ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالسلاح، وسموا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتنة، إذا احتيج فيه إلى

[104] الإمام أبو بكر الجصاص هو أحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي المتوفى سنة 370 هجري، و قد انتهت إليه رياسة المذهب الحنفي ببغداد، اشهر مؤلفاته هو كتاب أحكام القرآن وهو تفسير فقهي للقرآن الكريم حسب المذهب الحنفي، وكتاب اصول الجصاص المسمى الفصول في الاصول المعتمد في اصول المذهب الحنفي.

حمل السلاح، وقتال الفئة الباغية؛ مع ما قد سمعوا فيه من قول الله تعالى (فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ)(الحجرات: 9)، وما يقتضيه اللفظ من وجوب قتالها بالسيف؛ وغيره؛ وزعموا مع ذلك أن السلطان لا ينكر عليه الظلم؛ والجور؛ وقتل النفس التي حرم الله تعالى؛ وإنما ينكر على غير السلطان؛ بالقول؛ أو باليد؛ بغير سلاح؛ فصاروا شرا على الأمة من أعدائها المخالفين لها; لأنهم أقعدوا الناس عن قتال الفئة الباغية؛ وعن الإنكار على السلطان الظلم والجور؛ حتى أدى ذلك إلى تغلب الفجار؛ بل المجوس؛ وأعداء الإسلام؛ حتى ذهبت الثغور؛ وشاع الظلم؛ وخربت البلاد؛ وذهب الدين والدنيا؛ وظهرت الزندقة؛ والغلو؛ ومذاهب الثنوية؛ والخرمية؛ والمزدكية؛ والذي جلب ذلك كله عليهم ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ والإنكار على السلطان الجائر؛ والله المستعان)[105].

والخروج على هؤلاء الظلمة الطغاة يجب أن يتدرج بحسب المصلحة وقياس المفسدة وما يترتب عليها، وأول الخروج عدم الطاعة والإنكار عليهم ثم العصيان المدني ثم الإضرابات والمظاهرات ثم الثورة عليهم، فإن كانت المصلحة تتحقق بعدم الطاعة والإنكار لا يجوز التعدي إلى ما بعدها وإذا كانت المظاهرات تحقق المراد لم يجز التعدي إلى الثورة وهكذا تقاس الأمور بالمصلحة وعواقب الأفعال ووفقا للظروف في كل بلد من بلاد المسلمين، هذا والله أعلم وأحكم.

---

[105] أحكام القرآن للجصاص - سورة آل عمران

أما البلاد التي لا يدين اغلب سكانها بالإسلام و تحت حكم غير المسلمين فإن لها أحكام خاصة ولا يمكن أن تأخذ أحكام بلاد الإسلام في هذا الموضوع، وحيث إن المسلمين مطالبون بواجبات مختلفة تجاه النظام الحاكم فيها وهذه فيها تفصيل لا مجال لعرضه هنا.

اتباع أهل السنة والجماعة

ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة. ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجور والخيانة. ونقول: الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه.

يقول الشيخ الميداني (ونتبع أهل السنة المحمدية والجماعة المرضية ونجتنب الشذوذ أي الانفراد والخلاف والفرقة عما عليه الفرقة المحقة ونحب لله تعالى أهل العدل والأمانة لكونهم بذي الصفة من الديانة ونبغض ضدهم أهلَ الجور والخيانة لكونهم كذلك من الظلم والضلالة. وهذه حقيقة المحبة والبغض المنوه بشأنهما من صاحب الرسالة بقوله صلى الله عليه وسلم (من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان)).

ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر، كما جاء في الأثر.

قال الشيخ الغزنوي (إنما ذكر هذا رداً على أهل الرفض فإنهم أنكروا جواز المسح على الخفين، وهذا وإن كان من أحكام الفقه لكنه لما اشتهرت فيه الآثار ألحقه بالعقائد دفعاً لإنكار المنكرين. قال أبو الحسن الكرخي : (إني لأخشى الكفر على من لا يرى المسح على الخفين)).

وجوب الحج والجهاد إلى يوم القيامة

والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين، برهم وفاجرهم إلى قيام الساعة، لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما.

يقول الشيخ الميداني (و نقول الحج والجهاد في سبيل الله تعالى فرضان ثابتان ماضيان مع الصحة مع أولي الأمر من أئمة المسلمين بَرِّهِمْ اي عادلهم وفاجرهم اي ظالمهم لا يبطلهما شيء من ذلك الظلم ولا ينقضهما لأن بر الإمام ليس بشرط لصحتها، وقد كان السلف من الصحابة والتابعين يحجون ويجاهدون مع كل إمام بر أو فاجر، من غير نكير فكان ذلك إجماعاً. وفي صحيح البخاري في باب الجهادُ ماضٍ إلى مع البر والفاجر) لقول النبي صلى الله عليه وسلم (الخيل معقودٌ بنواصيها الخير إلى يوم القيامة. قال القسطلاني: (وذكر بقاء الخير في نواصي الخيل إلى يوم القيامة وفرة بالأجر والمغنم المقترن بالأجر إنما يكون بالجهاد ولم يقيد ذلك بما إذا كان الإمام عادلاً، فدل على أنه لا فرق في حصول هذا الفضل بين أن يكون الغزو مع الإمام العادل أو الجائر، وإن الإسلام بَاقٍ وأهله إلى يوم القيامة؛ لأن من لازم بقاء الجهاد بقاءَ المجاهدين، وهم المسلمون. وفي حديث أبي داود عن مكحول عن أبي هريرة مرفوعاً: (الجهاد واجب عليكم مع كل أمير براً كان أو فاجراً، وإن عَمِلَ الكبائر (وإسناده لا بأس به إلا أن مكحولاً لم يسمع أبا هريرة). وفي حديث أنس عنده ايضاً مرفوعاً: (والجهاد مَاضٍ مذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل)).

ونؤمن بالكرام الكاتبين، فإن الله قد جعلهم علينا حافظين. ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين، وبعذاب القبر لمن كان له أهلا، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة رضوان الله عليهم. والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران.

مصداق لقوله تعالى: (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ)(الانفطار: 10- 12)، وقوله تعالى: (قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ)(السجدة: 11).

يقول الشيخ الغزنوي (كل ما ورد به السمع ولا يأباه العقل يجب قبوله والإيمان به، فنؤمن بعذاب القبر لمن هو أهل له كالفجار وبنعيمه لمن كان أهلا للنعيم كالأبرار).

وهنا نقول ان الحكم بتواتر هذه الأخبار (عذاب القبر وسؤال الملكين) قد تحقق عند الإمام أبو حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم، على ما فيهم من التشدد بقبول الحديث وترك أخبار الآحاد في العقيدة، وذلك يوجب علينا الإيمان بصحة نقلها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولزوم الإعتقاد بذلك، بغض النظر عن ضعف الآثار والأحاديث التي تفصل في هذا الباب فنؤمن بها إيمانا اجماليا ونترك الخوض في التفاصيل التي لم ترد من طريق سند صحيح.

الإيمان بيوم القيامة وما فيه من المشاهد

ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب، والصراط والميزان.

يقول الشيخ الغزنوي (المراد بالبعث: حشر الأجساد وإحياؤها يوم القيامة للجزاء في الآخرة بما فعل في الدنيا من خير أو شر. وهو حق؛ لأنه ممكن في نفسه، وقد أخبر الصادق بوقوعه، فوجب الإيمان به.

أما أنه ممكنٌ؛ فلأن الابتداء لما كان ممكناً فالحشر الذي هو عبارة عن الإعادة أولى بالإمكان، والله تعالى قادر على جميع الممكنات، عالم بجميع الكليات والجزئيات، فيقدر على جمع أجزاءه بعد تفريقها وخلق الحياة فيه، وإليه الإشارة في قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) (الروم: 27) ، وقوله: (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) (يس:79 - 81) .

أما أنه أخبر بوعده فقوله تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ)(يس:51)، (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ)(الزمر: 68).

والآيات والأخبار فيه أكثر من أن تحصى، وهو معلوم أنه من ضرورات الدين، فوجب الإيمان به.

وأما الجزاء فثابت بقوله تعالى: (إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)(الطور: 16)، وقوله: (جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (السجدة: 17)، والآيات فيه ايضاً أكثر من أن تحصى.

وأما العرض على الله تعالى فثابت بقوله تعالى: (وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ)(الكهف: 48) وقوله : (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ)(الحاقة: 18).

وأما الحساب فثابت بقوله تعالى: (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ)(الأنبياء: 47).

وأما قراءة الكتاب فثابت بقوله تعالى: (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا)(الإسراء: 13 - 14)، ويعطى كتاب المؤمن بيمينه، وكتاب الكافر بشماله أو من وراء ظهره، قال الله تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا)(الانشقاق: 7-12)).

أما الصراط فالأخبار فيه متواترة وصحت عند الإمام أبو حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم.

أما الميزان ففيه قوله تعالى: (وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)(الأعراف: 8) ، (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ)(الأنبياء: 47) ، (فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ)(القارعة:6 - 7).

الإيمان بالجنة والنار

والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبدا ولا تبيدان، وإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلا، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلا منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلا منه، وكل يعمل لما قد فرغ له، وصائر إلى ما خلق له.

يقول الشيخ الميداني (و نقول الجنة والنار مخلوقتان الآن خلافاً للمعتزلة أنهما يخلقان يوم الجزاء لنا، وقصة آدم وحواء وإسكانهما الجنة والآيات الظاهرة في إعدادهما مثل (أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)(آل عمران:133) ومثل (أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)(آل عمران:131) فإن عورض بمثل قوله تعالى: (تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا)(القصص: 83) قلنا يحتمل الحال والاستمرار ولو سلم فقصة آدم تبقى سالمة عن المعارضة، كذا في شرح العقائد).

و لا يفنيان هما ولا أهلهما ولا يبيدان سرمداً تكراراً للتأكيد أي لا يطرأ عليهما عدم مستمر لقوله تعالى في حق الفريقين: (خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا)(النساء: 57) ، فما قيل أنهما يهلكان ولو لحظة تحقيقاً لقوله تعالى: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ)(القصص: 88) فلا ينافي البقاء بهذا المعنى، على أنك قد عرفت أن لا دلالة في الآية على الفناء، وذهبت الجهمية إلى أنهما يفنيان ويفنى أهلهما وهو قول باطل مخالف للكتاب والسنة والإجماع، ليس عليه شبهة فضلاً عن حجة، كذا في شرح العقائد).

أما بما يخص سبب خلود الكافرين في النار فيقول الإمام الماتريدي في كتاب التوحيد (وإذ كان الكفر غاية في العصيان فكذلك عقوبته وايضا أن الإيمان

تصديق بما لا نهاية له ولا نفاذ والكفر تكذيب بما لا نهاية له ولا نفاذ فعلى ذلك جزاؤهما ولهذا يجوز العفو عما دون الكفر لأنه ليس بجحد لما لا نهاية له ولا قوة إلا بالله) أي أن منكر الخالق غير المحدود أو العابد لغيره هو مستحق للعذاب غير المحدود وذلك لمخالفته الحقيقة المطلقة متعمدا، التي إنما فطر الله الإنسان وكون عقله وإدراكه ليصل إليها.

أفعال العباد خلق الله وكسب من العباد

والخير والشر مقدران على العباد. والاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به، فهي مع الفعل، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات فهي قبل الفعل، وبها يتعلق الخطاب، وهو كما قال تعالى: (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها). وأفعال العباد خلق الله، وكسب من العباد.

يقول الشيخ الميداني (والاستطاعة التي يجب أن يكون بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق بها وهي حقيقة القدرة تكون مع الفعل . قال صاحب التبصرة: إنها عَرَضٌ يخلقه الله في الحيوان يفعل به الأفعال الاختيارية وهي علة للفعل والجمهور على أنها شرط لأداء الفعل لا علة، وبالجملة هي صفة يخلقها الله تعالى عند قصد اكتساب الفعل بعد سلامة الأسباب والآلات فإن قصد فعل الخير خلق الله تعالى قدرة فعل الخير، وإن قصد فعل الشر خلق الله قدرة فعل الشر وكان هو المضيع لقدرة فعل الخير فيستحق الذم والعقاب ولهذا ذم الله تعالى الكافرين بأنهم لا يستطيعون السمع، وإذا كانت الاستطاعة عَرَضاً وجب أن تكون مقارنة للفعل بالزمان لا سابقة عليه وإلا لزم وقوع الفعل بلا

استطاعة وقدرة عليه لما مر من امتناع بقاء الأعراض، كذا في شرح العقائد. ولما استدل القائلون بكون الاستطاعة قبل الفعل بأن التكاليف قبل الفعل ضرورة أن الكافر مكلف بالإيمان، وتارك الصلاة مكلف بها بعد دخول الوقت، فلو لم تكن الاستطاعة محققة حينئذ لزم تكليف العاجز وهو باطل أشار إلى الجواب بقوله: (وأما الاستطاعة من الصحة والوسع والتمكن من الفعل وسلامة الآلات والأسباب فهي قبل الفعل والحاصل أن القدرة لها إطلاقان فتطلق تارة ويراد بها حقيقة القدرة وهي مع الفعل، وتطلق أخرى ويراد بها الوسع والسلامة وهي قبل الفعل وبها، أي الاستطاعة بالمعنى الثاني يتعلق الخطاب والتكليف (وهو كما قال الله تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)(البقرة:286).

وقوله: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)(آل عمران: 97). وأفعال جميع العباد إنما هي بخلق الله تعالى وكسب من العباد خلافاً للجبرية القائلين بأنها من الله تعالى خلقاً وإيجاداً ولم يُثبتوا للعباد قدرة بل جعلوها كلها اضطرارية، كحركات المرتعش، وللقدرية القائلين بأنها من العبد خلقاً وإيجاداً دون ربهم، وأثبتوا لأنفسهم غنىً عن الله عز وجل. وتوسطت أهلُ السنة بأنها بخلق الله وكسب العبد بدليل قوله تعالى: (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ)(البقرة:286) ، والفرقُ بين الخلق والكسب أن المقدور مخترع ومكتسب، فمن حيثُ كونه مخلوقاً يضاف إلى الله تعالى بجهة الاختراع، ومن حيث كونه كسباً يضاف إلى العبد، ولا استحالة في دخول مقدور واحد تحت قدرة قادرين بجهتين مختلفتين: إحداهما خلقاً وهي خارجة عن مقدور العبد والأخرى كسباً للعبد بأقدار الله تعالى. ثم إن الباري تعالى تارة يخلق في العبد

حركةً جبريةً لا يقدر على الامتناع عنها كحركة المرتعش، فهذه محض مقدور الله تعالى خلقاً وإيجاداً، وتارة حركة اختيارية عند قصد العبد ويقدره على صرفها إلى أي فعل شاء، إلا أن الله يأمره بصرفها إلى الطاعة وينهاه عن صرفها إلى المعاصي، فكان تكليفاً بما للعبد قدرة على الإيثار به والامتناع عنه، ولهذا في الحركة الجبرية لم يرد الأمر بها والنهي عنها ولم يتعلق بها تكليف).

التكليف بما يطاق

ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون، ولا يطيقون إلا ما كلفهم، وهو تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله، نقول: لا حيلة لأحد، ولا حركة لأحد، ولا تحول لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله، ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله. وكل شيء يجري بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره، غلبت مشيئته المشيئات كلها، وغلب قضاؤه الحيل كلها، يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبدا، تقدس عن كل سوء وحين، وتنزه عن كل عيب وشين، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات، والله تعالى يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات.

يقول الشيخ الميداني (ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقونه ولم يكلفهم بما ليس في وسعهم، سواء كان ممتنعاً في نفسه كجمع الضدين أو ممكناً، كخلق الجسم، وأما ما يمتنع بناءً على أن الله تعالى عَلِمَ خلافه أو راد خلافه، كإيمان الكافر وطاعة العاصي، فلا نزاع في وقوع التكليف به لكونه مقدورَ المكلف بالنظر إلى نفسه. ثم عدم التكليف بما ليس في الوسع متفق عليه لقوله تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)(البقرة:286) والأمر في قوله تعالى: (أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ

هَؤُلَاءِ)(البقرة:31) للتعجيز لا للتكليف، وقوله تعالى حكاية: (رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ)(البقرة:286)، ليس المراد بالتحميل هو التكليف، بل إيصال ما لا يطاق من العوارض إليهم).

يقول الشيخ الغزنوي (قوله: (وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعةٌ للأموات) أما في الدعاء فلقوله تعالى: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ)(الحشر:10) مدحهم بذلك، فلو لم يكن للدعاء والاستغفار نفع للأموات لما استحقوا المدح.

ولأن الصلاة واجبة على الميت، وليس فيها إلا الثناء والدعاء بـ ((اللهم اغفر لحينا وميتنا)) فلولا أن الدعاء نافع لما وجبت الصلاة على الميت لعدم الفائدة. وأما في الصدقة فلقوله عليه الصلاة والسلام ((تصدقوا على أمواتكم)) ولو لم تنفع الصدقة لما أمر بها).

الله هو الغني ونحن الفقراء إليه

ويملك كل شيء ولا يملكه شيء، ولا غنى عن الله تعالى طرفة عين، ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر، وصار من أهل الحين. والله يغضب ويرضى لا كأحد من الورى.

يقول الشيخ الغزنوي (قال الله تعالى: (يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)(فاطر:15) ، فهو قيوم لكل شيء إذ قيام الأشياء بإقامته، فلولا عنايته بالأشياء لتلاشت واضمحلت جميعها.

قوله: (ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر) . لأن الافتقار إلى الله صفة لازمة للعبد، والغَنَاءُ صفة الرب، فإذا كان ظن العبد أنه مستغنٍ عن الرب صار جاهلا بربه وبنفسه مشاركًا له في صفة الغَناء؛ فيكون كافرًا).

يقول الشيخ الميداني في غضب الله ورضاه (و نقول إن الله تعالى يغضب ويرضى ويحب ويرحم وكذلك كل صفة وَصَفَ بها نفسه، أو صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بها وصفه ولكن على المعنى الذي أراده و لا يصح أن يتخيل أنها صفة كأحد الصفات من صفات الورى لأنه تعالى منفرد بصفاته كذاته، فكما ذاته لا تشبه الذوات، فصفاته لا تشبه الصفات، (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)(الشورى: 11) ، ولا يؤولان بأن المراد بغضبه ورضاه إرادة الانتقام، ومشيئة الإنعام أو المراد بهما غايتهما من النقمة والنعمة، قال فخر الإسلام: إثبات اليد والوجه حق عندنا لكنه معلوم بأصله، متشابه بوصفه ولا يجوز إبطال الأصل بالعجز عن درك الوصف وإنما ضلت المعتزلة من هذا الوجه فإنهم رَدوا الأصول لجهلهم بالصفات على وجه المعقول فصاروا معطلة. كذا ذكره شمس الأئمة، ثم قال: وأهل السنة والجماعة أثبتوا ما هو الأصل المعلوم بالنص أي الآيات القطعية والدلالات اليقينية وتوقفوا فيما هو المتشابه وهو الكيفية ولم يجوزوا الاشتغال بطلب ذلك كما وصف به الراسخين في العلم فقال:(يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)(آل عمران: 7)).

يقول الإمام أبو حنيفة في غضب الله ورضاه (قَالَ ابو حنيفَة رَحمَه الله تَعَالَى لَا يُوصف الله تَعَالَى بِصِفَات المخلوقين وغضبه وَرضَاهُ صفتان من صِفَاته بِلَا

كَيفَ وَهُوَ قَول اهل السّنة وَالْجَمَاعَة وَهُوَ يغْضب ويرضى وَلَا يُقَال غَضَبه عُقُوبَته وَرضَاهُ ثَوَابه وَنصفه كَمَا وصف نَفسه أحد صَمد لم يلد وَلم يُولد وَلم يكن لَهُ كفوا أحد حَيّ قيوم قَادر سميع بَصِير عَالم يَد الله فَوق أَيْديهم لَيست كايدي خلقه وَلَيْسَت جارحة وَهُوَ خَالق الْأَيْدِي وَوَجهه لَيْسَ كوجوه خلقه وَهُوَ خَالق كل الْوُجُوه وَنَفسه لَيست كَنَفس خلقه وَهُوَ خَالق كل النُّفُوس (لَيْسَ كمثله شَيْء وَهُوَ السَّمِيع الْبَصِير).

قلت أَرَأَيْت لَو قيل أَيْن الله تَعَالَى فَقَالَ يُقَال لَهُ كَانَ الله تَعَالَى وَلَا مَكَان قبل أَن يخلق الْخلق وَكَانَ الله تَعَالَى وَلم يكن أَيْن وَلَا خلق كل شَيْء وَهُوَ خَالق كل شَيْء فَإِن قيل بِأَيّ شَيْء شَاءَ الشائي المشيء فَقل بِالصّفةِ وَهُوَ قَادر يقدر بِالْقُدْرَةِ وعالم يعلم بِالْعلمِ وَمَالك يملك بِالْملكِ)[106].

وهنا يجب أن ننوه إلى مخالفة الإمام أبو منصور الماتريدي وبعض أئمة المذهب رحمهم الله وغفر لهم، وذلك بتأويل الغضب على أنه ارادة العقاب والرضى على أنه إرادة الثواب أو الجزاء وهذا الإجتهاد لا يوافق رأي الإمام أبو حنيفة والذي عليه أصحابه كما بينت فيما سبق، لذا يترك هذا التأويل ونلتزم بمذهب أئمتنا المتقدمين عليهم رضوان الله من إثبات الصفة مع التنزيه لله عز وجل عن الإنفعالات والحوادث بذاته وعن كل تشبيه أو تجسيم أو مماثلة للمخلوقين.

حب أصحاب النبي ﷺ

ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير،

[106] الفقه الأبسط- أَبَا مُطِيع الحكم بن عبد الله الْبَلْخِي عن الإمام ابو حنيفة النعمان.

وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان. ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولا لأبي بكر الصديق رضي الله عنه تفضيلا له وتقديما على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم لعثمان رضي الله عنه، ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهتدون. وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ وبشرهم بالجنة نشهد لهم بالجنة، على ما شهد لهم رسول الله ﷺ، وقوله الحق، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح ؛ وهو أمين هذه الأمة رضي الله عنهم أجمعين. ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه الطاهرات من كل دنس وذرياته المقدسين من كل رجس ؛ فقد برئ من النفاق وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل.

قال الشيخ الغزنوي (قوله: (ونحب أصحاب رسول الله ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الحق يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان) أما محبتهم فلأن الله تعالى رضي عنهم ورضوا عنه، وأثنى عليهم في التوراة والإنجيل والفرقان حيث قال: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ) إلى قوله: (مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ)(الفتح:29) . وهم بذلوا مجهودهم في إظهار الدين وإعلاء كلمة الحق، و هاجروا من أوطانهم لمحبة الرسول و آووه ونصروه وقاتلوا بين يديه، فوجبت محبتهم.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فكأنما آذاني، ومن آذاني فكأنما آذى الله، ومن آذى الله كان النار له أولى)(رواه البخاري)، وأما أنه لا نفرط في حب أحد منهم، لأن الإفراط في الشيء يوجب الفساد والبغض في غيره، ألا ترى أن الرافضة أفرطوا في حب علي فوقعوا في بغض أبي بكر الصديق وعمر وعثمان، نعوذ بالله من ذلك، وادعوا في علي الألوهية والنبوة كما هو اعتقاد الغلاة من أهل الرفض).

قال الشيخ الغزنوي (قوله: (ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه وذريته فقد برئ من النفاق) وذلك لأن الصحابة قد أثنى عليهم سبحانه وتعالى في مواضع كثيرة منها قوله تعالى: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ)(التوبة:100) وقوله: (يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ)(التحريم:8) وقوله: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا)(الفتح:29). فيجب تعظيمهم، فمن أحسن القول فيهم فقد برئ من النفاق.

وكذلك أزواج النبي عليه الصلاة والسلام هن أمهات المؤمنين، ومعهن بركةُ صحبة خاتم النبيين.

وكذلك ذريته وعترته الطاهرة، قد أذهب الله عنهم الرجس فطهرهم تطهيرًا، فمحبتهم آية الإيمان، والبراءة منهم أمارة النفاق، وإساءة القول بهم إنما يكون لخبث الباطن وسوء الاعتقاد).

وهنا نعقب على قوله (نثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولا لأبي بكر الصديق رضي الله عنه تفضيلا له وتقديما على جميع الأمة) بأن هذا التفضيل والإختيار إنما كان من الصحابة رضوان الله عليهم وعموم أهل الحل والعقد في الأمة في ذلك الوقت وعملا بتوصيات القرآن الكريم والرسول عليه الصلاة والسلام في اختيار الأصلح والأفضل لقيادة المسلمين، فأهل السنة والجماعة ليس عندهم فكرة الإختيار الإلهي لشخص الحاكم أو القائد السياسي كما هو الحال عند باقي الطوائف والجماعات المنحرفة مثل الشيعة الإمامية التي يؤمن أتباعها بالإختيار الإلهي لسيدنا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لقيادة المسلمين السياسية والدينية ثم توريثها للسبطين الحسن والحسين رضوان الله عليهم وثم في أشخاص معينين من ابناء واحفاد الحسين.

وذلك ينطبق أيضا على اختيار الخلفاء الراشدين الباقيين عمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم، وهنا يجب أن ننوه أيضا إلى أسباب أخرى لإدراج الإمام الطحاوي لمبدأ حب أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام وهو ما وقع من الإختلاف بين سيدنا علي كرم الله وجهه وكل من الزبير وطلحة وأم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهم وذلك بعد فتنة مقتل سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وقرار سيدنا علي بن ابي طالب بتقديم مصلحة جمع المسلمين وإخماد الفتنة على الأخذ بالقصاص من قتلة سيدنا عثمان وما حصل بعدها من القتال في معركة الجمل واستشهاد كل من طلحة والزبير رضي الله عنهما فيها.

وكما أن ذلك يتناول ما وقع بعدها من خلاف بين سيدنا علي كرم الله وجهه ومعاوية بن أبي سفيان ومن معه، وحيث أن معاوية استخدم مظلومية قتل سيدنا

عثمان في نقض بيعة الخليفة الذي اختاره المسلمون وهو سيدنا علي كرم الله وجهه وذلك بدعوى أنه ولي دم عثمان وانه يطلب القصاص من قتلته والذي ادى إلى معركة صفين ومقتل عشرات الآلاف من الصحابة والتابعين فيها من كلا الجيشين وهنا يجب أن نؤصل لنقطتين مهمتين جدا بهذا الخصوص :

أولا: يجب ان نعلم ان كل من المسلمين الذين كانوا في جيش سيدنا علي كرم الله وجهه وجيش معاوية والمحايدين هم أهل السنة في ذلك الوقت (من الناحية العقدية وليس اصطلاحا) الا قلة قليلة من النواصب في جيش معاوية (الذين يناصبون آل البيت العداء) والروافض في جيش سيدنا علي (الذين يرفضون أبو بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم و يتعصبون لشخص سيدنا علي بن ابي طالب) والخوارج (الذين خرجوا على كل من علي ومعاوية)، أي أن الصراع كان سياسيا بحتا في ذلك الوقت ولم يكن له أي ابعاد عقائدية أو أيديولوجية.

ثانيا: ان الحق كان مع سيدنا علي كرم الله وجهه وذلك بطبيعة الحال وبنص الحديث المتواتر عن رسول الله (حدثنا مسدد، قال: حدثنا عبد العزيز بن مختار، قال: حدثنا خالد الحذاء، عن عكرمة، قال لي ابن عباس ولابنه علي انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه، فانطلقنا فإذا هو في حائط يصلحه، فأخذ رداءه فاحتبى ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى ذكر بناء المسجد، فقال: كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبي صلى الله عليه وسلم، فينفض التراب عنه، ويقول: ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، قال: يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن)(رواه البخاري ومسلم)، وحيث أن الصحابي

عمار بن ياسر رضي الله عنه كان في جيش سيدنا علي كرم الله وجهه وقتل على أيدي جنود معاوية.

وهذا ينقلنا إلى حقيقة أن معاوية ومن معه كانوا هم الفئة الباغية التي أخبر عنها رسول الله عليه الصلاة والسلام ويصدق على ذلك ما حصل بعدها من الأحداث من توريث معاوية لابنه يزيد الحكم من بعده وما جر ذلك من مصائب على الأمة من هذا التوريث بدءا بمقتل الحسين السبط واهل بيته رضوان الله عليهم في كربلاء وقتل وسبي أهل المدينة المنورة في واقعة الحرة ثم رمي الكعبة بالمنجنيق من قبل جيش يزيد بن معاوية عليه من الله ما يستحق، وانتهاءا بسن سنة توريث الحكم للأبناء والأقرباء والتي حولت الخلافة الإسلامية إلى مجرد ملك لعائلة معينة تتسلط على رقاب المسلمين.

ولكن ما هو حكم معاوية وعمرو بن العاص وباقي الصحابة الذين ثبت أنهم مع الفئة الباغية؟ والجواب هو أنه يجب عدم الإساءة إليهم وعدم الطعن في دينهم ونكل امرهم إلى الله، وذلك لعدم فتح الباب للطعن في صحابة رسول الله الذي لن يتوقف عند معاوية ومن معه وايضا اكراما لصحبتهم لرسول صلى الله عليه وسلم ولعلمنا بأنهم ماتوا على الإسلام رغم ما جرى منهم، ولكن في نفس الوقت لا نرضى بغيهم على الإمام الحق علي بن ابي طالب كرم الله وجهه الذي نتولاه ونثبت الحق له ونرفض التبرير للبغاة ولا نقول اجتهدوا فأخطأوا بل هو حب السيادة والرئاسة ولا حول ولا قوة الا بالله.

قال الشيخ الغزنوي (قوله: (وعلماء السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل الخبر والأثر وأهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم

بسوء فهو على غير السبيل) لأن تعظيمهم من تعظيم الدين، لأنهم ورثة الأنبياء، ونقلة الشريعة، فوجب اتباعهم والثناء عليهم وكف اللسان عن طعنهم، فمن ذكرهم بالسوء وطعن فيهم فهو طعن في الدين وعدل عن سنن المرسلين، وذلك علامة النفاق والشقاق) وفي هذا يثبت الإمام الطحاوي عقيدة أهل السنة والجماعة في علماء الأمة وخصوصا من كتب لهم القبول من أغلب المسلمين كأئمة المذاهب الأربعة أبو حنيفة ومالك والشافعي واحمد رحمهم الله وغيرهم من العلماء الكبار المجتهدين المتبوعين.

الأنبياء أفضل من الأولياء

ولا نفضل أحدا من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام، ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء.

ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم.

قال الشيخ الغزنوي (لا يبلغ ولي قط إلى درجات النبي؛ لأن الولي تابع للنبي، والتابع درجته دون درجة المتبوع؛ ولأن كل نبي ولي، وليس كل ولي نبيّا، ففي النبي اجتمعت النبوة والولاية فيكون أفضل من الولي وفيه رد لما يزعمه بعض جهلة الصوفية من ترجيح الولاية على النبوة.

ولأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (والله ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين أفضل من أبي بكر)(كتاب الإبانة الكبرى - ابن بطة) ، فهذا الحديث يقتضي أن أبا بكر الصديق أفضل من جميع الأولياء الذين ليسوا بأنبياء، فإذا كان الصديق أفضل من الأولياء فالأنبياء أولى).

الإيمان بأشراط الساعة

ونؤمن بأشراط الساعة منها: خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها.

قال الشيخ الغزنوي (لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبر بهذه الأرض، وهو صادق، فيجب الإيمان بما أخبر به، والأحاديث فيها مستفيضة). وهنا ننوه إلى أن ورود هذه الأخبار في هذا المتن يعني اجماع الائمة ابو حنيفة واصحابه عليهم رضوان الله على صحة نسبتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إجمالا، ولكن ذلك لا يعني صحة جميع الآثار الواردة في هذا الخصوص لوجود كثير من ما لا يصح عنه عليه الصلاة والسلام في هذه الأبواب.

لا يجوز تصديق الكهنة والعرافين

ولا نصدق كاهنا ولا عرافا، ولا من يدعي شيئا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة. ونرى الجماعة حقا وصوابا، والفرقة زيغا وعذابا.

يقول الشيخ الميداني (ولا نصدق كاهناً من يخبر عن المغيبات ولا عرّافاً بالتثقيل بمعنى المنجم والكاهن وقيل العراف يخبر عن الماضي، والكاهن يخبر عن الماضي والمستقبل. ذكره في المصباح. وفي شرح العقائد: وتصديق الكاهن بما يخبر عن الغيب كفر لقوله صلى الله عليه وسلم (من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد)(رواه الحاكم).

ولا من يدعي شيئاً بخلاف الكتاب والسنة وإجماع الأمة أخرج الطبراني في الكبير وابن حبان والحاكم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ستة لعنتهم ولعنهم الله، وَكُلُّ نبي مجابُ الدعوة: الزائد في كتاب الله، والمكذب بقدر الله، والمتسلط على أمتي بالجبروت ليذل من أعز الله ويعز من أذل الله، والمستحل حرم الله، والمستحل من عترتي ما حرم الله، والتارك لسنتي)).

إن الدين عند الله الإسلام

ودين الله في الأرض والسماء واحد، وهو دين الإسلام، قال الله تعالى: (إن الدين عند الله الإسلام)، وقال تعالى: (ورضيت لكم الإسلام دينا). وهو بين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل، وبين الجبر والقدر، وبين الأمن والإياس.

يقول الشيخ الغزنوي (قوله: (ودين الله في الأرض والسماء واحد، وهو دين الإسلام؛ قال الله تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)(آل عمران: 19) ؛ وقال تعالى: (وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)(المائدة: 3) ؛ ولقوله تعالى: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ)(آل عمران: 85) وذلك؛ لأن أهل السماء والأرض والملائكة والجن والإنس كلهم مكلفون بالتوحيد والإيمان بالله وبأسمائه وصفاته، وتصديق ما جاء به الأنبياء، و بالمبدأ والمعاد، وذلك واحد لا يختلف فيه أحد من المكلفين، ولا يقبل غير دين الإسلام من أحد كما قال تعالى: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ)(آل عمران: 85) ، فدل على أن أصل الدين وهو الإسلام واحد).

ويقول الشيخ الغزنوي (وهو اي: دين الله بين الغلو والتقصير أي: متوسط بينهما؛ لأن الميل إلى أحد الطرفين خروج عن الصراط المستقيم، والغلو: هو مجاوزة الحد، والتقصير: هو النزول عن الحد، وكل منهما مذموم؛ لأن العبد ليس له التجاوز عما حد له، ولا التقصير عما أمر به.

كذلك دين الله بين التشبيه والتعطيل، وهو أن تثبت لله تعالى نعوت الجلال وصفات الكمال على ما نطق به الكتاب العزيز والآثار المروية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، من غير تشبيه؛ كما هو مذهب المشبهة والمجسمة حيث شبهوا الخالق بالخلق، وهو (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) ، ولا تعطيل؛ كما هو مذهب المعتزلة حيث نفوا عن الله تعالى جميع الصفات حقيقة فعطلوه عنها.

و كذلك الدين بين الجبر والقدر،وهو طريقة أهل الحق حيث قالوا: (أفعال العباد من الخير والشر بخلق الله وكسبهم) ، لا كما هو مذهب الجبرية حيث قالوا: (لا صنع للعباد في أفعالهم، بل هم مجبرون على الفعل) ، ولا كما هو مذهب القدرية حيث قالوا: (أفعالهم بخلقهم لا بصنع الله) ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

كذلك الدين بين الأمن واليأس، أي: بين الخوف والرجاء، إذ في الأمن من العقاب ظن العجز عنه ومخالفة النصوص الناطقة بالوعيد والعذاب الشديد للفجار والأشرار، كما هو مذهب المرجئة، حيث قالوا: (لا يضر ذنب مع الإيمان، فلا يدخل أحد من المؤمنين النار).

وكذا في اليأس عن رحمة الله،ظن العجز عن العفو ومخالفة النصوص والناطقة بالوعد و الشفاعة والعفو للمؤمنين كما هو مذهب الخوارج والمعتزلة، حيث

قالوا: (لا ينفع الإيمان بدون الأعمال، فلو مات صاحب الكبيرة بلا توبة يخلد في النار) ، وكلا المذهبين مخالف للكتاب والسنة، أما الأمن فقال الله تعالى: (فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ)(الأعراف: 99) ، والسنن فيه كثيرة).

الخاتمة

فهذا ديننا واعتقادنا ظاهرا وباطنا، ونحن براء إلى الله من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان، ويختم لنا به، ويعصمنا من الأهواء المختلفة، والآراء المتفرقة، والمذاهب الردية، مثل المشبهة والمعتزلة والجهمية والجبرية والقدرية وغيرهم؛ من الذين خالفوا السنة والجماعة، وحالفوا الضلالة، ونحن منهم براء، وهم عندنا ضلال وأردياء، وبالله العصمة.

يقول الشيخ الغزنوي (ثم فسر المذاهب الردية والآراء المتفرقة بقوله: مثل المشبهة و الجهمية والقدرية والجبرية وغيرهم ، كأنواع الشيعة و الكرامية و الخوارج و المرجئة وأمثالهم.

إنما بدأ بـ (المشبهة) ؛ لأن عقيدتهم أفسد العقائد؛ لاشتمالها على تجسيم الصانع القدير وتشبيههم إياه بالبشر، قال الإمام فخر الدين: المجسم قطُّ ما عَبَدَ الله؛ لأنه يعبد ما تصوره في وهمه من الصورة، والله منزه عن ذلك.

ثم (الجهمية) فخبث عقائدهم المشتملة على تعطيل الصانع عن اسمه، ونفيهم بقاء الجنة وأهلها وبقاء النار وأهلها خالدين.

ثم بـ (القدرية) ؛ لنفيهم عن الله تعالى صفات الذات والأفعال حقيقة).

وأنا أقول بما قال هؤلاء الأئمة وأعتقد ما يعتقدونه وأؤمن بما يؤمنون به، وأشهد بما يشهدون به، وأُشهد الله تعالى على ذلك وكفى بالله شهيداً. على ذلك نحيا وعلى ذلك نموت، وعلى ذلك نبعث إن شاء الله.

الجزء الثالث نظام الإسلام

لقد بينا في الجزء الأول من هذا الكتاب ما يجب على الإنسان العاقل من اختيار دين الإسلام ووجوب التسليم بصحته وذلك بعد إمعان النظر في الأدلة العقلية والعلمية والنقلية التي اوردناها، وأن هذا الإختيار لازم لكل منصف إذا تحرر من الأهواء ومن القيود الثقافية والإجتماعية التي صاحبت نشأته، وخصوصا إذا كان قد ولد على غير دين الإسلام أو عاش في مجتمع ليس للدين فيه دور فعال أو مؤثر كما هو الحال في البلاد التي غلبت عليها الايدلوجيات المادية مثل الشيوعية أو الرأسمالية أو غيرها من الايدولوجيات المادية.

وكما عقبنا عليه بالجزء السابق الذي يوضح العقيدة الصحيحة لهذا الدين، بحيث يحدث الإتساق التام بين نصوص الإسلام قطعية الثبوت وبين ما يلزم منها من المعتقدات مع اظهار الإجماع على هذه المعتقدات لأغلبية علماء المسلمين المتقدمين، بحيث يتفق الإيمان بصحة رسالة الإسلام مع الإيمان بأصول هذا الدين ولا يقع المسلم في المهالك العقدية والشبهات التي قد تفسد عليه ايمانه وتحرفه عن جادة الصواب، وكما أن فهم واستيعاب هذه الأصول العقدية تولد عند المسلم المناعة من عبث المبتدعين وأهواء الضالين وخبث المنافقين والملحدين.

ولكن الإسلام ليس فقط عقيدة يؤمن بها المسلم في قلبه ويقر بها بلسانه بل إن الإيمان برسالة الإسلام تقتضي من المسلم العمل بمضمون هذه الرسالة وكل ما

بلغه رسول الله عليه الصلاة والسلام عن ربه في القرآن الكريم وأخبرنا به في الحديث الشريف والذي ينص على أن المسلم يتوجب عليه أن يقيم شعائر الإسلام التعبدية من صلاة وصيام وحج ودعاء وقراءة للقرآن الكريم وغيرها.

وكما يتوجب على المسلم أن يحتكم إلى شريعة الله في جميع معاملاته سواء مع أبناء دينه من المسلمين أو مع غير المسلمين وكذلك مع الكيانات الإعتبارية من حكومات وأنظمة ومؤسسات اجتماعية وغيرها.

ولأجل هذه الغاية فقد قام علماء المسلمين على مدى العصور بتصنيف آلاف الكتب والشروحات في الفقه الإسلامي، وقد ذكرنا سابقا بأن أهل السنة والجماعة قد اتفقوا على المذاهب الفقهية الأربعة والتي اجتهد كل إمام من هؤلاء الأئمة في تأسيس مذهبه الفقهي اعتمادا على نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فمنهم من وضع الأصول كما فعل الإمام الشافعي عليه رحمة الله ومنهم من وضع تلاميذه هذه الأصول بناء على اجتهادات الإمام مؤسس المذهب كما هو الحال في مدرسة إمامنا أبي حنيفة رضي الله عنه، وقد اتفق جميع العلماء الأربعة على تصنيف واحد للفقه الإسلامي وهو أولا فقه العبادات والذي يبين كيفية إقامة شعائر الإسلام بالتفصيل، وثانيا فقه المعاملات الذي يتناول أحكام الشريعة الإسلامية في جميع أنواع العلاقات الإنسانية كما بينا آنفا.

إذن فالإسلام في جوهره يمثل طريقة حياة متكاملة، فالشريعة الإسلامية تدخل في جميع مجالات الحياة فتجد أحكام البيع والتجارة والميراث وتنظيم عمل الشركات التجارية والمؤسسات المالية وغيرها مما يدخل في مسمى المجال الإقتصادي في المجتمع، وكذلك نجد أحكام الزواج والطلاق وقانون العقوبات

وكفالة اليتيم وأحكام الزكاة والصدقات وغيرها مما يسمى المجال الاجتماعي، ونجد ايضا أحكام البيعة لولي الأمر وواجباته وحقوقه وأحكام دار الحرب ودار الإيمان وأحكام الجهاد وغيرها من الأحكام التي تندرج تحت مسمى المجال السياسي، وبهذا فإنه بإضافة أحكام العبادات وما يترتب عليها لا يبقى مجال من مجالات الحياة الإنسانية إلا ويتناولها الإسلام بشكل متكامل بل وفي غاية التفصيل لأكثرها أهمية وتأثيرا على حياة المسلم.

يقول الله تعالى (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا)(الأحزاب: 36) ويقول تعالى (وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ)(المائدة: 49-50)، وفي هذه الآيات وغيرها يبين الله عز وجل أنه هو الحاكم الحقيقي لهذا الكون، وليس معنى اقرار المسلم بهذه الحاكمية هنا هو مجرد الإيمان بالوهيته جل وعلا وسلطته على هذا الكون، وإنما يجب على المسلم دائما تذكر عظمة ربه واستحضار محبته والخضوع والإستسلام له وطلب رضاه ومغفرته وما يترتب على ذلك من الإقرار بشريعته وحكمه في كل نواحي حياته.

والمسلم يؤمن بأن الله تعالى هو الخالق المدبر الذي انشأ الإنسان وغيره من المخلوقات وهو الأعلم بما يناسب هذا الإنسان من القوانين والأنظمة والتشريعات فحرم الله ما يضره وحلل ما ينفعه، فالمسلم يجب أن يكون على قناعة تامة بأن

شريعة الله هي الطريقة المثلى لتسيير شؤون الإنسان، وهنا لا يجب أن يظن المسلم بأن هذا الالتزام بشريعة الله سوف يعود دائما عليه بالنفع في هذه الحياة الدنيا دائما (ولو أن ذلك هو الحق فيما يخص المجتمع الإسلامي ككل)، ولكن يؤمن المسلم بأن الله وعده نعيم الجنة الدائم أن هو التزم بأوامره ونواهيه وتجنيبه العذاب المقيم الذي أعده للعصاة والفاسقين عن أمره، فالجهاد في سبيل الله رغم أنه يدفع شر الكفرة والظالمين عن أهل الإسلام ويحقق مصلحة المجتمع الإسلامي الدنيوية ككل، ولكنه يذهب آحاد النفوس ويفسد دنيا الأفراد بمقتلهم فلا منفعة مادية ولا مغنم دنيوي لهؤلاء الشهداء، ولكن لهم الرضى من الله وجنات عرضها السماوات والأرض اعدت للمتقين، يقول عز وجل (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(التوبة: 111).

إن هذا الفهم لدين الإسلام كعقيدة ومنهج حياة يحتم على المسلم العمل بمقتضاه ولابد، فيضع في حسبانه أن هذه الحياة إنما هي اختبار فردي له فيتبع هدى الله وأوامره ويتجنب نواهيه وحدوده في نفسه، ويضع في حسبانه ايضا ان هذا الدين أوجده الله ليبقى، منطلقا من الإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم كخاتم الرسل والنبيين وأن الإسلام آخر رسالات رب العالمين، فيلزم منه السعي لمصلحة المجتمع المسلم ونشر الدعوة الإسلامية والعمل على تمكين دين الله، فيكون بذلك ادى واجبه تجاه ذاته وتجاه مجتمعه المسلم واتجاه البشرية.

إن المتتبع لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ولسيرة الصحابة الكرام يدرك هذا الفهم الصحيح لهذا الواجب الفردي والواجب الإجتماعي بشقيه الخاص والعام منذ نشأة الدعوة الإسلامية الأولى، فعلى الجانب الفردي ترى ابو بكر الصديق رضي الله عنه يتبرع بكل ماله لما طلب منه الصدقه ولا يبقي لنفسه وأهله شيئا، وترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وجهه خطَّان أسودان من البكاء ورعا وخوفا من الله، وترى ابو عبيدة امين الأمة يأكل كسيرات الخبز ويزهد في متاع الدنيا وهو قائد جيوش المسلمين في الشام، ومثلهم علي وعثمان وباقي افاضل الصحابة في الورع والتقوى والخوف من الله رضي الله عنهم اجمعين.

أما على صعيد الواجب الإجتماعي الخاص فها هو رسول الله عليه الصلاة والسلام يبرم صلح الحديبية مع المشركين لما رأى أن مصلحة المجتمع المسلم تقتضي السلم معهم، حفاظا على دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم ولكن في نفس الوقت يسير الجيش لقتال المشركين في غزواته لدفع ضررهم عن المسلمين وتقوية المجتمع المسلم معنويا وعسكريا وماديا من خلال الغنائم.

أما على صعيد الواجب العام فهذه هي أهم أركان دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، يقول الله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)(سبأ: 28)، ويقول رسول الله عليه الصلاة والسلام (بعثت إلى الأسود والأحمر)(رواه البخاري)، وسيرة الرسول الكريم زاخرة بحرصه على تبليغ دعوته لجميع الناس بل والحرص على إيمان كل فرد بدعوته ورسالة الإسلام، فيروي الإمام البخاري هذه القصة عن أنس بن مالك رضي الله عنه (أن غلاماً من اليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم، فأتاه النبي صلى الله عليه

وسلم يعوده، فقعد عند رأسه، فقال: أسلم. فنظر إلى أبيه وهو عند رأسه فقال له: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار)(رواه البخاري)، فهذا الحديث الشريف يبين حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على إيمان هذا الغلام الذي هو على وشك الهلاك ولا نفع للمجتمع المسلم من إسلامه وإنما فقط لإنقاذه من النار.

وترى الخلفاء الراشدين يسيرون على درب رسول الله عليه الصلاة والسلام في تجهيز الجيوش والدعاة جنبا إلى جنب، لفتح الأمصار والبلاد التي تعاني شعوبها من جور الأديان المحرفة والفاسدة وبطش الأنظمة الظالمة المتجبره التي تحكم بأهواء ورغبات الأكاسرة والقياصرة، فهذا الفاروق يوصي قادة وأفراد الجيوش الإسلامية بتقوى الله وورعه ويقول في حكمته المشهورة (إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله)، وتراه أيضا يحرص كل الحرص على عدم وقوع هذه الجيوش في التهلكة ويوصيهم بالحيطة والحذر وتجنب الخسائر في أرواح المسلمين ما أمكن، فيتجلى بذلك حرص الفاروق رضي الله عنه على الواجب الفردي لنفسه وللمسلمين وحرصه على الواجب الجماعي الخاص للمسلمين والعام لهؤلاء الذين سيرت الجيوش لتحريرهم.

إن المتتبع لتاريخ الإسلام منذ نشأته ولغاية اليوم يدرك أن هذا الفهم للإسلام لطالما كان موجودا لدى أتباعه من المؤمنين سواء من الدعاة والعلماء أو الحكام والقادة أو من المثقفين وعوام المسلمين، ولكن ليس بنفس الوتيرة دائما فتراه يشتد في مراحل تاريخية أو مناطق معينة من بلاد المسلمين ويخفت في مراحل معينة

وبلاد أخرى، ولكن مع بداية الثورة العلمية الأوروبية وسطوع نجم المادية الغربية وتفوقها في مجالات الصناعة والبحث العلمي والإنتاج والعلوم التطبيقية مع ما رافق ذلك من تخلف في هذه المجالات وانحسار للقوة المادية في بلاد المسلمين والذي تكلل بخسارة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى وما تبعه من سقوط آخر خلافة إسلامية في هذه الأرض، نشأ جيل من المسلمين الذين انبهروا بهذا التطور المادي والعلمي الذي عندهم وانكب كثير من مثقفي المسلمين على علوم هؤلاء الغربيين من مبدأ أن المغلوب مولعٌ أبدا بالاقتداء بالغالب كما قال ابن خلدون في مقدمته، فجلب هؤلاء المثقفين إلى مجتمعاتهم الغث والسمين، السليم والسقيم، و خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، ولا حول ولا قوة الا بالله.

ومن أهم الأفكار الهدامة التي نشأت من هذا التبادل الثقافي مع الغرب والذي أصبح بحلته الجديدة منفكا عن الدين أو الكنيسة المسيحية بشكل خاص هي العلمانية (secularism) أو مبدأ فصل الدين عن الحياة، بحيث وصل مفكري الغرب إلى أنه لا مجال للتطور والتقدم المادي والثقافي والعلمي إلا بإقصاء الكنيسة المسيحية عن عرش سلطتها السياسية والإقتصادية والإجتماعية وإجبارها على الانكفاء على نفسها في اديرتها ومعابدها وطقوسها الشعائرية، وهذا للإنصاف نتيجة طبيعية من نتائج انتشار الثقافة الأدبية والعلوم التطبيقية التي أطلق شرارتها علماء المسلمين في الأندلس في القرون السابقة للثورة الصناعية الأوروبية، فطبيعة العقائد المسيحية التي تصادم وتناقض المنطق

العقلي والتفكير العلمي لا يمكن أن تتوافق مع العقل المثقف الناقد أو نتائج العلم التجريبي.

ورغم ان هذه العلمانية ليست هي السبب في التطور العلمي والصناعي الغربي بطبيعة الحال، فهي لا تعدو عن كونها نتيجة لإنتشار الثقافة والتعليم بين أوساط الشعوب الاوروبية المسيحية، ولكن للأسف تم تسويقها وتسويق تفرعاتها أو ما نشأ عنها من ايدولوجيات جديدة مثل الليبرالية والقومية والاشتراكية والرأسمالية وغيرها في جميع انحاء العالم بما في ذلك في البلدان الإسلامية، وقد فتن الكثير من ابناء المسلمين وخصوصا من الذين كانوا بعيدين اصلا عن التعليم الشرعي الصحيح بهذه الأفكار فتبنوها وزين لهم الشيطان اتباعها، فانقسموا بين مؤيد للقومية ومؤيد للإشتراكية ومؤيد لليبرالية أو من يجمع بين ايدولوجيتين كالقومية الإشتراكية أوالقومية الرأسمالية ثم انقسموا في اساليب تطبيقها من يمينيين ويساريين وغير وذلك، وأعلم ان جميع هذه الايدولوجيات إنما تعود لأصل واحد وهو العلمانية ذاتها ولو لم يعترف اصحاب هذه الايدولوجيات بذلك، ولما تعاظمت الفتنة بهذه الأفكار الغربية والتي تتصادم الكثير من مبادئها وخصوصا التي تتناول الجانب السياسي والإجتماعي مع شرائع الإسلام، وجب على المسلمين المخلصين التصدي لهذه الفتنة والدفاع عن مبدأ حاكمية الله وشمولية شريعة الإسلام الحنيفه، فقيض الله لهذه الأمة عالمين جليلين من أهل السنة والجماعة ومن ابناء مدرسة الإمام ابو حنيفة عليه رضوان الله فاضطلعوا بهذه المهمة العسيرة والواجب العظيم وهما الإمام الشهيد حسن البنا الذي انشأ جماعة الإخوان المسلمين في مصر عام 1928 والإمام ابو الأعلى المودودي الذي انشأ

الجماعة الإسلامية في الهند (قبل انفصال باكستان وبنغلاديش عن الهند) عام 1941 رحمهم الله واحسن اليهما.

فنشأت هذه المدرسة الدعوية الإسلامية من رحم المذهب الحق مذهب أهل السنة والجماعة، لتعيد إلى الإسلام روحه من جديد وتنقل الخطاب الديني الإسلامي من التأخر والجمود إلى الحركة والعمل، وتنقل السلوك الديني عند المسلمين من الخرافة والبدعة إلى التصوف السني المحكوم بضوابط الشريعة، يقول الإمام أبو الأعلى المودودي (وحاشا لله أن أكون من المعترضين على نفس التصوف الذي دعا إليه هؤلاء المجددون (الشيخ أحمد السرهندي والإمام ولي الله الدهلوي)، والذي كان في روحه وجوهره تصوفا اسلاميا خالصا وكان لا يختلف في وضعه ونوعيته عن منزلة الإحسان في شيء، ولكن الذي أراه كان خليقا بأن يجتنب ويتحامى هو استعمال إشارات التصوف ورموزه وأختيار لغته وأسلوبه، والإبقاء على الطرق المماثلة لطريقته، وذلك أنه من الظاهر المعقول أن التصوف الإسلامي الحقيقي ليس بمفتقر إلى هذا القالب المخصوص)[107]، وما فتئ أن انضم إليها اصحاب العقول النيرة من مفكري ومثقفي المسلمين الذين عرفوا دينهم وفهموا شريعته وواجبات المؤمن به مثل الأستاذ الشهيد سيد قطب والشيخ مصطفى السباعي والشيخ سعيد حوى والشيخ عبد الفتاح أبو غدة والشيخ أبو الحسن الندوي والإمام يوسف القرضاوي والإمام محمد الغزالي والأستاذ نجم الدين أربكان والمفكر علي عزت بيغوفيتش وغيرهم الكثير ومعظمهم من أبناء مدرسة العقل والحكمة والإسلام الوسطي، مدرسة الإمام أبو حنيفة رحمه الله.

[107] أبو الأعلى المودودي - موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه و واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم- صفحة 126

فجد هؤلاء المفكرين المخلصين منطلقين من المرجعية العقدية السنية الصحيحة في الدعوة إلى إحياء قيم الإسلام في شتى مجالات الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية والتأطير لمفهوم شمولية الإسلام وحاكمية الله على عبيده ومحاربة الأفكار الدخيلة المخالفة لتعاليمه وكسر حالة التقوقع التي أصابت المسلمين بسبب انتشار الجهل وترك العلم الديني والدنيوي وانتشار خرافات بعض الفرق الصوفية المنحرفة والانسحاب عن تعاليم الإسلام العملية و التي شاعت في الأمة وحيدتها عن العمل إلى التواكل و العيش في الوهم والخرافة، يقول الإمام حسن البنا في وصف الدعوة الإسلامية (دعوتنا دعوة أجمع ما توصف به أنها (إسلامية) و لهذه الكلمة معنى واسع غير ذلك المعنى الضيق الذي يفهمه الناس، فإنا نعتقد أن الإسلام معنى شامل ينتظم شؤون الحياة جميعا، و يفتي في كل شأن منها و يضع لها نظاما محكما دقيقا، و لا يقف مكتوفا أمام المشكلات الحيوية و النظم التي لا بد منها لإصلاح الناس. فهم بعض الناس خطأ أن الإسلام مقصور على ضروب من العبادات أو أوضاع من الروحانية، و حصروا أنفسهم و أفهامهم في هذه الدوائر الضيقة من دوائر الفهم المحصور).[108]

[108] رسائل الإمام حسن البنا.

يجب أن نعلم أن الدعوة الإسلامية إنما هي نابعة من معرفة جوهر وحقيقة الإسلام نفسه، وذلك بأنه كما هو عقيدة و عبادات شعائرية هو ايضا الطريقة المثلى لحياة الإنسان، فالإسلام يضع القواعد والقوانين التي تحكم بين الناس على أرض الواقع متمثلتا بالشريعة الإسلامية وفقه المعاملات في المذاهب الإسلامية، كما يؤكد الإمام حسن البنا بأن المسلم إنما هو مأمور بإتباع هذه الأوامر والنواهي الإلهية وليس له الخيرة في ذلك ما دام سلم بصحة الإسلام وصدق برسالته، يقول الإمام رحمه الله (إن مهمة المسلم الحق لخصها الله تبارك و تعالى في آية واحدة من كتابه ،و رددها القرآن الكريم بعد ذلك في عدة آيات ،فأما تلك الآية التي اشتملت على مهمة المسلمين في الحياة فهي قول الله تبارك وتعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ،وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ و َتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ)(الحج:77-78)).

الواجب الفردي

وهذه الدعوة الإسلامية يجب أن تبدأ من الفرد في ذاته أي الواجب الفردي كما بينا سابقا، فالمسلم مطالب بالعلم والعمل والتزكية جميعا، أما العلم فأساسه هو

تعلم العقيدة الإسلامية الصحيحة وثم تعلم القرآن الكريم والفرائض في العبادات والمعاملات والعلم بالحلال والحرام مما جائت به النصوص القطعية من القرآن والسنة النبوية الشريفة، ولا يعذر أمام الله تعالى مسلم عاقل مكلف بعدم العلم بهذه المسائل الأساسية بأي حال من الأحوال.

أما في مجال العمل فالمسلم مكلف بالقيام بشعائر الدين من صلاة وصيام وحج وقراءة للقرآن ودعاء وغيره، فعليه أن يأتي بهذه الأعمال على الهيئة التي أمر الله بها ووفق السنة النبوية الشريفة وبما يوافق اجتهادات علماء المذاهب السنية المعتبرة، فلا يجتهد بذاته في هيئة العبادة ويتجنب الابتداع ومخالفة المذاهب الفقهية السنية فيها، ولا يجوز للمسلم أن يأتي بعبادة دون نص شرعي صريح من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أو بدون اجتهاد علماء أحد المذاهب السنية المعتبرة في النصوص الشرعية التي هي بحاجة إلى الاجتهاد الفقهي لظنية ثبوتها أو دلالتها ، كما يفعل بعض الجهلة في حلقات الرقص البدعية في المساجد والزوايا من حركات وادعية لا اصل لها في نصوص الإسلام أو قيام بعض الضلال من الفرق المخالفة لأهل السنة بمسيرات وزيارات لمراقد الأولياء أو ائمة آل البيت عليهم السلام، فهذا كله ابتداع في الدين بل ابتداع في أخص شعائر الدين التعبدية، يقول رسول الله عليه الصلاة والسلام (إن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار)(رواه النسائي).

ومن هذه الأعمال الإقبال على تعلم العربية والاهتمام بها وإتقانها سواء من قبل العربي أو غير العربي، وذلك لأنها آلة فهم القرآن بنصه الأصلي ولغة الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام ولغة أصحاب المذاهب الفقهية الإسلامية.

ومن هذه الأعمال أيضا المداومة على الإستغفار والتسبيح والصلاة على رسول الله عليه الصلاة والسلام والمحافظة على الأذكار المأثورة الصحيحة ومنها:

- اذكار ما بعد الصلاة فيقول المسلم بعد كل صلاة (استغفر الله العظيم ثلاثاً ثم يدعوا: اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام، لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة الا بالله لا اله الا الله ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذاك الجد منك الجد،ثم يقول: سبحان الله ، والحمد لله، والله أكبر (ثلاثاً وثلاثين مرة)، ثم قراءة : سورة الإخلاص والمعوذتين (الفلق والناس)، ثم قراءة : آية الكرسي).
- اذكار الصباح والمساء أي الوظيفة وفيها إعانة للمسلم على طاعة الله تبارك وتعالى وهي تقرأ صباحا من الفجر إلى الظهر، ومساء من العصر إلى ما بعد العشاء فرادى وجماعة، ومن فاتته كلها فلا يفوتنه بعضها حتى لا يعتاد إهمالها وتضييعها، يورد الإمام حسن البنا هذه الوظيفة في رسالة المأثورات وعلى النحو التالي:

أَعُوذُ بِالله السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشّيطَانِ الرّجِيمِ (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ،الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ،الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ،مَـلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ،إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ،اهدِنَـــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ،صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ)(الفاتحة).

(بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمـنِ الرَّحِيمِ ،الـم ، ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ، والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ، أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)(البقرة:1-5).

(اللهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ،لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ،اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)(البقرة:255-257).

(لِلّهِ ما فِي السَّمَاوات وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ،آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ،لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)(البقرة:284-286).

(بسم الله الرحمن الرحيم ، الم ،اللهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)(آل عمران:1-2).

(حَسْبِيَ اللهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ)(التوبة:129)، (سبعا).

(قُلِ ادْعُواْ اللهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ،وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا)(الإسراء:110-111).

(وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ،وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا)(طه:111-112).

(أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ،فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ،وَمَن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ،وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ)(المؤمنون:115-118).

(فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ،وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ،يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ،وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ،وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ،وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ،وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ،وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاء مَاء فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ،وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ،وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ)(الروم:17-26).

(بسم اللَّهِ الرحمن الرحيم ،حم ،تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ،غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ)(غافر:1-3).

(هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إلا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ،هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ،هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(الحشر:22-24).

(بسم الله الرحمن الرحيم ،إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ،وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ،وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا ،يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ،بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ،يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ،فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ،وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)(الزلزلة).

(بسم الله الرحمن الرحيم ،قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ،لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ،وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ،وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ،وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ،لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ)(الكافرون).

(بسم الله الرحمن الرحيم ،إِذَا جَاء نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ،وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا ،فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا)(النصر).

(بسم الله الرحمن الرحيم ،قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ،اللهُ الصَّمَدُ ،لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ،وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ)(الإخلاص)، (ثلاثا).

(بسم الله الرحمن الرحيم ،قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ،مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ،وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ،وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ،وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ)(الفلق)، (ثلاثا).

(بسم الله الرحمن الرحيم ،قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ،مَلِكِ النَّاسِ ،إِلَهِ النَّاسِ ،مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ،الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ،مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ)(الناس)، (ثلاثا).

(أصبحنا وأصبح الملك لله ، والحمد لله لا شريك له ، لا إله إلا هو وإليه النشور)(ثلاثا).

(أصبحنا على فطرة الإسلام ، وكلمة الإخلاص ، وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين)(ثلاثا).

(اللهم أني أصبحت منك في نعمة وعافية وستر، فأتم علي نعمتك وعافيتك وسترك في الدنيا والآخر)(ثلاثا).

(اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر)(ثلاثا).

(يا ربي لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك)(ثلاثا).

(رضيت بالله ربا ،وبالإسلام دينا ،وبمحمد نبيا ورسولا)(ثلاثا).

(سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته)(ثلاثا).

(بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم)(ثلاثا).

(اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه)(ثلاثا).

(أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق)(ثلاثا).

(اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال)(ثلاثا).

(الله عافني في بدني ،اللهم عافني في سمعي ،اللهم عافني في بصري)(ثلاثا).

(اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر ،وأعوذ بك من عذاب القبر ،لا إله إلا أنت)(ثلاثا).

(اللهم أنت ربي ، لا إله إلا أنت ،خلقتني وأنا عبدك ،وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي ،و أبوء بذنبي ، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)(ثلاثا).

(استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه)(ثلاثا).

(اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ،كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم ،وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ،كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين ،إنك حميد مجيد)(عشرا).

(سبحان الله ،والحمد لله ،ولا إله إلا الله ،والله أكبر)(مائة).

(لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،له الملك وله الحمد ،وهو على كل شيء قدير)(عشرا).

(سبحانك اللهم وبحمدك ،أشهد أن لا إله إلا أنت ،أستغفرك وأتوب إليك)(ثلاثا).

(اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما عدد ما أحاط به علمك وخط به قلمك وأحصاه كتابك ،وارض اللهم عن ساداتنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ،وعن الصحابة أجمعين ،وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين).

(سبحان ربك رب العزة عما يصفون ،وسلام على المرسلين ،والحمد لله رب العالمين).[109]

- الورد القرآني وأقل مدة للختمة ثلاثة أيام، وقد كره العلماء أن يختم المسلم القرآن في أقل من ثلاث وفي أكثر من شهر، وقالوا: إن الختم في أقل من ثلاث إسراعا لا يعين على التفهم والتدبر وفي الختم في أكثر من شهر إسرافا في هجر التلاوة.
- الأدعية الخاصة، كدعاء الإستيقاظ من النوم ودعاء السفر ودعاء الدخول إلى المسجد ودعاء الطعام وغيرها من الأدعية المأثورة ويذكر الإمام

[109] رسالة المأثورات – للإمام حسن البنا

حسن البنا رحمه الله في كتابه رسالة المأثورات هذه الأدعية بتفاصيلها ونصوصها من القرآن والسنة الشريفة.

وأما في جانب التزكية فالمسلم مأمور بحسن الخلق والتمسك بالفضيلة والبعد عن الرذيلة بل والاجتهاد في ذلك ونورد أهم ما ينبغي على المسلم في هذا الجانب:

- الإخلاص في النية والقول والعمل، يقول الله تعالى (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ)(البينة: 5)، فالإخلاص هو أساس قبول العمل الصالح من الله وهو الذي يتمايز به المؤمنين عن الضلال والمشركين ولو بدر نفس العمل الصالح من كليهما، فالمسلم الحق ينبع عمله من الإخلاص في النية لله تعالى ومن طلب مرضاته وتجنب غضبه أما أهل الزيغ والضلالة فيكون العمل إما رياء أو إرضاء لرغبات النفس أو لمصلحة متوقعه يرجوا اصابتها ولا هادي الا الله.
- التوبة من الذنوب وترك المعصية والندم على فعلها والعزم على عدم العودة إليها، يقول الله تعالى (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(النور: 31)، فالمسلم الحق لا يصر على المعصية ولو وقع منه الزلل بسبب شهوة نفس أو مكيدة شيطان، ولا عاصم إلا الله.
- مراقبة الله في القول والعمل، يقول الله تعالى (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّـهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّـهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ)(البقرة: 235)، فيتيقن المسلم من أنه لا يخفى على الله عز وجل من قوله وعمله شيء في كل وقت وحين، ويرقب الله تعالى في جميع تصرفاته وأحواله.

- التقوى، يقول الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(المائدة: 35) والتقوى هي من أسمى مراتب عبادة الله تعالى وهي أن يجعلَ العبد بينه وبين ربه وقايةً من غضبه وسخطه، وهي أن يعملَ بطاعة الله على نور من الله.
- الاستقامة، يقول الله تعالى (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ)(الأنعام:153) أي أن يتجنب المسلم جميع نواهي الله وأن يتحلى بحسن الخلق في التعامل مع سائر البشر فلا يكذب ولا يسرق ولا يعتدي ولا يؤذي أحدا بغير حق.
- الامانة والصدق في القول والعمل، يقول عز وجل (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)(النساء: 58)، ويقول عز وجل (قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(المائدة: 119)، وروي عن رسول الله عليه الصلاة والسلام (عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَقِيلَ لَهُ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلًا؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَقِيلَ لَهُ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَّابًا؟ فَقَالَ: لا)(موطأ مالك).
- الخوف والرجاء من الله تعالى، ويجب على المسلم الاعتدال في الخوف والرجاء كما هو حال الأنبياء والمرسلين والمؤمنين الصالحين المتقين، يقول الله تعالى (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)(الأنبياء:90)، ويقول عز وجل (إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا

الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ * تَتَجَافي جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)(السجدة:15- 16).

- تجنب الكبر والغرور، يقول الله تعالى (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)(القصص:83)، فينبغي للمسلم أن يحذر أن يعجب بنفسه، أو أن يتكبر على غيره، فإن الإنسان محلُّ الخطر، فينبغي له أن يحاسب نفسه، وأن يجاهدها حتى لا يقع في قلبه التَّكبرعلى إخوانه والعجب بنفسه فيهلك.
- تجنب الغل والحقد، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال (تعرض أعمال الناس في كل جمعة مرتين، يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد مؤمن، إلا عبداً بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: اتركوا، أو اركوا، هذين حتى يفيئا)(رواه مسلم)، ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام (أَلَا أَدُلُّكُم على أَفْضَلَ من درجةِ الصلاةِ والصيامِ والصدقةِ ؟ قالوا : بلى يا رسولَ اللهِ . قال : إصلاحُ ذاتِ البَيْنِ فإنَّ فسادَ ذاتِ البَيْنِ هي الحالِقَةُ . لا أقولُ : إنها تَحْلِقُ الشَّعْرَ ولكن تَحْلِقُ الدِّينَ)(رواه الترمذي)، فالحقد والغل يسقط دين المسلم ويذهب التقوى ويوقع في التهلكة.

يقول الشاعر :

الحقد داءٌ دفين ليس يحمله إلا جهول مليء النفس بالعلل

مالي وللحقد يشقيني وأحمله إني إذن لغبي فاقد الحيل

سلامة الصدر أهنأ لي وأرحب لي ومركب المجد أحلى لي من الزلل

إن نمت نمت قرير العين ناعمها وإن صحوت فوجه السعد يبسم لي

وأمتطي لمراقي المجد مركبتي لا حقد يوهن من سعيي ومن عملي

- اليقين والتوكل والآيات في فضل التوكل كثيرة معروفة، قال تعالى (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل * فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوءٌ واتبعوا رضوان الله، والله ذو فضل عظيم)(آل عمران : 173-174)، وقال تعالى (وتوكل على الحي الذي لا يموت)(الفرقان : 58)، وقال تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون)(إبراهيم :11)، وقال تعالى (فإذا عزمت فتوكل على الله)(آل عمران :159)، وقال تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه)(الطلاق :3)، وقال تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون)(الأنفال : 2)، وفي الحديث الشريف عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله عليه الصلاة والسلام كان يقول (اللهم لك أسلمت وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت ، وبك خاصمت. اللهم أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا تموت، والجن والإنس يموتون)(متفق عليه)، وعن أبي عمارة البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا فلان إذا

أويت إلى فراشك فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك: وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت؛ فإنك إن مت من ليلتك مت على الفطرة، وإن أصبحت أصبت خيراً)(متفق عليه).

- الصبر والعفو، قال تعالى (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ * وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)(الشورى: 39-43)، ويقول عز وجل (وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)(آل عمران: 132-133)، وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (ثلاثٌ والذي نفسي بيدِه إنْ كُنتُ لحالفًا عليهنَّ: لا ينقصُ مالٌ من صدقةٍ فتصدقوا ولا يعفو عبدٌ عن مظلمةٍ إلا زاده اللهُ بها عزًّا يومَ القيامةِ ولا يفتحُ عبدٌ بابَ مسألةٍ إلا فتح اللهُ عليه بابَ فقرٍ)(رواه احمد).

- الإلتزام بالسمت الإسلامي والأخلاق الإسلامية، والإلتزام بالسمت الإسلامي من اعظم الواجبات المناطة بالمسلمين، ففي جانب التزام المسلمات في اللباس الشرعي الإسلامي، يقول الله عز وجل (وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ

إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(النور: 31)، وعن عائشة رضي الله عنها (أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا- وأشار إلى وجهه وكفيه)(سنن ابو داوود)، وواجب الإلتزام باللباس الشرعي ليس واجبا على المسلمات فقط، بل المسلمين ايضا يجب ان يراعوا احكام الشرع والمروءة والعرف وترك التشبه بالكفار في لباسهم، يقول رسول الله عليه الصلاة والسلام (لتتبعن سنن من كان قبلكم، حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه. قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟)(رواه البخاري ومسلم)، وفي جانب الأخلاق الإسلامية يجب ترك فاحش القول والشتم واللعن وغيرها من صفات سوء الخلق التي يتصف بها الكفار والفاسقين.

- حب رسول الله والصالحين من المؤمنين، قال تعالى (وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا)(النساء:69)، وقال تعالى

(وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(التوبة:100)، وعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)(رواه مسلم)، وعن عبدالله بن هشام قال (كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذٌ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إلى من كل شيء إلا من نفسى، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا والذي نفسى بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك) فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلى من نفسى، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (الآن يا عمر))(رواه البخاري)، ويروى في الآثار انه عندما اجتمع رهط من قريش لقتل الصحابي الأسير زيد بن الدثنة (فقال له أبو سفيان حين قُدِّم ليُقتل: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمدا عندنا الآن في مكانك نضرِب عُنقه، وأنك في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وأني جالس في أهلي، فقال أبو سفيان: ما رايت من الناس أحدا يحب أحدا، كحب أصحاب محمد محمدا)(السيرة النبوية لابن هشام).

وقال الإمام الشافعي رحمه الله:

أحب الصالحين ولست منهم   لعلي أن أنال بهم شفاعة

وأكره من تجارته المعاصي   ولو كنا سواء في البضاعة

فرد عليه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله:

تحب الصالحين وأنت منهم ومنكم سوف يلقون الشفاعة

وتكره من تجارته المعاصي وقاك الله من شر البضاعة

ويندرج في باب التزكية أيضا، التصوف السني المنضبط بقواعد القرآن والسنة النبوية الشريفة سواء من الناحية العقدية أو الفقهية، يقول شيخنا سعيد حوى رحمه الله (وورثت الأمة الإسلامية إرثاً ضخماً من كتب التصوف ودوائره المتمثلة بمئات الطرق الصوفية وفي خضم الإرث تجد خيراً كثيراً ودخناً كثيراً فأرادها (أي الإمام البنا رحمه الله) حقيقة صوفية... وقل مثل ذلك في كل شيء ولم يكن حسن البنا رحمه الله مخطئاً عندما جعل من سمات دعوته أنها حقيقة صوفية)[110]، وعليه فيشترط في متبع طريق التصوف الابتعاد عن التحزب في الفرق الصوفية المختلفة لما فيها من تخليط للحق مع الباطل وللسنة مع البدعة، حتى لا تكاد تخلو طريقة من هذه الطرق من هذا التخليط أو المخالفات بشكل عام، فنأخذ ما فيه الحق والخير ونترك ما يخالف الشريعة مستندين على العقيدة الصحيحة، عقيدة أهل السنة والجماعة، والفقه الصحيح، وهو الراجح في أحد المذاهب السنية الأربعة، مع الإحتياط من التلفيق بين هذه المذاهب وتتبع الرخص أو اتباع المرجوح في المذهب متابعة للهوى والشهوة، وبالله العصمة.

الواجب الإجتماعي الخاص

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر

[110] تربيتنا الروحية - سعيد حوى - صفحة 15

والحمى)(رواه مسلم)، وعن تميم بن أوس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (الدين النصيحة ، قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم)(رواه البخاري ومسلم)، وهذه النصيحة يجب أن تنبع من الإخلاص والصدق في نفس المسلم تجاه الله تعالى بحيث لا تكون بهدف مصلحة دنيوية أو لرغبة في النفس، و إنما تكون من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي قال الله تعالى فيه (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)(آل عمران: 110). فالمسلم مكلف بهذا النصح تجاه المسلمين وتذكير غيره بواجباته تجاه دينه، والمسلم أيضا مطالب بالدفاع عن عقيدته وتطبيق أوامر الله عز وجل ونواهيه في ذاته واتجاه غيره من المسلمين، وهذا الواجب يكون في دوائر بعضها أوسع من بعض فتبدأ من الأسرة التي لك حق الولاية عليها من الزوجة و الأبناء والحفدة وهذا واجب على كل مكلف من المسلمين لا يعذر تاركه، يقول رسول الله عليه الصلاة والسلام (أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)(متفق عليه)، فمن أكبر الكبائر نشوء أبناءك على غير الإسلام مع اللامبالاة والسكوت من طرفك، فتكون نقضت عهد الله وعهد ابائك واجدادك الذين اوصلوا رسالة الإسلام إليك، بل يجب أن نتأسى بسيدنا إبراهيم عندما طلب لذريته الإمامة

والصلاح، قال تعالى (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)(البقرة: 124).

ثم تتسع الدائرة بحسب موقع وتأثير الشخص، فالدائرة الثانية هي الوالدين والإخوة والأخوات فيجب على المسلم أن يجتهد في نصحهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا وأن يذكرهم بتقوى الله واتباع تعاليم الشرع الحنيف في انفسهم واهليهم ثم تتوسع الدائرة إلى الأقارب والأصدقاء وأهل منطقته، فيكون معول بناء لا هدم في محيطه وفي مجتمعه الأساسي.

أما من خصه الله بالعقل الراجح مع قوة العبارة أو ملكة الخطابة فيجب عليه أن يجتهد في طلب العلم الشرعي حتى يحصل منه ما يستطيع به القيام بواجب الدعوة العامة للمجتمع المسلم الذي يعيش فيه وما يستطيع به الوقوف على أوامر الله ونواهيه والنصح على بصيرة وفهم صحيح لدين الله وشريعته.

يقول الإمام البنا رحمه الله (من الحق أن نعترف بأن موجة قوية جارفة وتيارا شديدا دفاقا قد طغى على العقول والأفكار في غفلة من الزمن ،وفي غرور من أمم الإسلام ،وانغماس منهم في الترف والنعيم فقامت مبادئ ودعوات ،وظهرت نظم وفلسفات ،وتأسست حضارات ومدنيات ،ونافست هذه كلها فكرة الإسلام في نفوس أبنائها ،وغزت أممه في عقر دارها ،وأحاطت بهم من كل مكان ،ودخلت عليهم بلدانهم وبيوتهم ومخادعهم، بل احتلت قلوبهم وعقولهم ومشاعرهم ،وتهيأت لها من أسباب الإغواء والإغراء والقوة والتمكن ما لم يتهيأ لغيرها من قبل ،واجتاحت أمما إسلامية بأسرها ،وانخدعت بها دول كانت في الصميم والذؤابة من دول الإسلام ،وتأثر ما بقي تأثرا بالغا ،ونشأ في كل الأمم الإسلامية

جيل مخضرم ،إلى غير الإسلام أقرب ،تصدّر في تصريف أمورها واحتل مكان الزعامة الفكرية والروحية والسياسية والتنفيذية منها ،فدفع بالشعوب مغافلة إلى ما يريد ،بل إلى ما ألف وهي لا تدري ما يراد بها ولا ما تصير إليه ،وارتفعت أصوات الدعاة إلى الفكرة الطاغية : أن خلصونا مما بقي من الإسلام وآثار الإسلام ،وتقبلوا معنا راضين لا كارهين مستلزمات هذه الحياة وتكاليفها وأفكارها ومظاهرها ،واطرحوا بقية الفكرة البالية من رؤوسكم ونفوسكم ،ولا تكونوا مخادعين منافقين معاندين ،تعملون عمل الغربيين وتقولون قول المسلمين .

من الحق أن نعرف أننا بعدنا عن هدي الإسلام وأصوله وقواعده ، والإسلام لا يأبى أن نقتبس النافع وأن نأخذ الحكمة أنى وجدناها ، ولكنه يأبى كل الإباء أن نتشبه في كل شيء بمن ليسوا من دين الله على شيء ، وأن نطرح عقائده وفرائضه وحدوده وأحكامه ، لنجري وراء قوم فتنتهم الدنيا و استهوتهم الشياطين)[111].

ويقول الإمام رحمه الله في واجبات أبناء الدعوة الإسلامية (اما مهمتنا اجمالا فهي أن نقف في وجه هذه الموجة الطاغية من مدنية المادة، وحضارات المتع والشهوات ، التي جرفت الشعوب الإسلامية، فأبعدتها عن زعامة النبي وهداية القرآن، وحرمت العالم من أنوار هديها ، وأخرت تقدمه مئات السنين ، حتى تنحسر عن أرضنا ويبرأ من بلائها قومنا ، ولسنا واقفين عند هذا الحد بل سنلاحقها في أرضها ، وسنغزوها في عقر دارها ، حتى يهتف العالم كله باسم

[111] رسائل الإمام حسن البنا.

النبي ، وتوقن الدنيا كلها بتعاليم القرآن ، وينتشر ظل الإسلام الوارف على الأرض ، وحينئذ يتحقق للمسلم ما ينشده ، فلا تكون فتنة ويكون الدين كله لله و (لِلهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ، بِنَصْرِ اللهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)(الروم:5))[112].

وهنا يبين الإمام رحمه الله واجب أبناء الدعوة الإسلامية بل وواجب جميع المسلمين في ضرورة مقارعة هذه الأفكار الهدامة ومكافحة الفكر المادي الدخيل على الأمة الإسلامية بكل الوسائل المتاحة بحسب موقع كل فرد في المجتمع المسلم، فالتاجر مطالب بعدم استيراد وبيع اللباس المخالف للشرع أو استيراد وبيع المسكرات والخمور أو أي من المحظورات في الشريعة الإسلامية بحسب نوع تجارته، والمعلم مطالب بعدم تدريس المواد المخالفة للشريعة الإسلامية مثل نظرية التطور التي ذكرناها في الفصل الأول ونظريات النوع الجندري والمثلية الجنسية ونظريات الليبرالية الاجتماعية التحررية وغيرها من النفايات الثقافية والتي يراد لها أن تشيع في بلاد المسلمين بل وفي جميع بلاد العالم من قبل سدنة الإلحاد والمادية، وكذا أصحاب السلطة من ملوك ورؤساء ووزراء ونواب وموظفين حكومين فكل شخص منهم مطالب بتقوى الله ولزوم شرعه والحفاظ على المجتمع المسلم بحسب موقعه وسلطته ولا يعفي المرؤوس من المحاسبة أمام الله لتقصير المسؤول الأعلى منه بل كلٌ يسأل عن واجبه وكلٌ مطالب بالسعي للإصلاح بحسب مقدرته، والموظف العادي ايضا مطالب بمكافحة الفساد

112 رسائل الإمام حسن البنا.

والمحسوبية والتنفع من الوظيفة العامة بحسب موقعه والإعتراض على المنكر وعدم العمل به إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ومن واجبات الفرد المسلم تجاه المجتمع هو السعي في إصلاح ذات البين والدعوة إلى نبذ الفرقة والخصام والعصبيات الجاهلية التي حرمها الشرع الحنيف، ومن واجباته أيضا محاربة الفتنة والدعوات الهدامة التي تهدف إلى تفريق كلمة المسلمين على اساس العرق أو القومية أو المناطقية ولكن في نفس الوقت يحارب أيضا الدعوات العلمانية والليبرالية التحررية ويتصدى لهؤلاء الفاسدين والفساق الذين يتبنون هذه الدعوات الهدامة من الذين يدعون الإسلام وهم أقرب إلى الكفر منهم إلى الإيمان، فينصح لمن هو أهل للدعوة ممن اجّر عقله لعرابي هذه الدعوات الهدامة المادية فغابت بصيرته واغرته دعاية شياطين الإنس والجن من هؤلاء المجرمين ويتصدى لأئمة الكفر منهم ممن عرف سوء نيته وعدائه للإسلام يقينا اما بالوسائل القانونية من رفع قضايا وغيرها أو بالضغط الشعبي على السلطة لإتخاذ اللازم بحق هؤلاء المجرمين أو أي وسيلة أخرى تحقق كف اذى هؤلاء الشياطين عن المجتمع الإسلامي.

ومن واجبات المسلم ايضا الدفاع عن العقيدة الإسلامية الصحيحة وعن مذهب أهل السنة والجماعة ومدارس الأئمة الأعلام المجتهدين الأربعة ومحاربة تمييع عقائد الدين واحكام العبادة والمعاملات في الشريعة الإسلامية، وهذا لا يكون إلا بالعلم الصحيح والفكر القويم والجدال بالتي هي أحسن، فيبتعد المسلم عن التعصب السلبي لمدرسة فقهية معينة رغم إيمانه بأنها الأصح و الأحق بالإتباع، بل يجب أن يؤمن المسلم بأن جميع أهل السنة والجماعة على خير بكل مدارسهم

الفقهية وانهم من الناجين إن هم طبقوا هذه الشعائر والأحكام وفقا لهذه المدارس الفقهية القويمة، وكما يبتعد المسلم عن التكفير والحكم على المسلمين على غير بصيرة وعلم بل ويجب أن يؤمن المسلم بأن جميع أهل القبلة من أهل المذاهب المخالفة لأهل السنة والجماعة هم في ذمة الله لحق التوحيد وشهادة لا اله الا الله وأن محمد رسول الله وأخص بالذكر الأخوة الزيدية من الشيعة والأخوة الاباضية وهم أقرب المذاهب إلى أهل السنة والجماعة ومخالفاتهم لا يحكم عليها بكفر أو ضلال و إنما هي من باب الخطأ في الإجتهاد أو البدعة في الفروع غفر الله لنا ولهم.

ومن واجبات المسلم التصدي للغلاة وأهل الإفراط من الذين استحوذ عليهم الفكر التكفيري والعداء للمجتمع الإسلامي بدعوى شيوع المعاصي والآثام في افراده، أو شيوع المخالفات الصريحة لأحكام الشريعة الإسلامية في التطبيق العملي في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية وقوانين الدول الإسلامية، فيجب أن يكون المسلم متوازنا منصفا في أحكامه فيفرق بين المعصية ولو كانت من الكبائر وبين الشرك والكفر المخرج من ملة الإسلام، ويفرق أيضا بين أحكام الجهاد ضد الكفار المعتدين وبين الأحكام المتعلقة بالكفار الذميين الذين يعيشون في بلاد المسلمين وبين الأحكام المتعلقة بالكفار الذين يعيش المسلمون كأقلية في بلادهم، فالموضوع فيه تفصيل لا يسع غير المختص النظر فيه والإلمام بتفريعاته، والحكم بمقتضى هذه الأفعال والسلوكيات على العموم أو الأفراد بعينهم، ويمكن اختصار هذه النقطة في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (إياكم والغلوَّ في الدينِ فإنما أهلَك مَن كان قبلَكم الغلوُّ في الدينِ)(رواه النسائي)،

وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (سيكون في أمتي اختلاف وفرقة ، قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية لا يرجعون . حتى يرتد السهم على فوقه هم شر الخلق والخليقة ....)(رواه أبو داود)، وكما قال الصادق الأمين (إن من ضئضئ هذا قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد)(متفق عليه)، فمن تنطبق عليه أوصاف هؤلاء الخوارج الذين وصفهم الرسول الكريم إن لم يكن هؤلاء الذين يكفرون المسلمين اليوم بالجملة ويبيحون دمائهم وأموالهم ويفجرون الأسواق والمساجد والمباني الخاصة والحكومية بل حتى يستبيحون دماء الأبرياء من غير المسلمين مثل تفجير الكنائس ودور العبادة وغيرها من المرافق المدنية التي يحرم على المسلمين استهدافها حتى في حالة الحرب إلا للضرورة العسكرية (تمترس جيش العدو فيها).

ومن واجبات المسلم ايضا النفير للجهاد إذا حصل الإعتداء على المسلمين من قبل الكفار في البلد الذي يعيش فيه أو في أي بلد مسلم مجاور أو بعيد بحسب الحاجة وتقدير الأمور من قبل السلطان أو الحاكم في بلاد المسلمين، يقول الله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)(الانفال:72)، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال أبو بكرٍ ، بعد أن حمِد اللهَ وأثنَى عليه : يا

ايُّها النَّاسُ ، إنَّكم تقرءون هذه الآيةَ ، وتضعونها على غيرِ موضعِها عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ وإنَّا سمِعنا النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ : إنَّ النَّاسَ إذا رأَوُا الظَّالمَ فلم يأخُذوا على يدَيْه أوشك أن يعُمَّهم اللهُ بعقابٍ وإنِّي سمِعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ : ما من قومٍ يُعمَلُ فيهم بالمعاصي ، ثمَّ يقدِرون على أن يُغيِّروا ، ثمَّ لا يُغيِّروا إلَّا يوشِكُ أن يعُمَّهم اللهُ منه بعقابٍ)(رواه ابي داوود)، وانوه هنا إلى ان هذه المسألة من المسائل الشائكة في عالم اليوم، وحيث ان طبيعة أنظمة الحكم والدول وحدودها بل وحتى شكل الحروب والمعارك مختلف تماما عن الحقب التاريخية السابقة، فاليوم للمعدات والاسلحة المستخدمة والتكنولوجيا العسكرية الدور الأهم في المعارك، فلا معنى لأعداد المقاتلين وشجاعتهم بدون امتلاك هذه المعدات والمهارة في استخدامها بل ان أي بلد متوسط الحجم فيه من الرجال الكفاية وزيادة لتشكيل اقوى جيش في العالم إذا تواجدت المقدرة المالية والمعدات العسكرية المتفوقة تكنولوجيا، فأقوى جيش في العالم وهو الجيش الأمريكي يصل تعداده إلى مليون ونصف المليون جندي، وعدد هؤلاء الرجال يمكن توفيره من دولة صغيرة مثل الأردن حيث ان عدد الرجال الصالحين للخدمة العسكرية حوالي ضعف هذا الرقم ولكن المشكلة هي في توفير الميزانية والمعدات العسكرية اللازمة لهؤلاء الجنود وحيث ان ميزانية الجيش الأمريكي تبلغ 858 مليار دولار حاليا[113]، ويمتلك معدات وأسلحة وذخائر بترليونات الدولارات وهي أرقام مهولة تفوق ميزانيات عشرات الدول مجتمعة.

[113] https://www.skynewsarabia.com/world/1579158-2023.

وبناء على ذلك فالجهاد بالمال والسلاح أو بالمساهمة في التطوير والتصنيع لهذه المعدات أو في مساعدة المجاهدين في الأمور اللوجستية هو واجب الغالبية العظمى من المسلمين كل بحسب قدرته واستطاعته وحاجة القوات المسلحة في البلد المسلم إليه أو المقاومة الشعبية في حالة انهيار جيش الدولة الاسلامية امام القوة الغازية لا سمح الله، وبحيث يكون هدف الجهاد واضحا بإعلاء كلمة الله والحفاظ على أسلوب حياة المجتمع المسلم والحفاظ على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية فيه أو الحفاظ على أرواح وأعراض وأموال المسلمين من الإعتداء عليها أو الحفاظ على مكتسبات الأمة المادية والمعنوية وليس لعصبية مناطقية أو لخدمة حكم اسرة ملكية جبرية أو حزب سياسي متغلب لا يترتب على زواله مفسدة على الإسلام و المسلمين كما هو الحال مع كثير من الأنظمة المستبدة في العالم الإسلامي اليوم.

ومن واجبات المسلم أيضا الإهتمام بقضايا الأمة ومعاناة إخوانه المسلمين والدفاع عنهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وعدم الوقوف بصف اعدائهم بأي شكل من الأشكال، عن حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يمس ويصبح ناصحاً لله ورسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم)(المعجم الأوسط للطبراني)، ومن اهم قضايا الأمة اليوم هي القضية الفلسطينية واغتصاب الصهاينة المعتدين لهذه البقعة الإسلامية العزيزة وخصوصا احتلالهم لمدينة القدس الشريف ولأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين المسجد الأقصى المبارك، ويجب على جميع المسلمين الوقوف مع الشعب الفلسطيني والدعوة إلى تحرير الأرض و المقدسات

من هؤلاء الغزاة المعتدين، فالواجب هنا واجبان، الأول تجاه مقدسات الإسلام في القدس الشريف والثاني تجاه المسلمين في فلسطين الذي تم الإعتداء عليهم وطردهم من أرضهم والاستيلاء عليها من قبل مجموعة من العصابات الصهيونية القادمة من أوروبا وروسيا وباقي بقاع العالم، والتي تحمل افكارا معادية للإسلام والمسلمين وتدعي حقوقا تاريخية في أرضهم وبلادهم بناء على نصوص محرفة من كتبهم الدينية التي نؤمن بأن الله عز وجل نسخ حتى الصحيحة منها برسالة خاتم الرسل والنبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم الموحى إليه.

وعليه فنحن نرى أن أعظم جهاد للمسلمين اليوم يكون في مقارعة هذا العدو الغاصب بشتى الوسائل والسبل، بل ويجب على الأمة بأكملها الإعداد والعمل على دحره واجتثاثه من أرض فلسطين وإعادة الحق لأصحاب الأرض من الأخوة الفلسطينيين.

الواجب الإجتماعي العام

والمسلم مكلف بدعوة الناس جميعا إلى الإسلام كل بحسب موقعه ومقدرته، يقول الله تعالى (ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)(النحل:125)، ويقول الله تعالى (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا)(النساء: 63)، ويقول الله تعالى (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ)(التوبة : 6)، ويقول رسول الله صلى الله عليه

وسلم (بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فَلْيَتَبَوَّأْ مقعده من النار)(رواه البخاري)، والدعوة الإسلامية يجب ان تكون من منطلق فهم ومعرفة صحيحة بعقائد وشرائع الإسلام واليقين التام بحقيقة ان الإسلام هو الدين الوحيد الصحيح وغيره باطل اما نتيجة التحريف أو الإبتداع والكذب، يقول الله عز وجل (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)(آل عمران: 85)، فلا مجال للتوفيق بين الإسلام واي دين من الأديان الباطلة والمحرفة كما يدعوا اصحاب التوافق بين الأديان الإبراهمية اليوم، فكل من يعتقد بأن الإسلام يمكن دمجه مع أي دين آخر هو كافر خارج من ملة الإسلام بإجماع كل مذاهب المسلمين، ولكن هذا لا يعني بأن المسلمين لا يستطيعون التعاون مع اتباع الأديان الأخرى في المسائل التي هي في مصلحة الإنسانية بشكل عام، بل هذا من الأمور المحمودة والمسلمون مكلفون بالتعامل بالتي هي احسن مع جميع الناس بشرط ان يكون الطرف الآخر من أهل الإحسان ايضا ومن غير المعتدين، يقول الله تعالى (لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)(الممتحنة: 8)، والله يأمر بعدم الإعتداء على الأبرياء ولو خالفونا في المعتقد والدين، يقول جل وعلا (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)(البقرة: 190).

ومن واجبات المسلم ايضا الدفاع عن عقائد الإسلام وعدم تمييع شرائعه واحكامه، فالمسلم الحقيقي لا ينجر وراء محاولات بعض الفساق والضلال في افراغ احكام الإسلام من مضمونها، مثل نفي احكام جهاد الطلب تزلفا وارضاء

للكفار والمنافقين والذي هو ثابت في القرآن والسنة الشريفة وفعل الصحابة الكرام، أو ينفي احكام قوامة الرجل على المرأة ارضاء لرغبات النسويات ودعاة المساواة العابثين أو ينفي الزامية تطبيق الحدود الشرعية من قطع يد السارق ورجم الزاني المحصن و قتل المرتد المفارق للجماعة، ومثل هذه الدعوات التي إنما انتشرت في هذا الوقت بسبب هوان المسلمين وضعفهم وانبطاح الكثير من حكوماتهم امام املاءات الغرب ودعواته العلمانية والليبرالية المنحلة، وعليه فيجب على المسلم الحقيقي أن يعتقد بفساد كل نهج وثقافة تخالف الإسلام في الأحكام والتشريعات ولو كان هذا النهج ظاهره الرحمة والتسامح كما يروج له هؤلاء المجرمين، مثل دعوات التعايش مع الشواذ والمثليين جنسيا ودعوات قبول أنواع إجتماعية جديدة غير الذكر والأنثى (المتحولون جنسيا وثقافة الجندر) التي ابتدعها شياطين الإنس والجن في المجتمعات الغربية الملحدة، ولا أعلم اين هو التسامح والرحمة في تدمير مجتمع كامل من اجل حفنة من الشواذ المنحرفين والمعتلين نفسيا الذين يجب معالجتهم في مصحات نفسية بدل نشر ثقافتهم في هذه المجتمعات، بل ما هذه الرحمة التي تجر الناس جرا نحو معارضة احكام الله وبالتالي استحقاق غضبه في الدنيا والآخرة وعذابه الأبدي، من يدعي الرحمة يجب عليه ان ينذر الغافلين و يحذر الجاهلين من هذا المصير المحتوم على كل مكذب اثيم و ضال معرض. إذن فالواجب الاجتماعي العام يجب أن يكون منطلقا من اليقين الجازم والحقيقة المطلقة بوجود الله عز وجل والإيمان باليوم الآخر وأن هذه الدنيا إنما هي دار اختبار وامتحان فإما إلى جنة عرضها السماوات والأرض وإما إلى سواء الجحيم والعذاب الأبدي المقيم.

وإنني لما بدأت في تصنيف هذا الكتاب وضعت نصب عيني هذا الواجب الإجتماعي العام بتوفير جانب المادة العلمية الأساسية لتحقيق متطلب العلم والمعرفة في عقائد أهل الملل والأديان المخالفة سواء كانوا ملحدين أو ربوبيين أو من اتباع الاديان الأخرى، ومعرفة الحجج المنطقية والعلمية اللازمة لنقضها، بالتوازي مع إيراد العقيدة الإسلامية الصحيحة المأثورة عن سلف هذه الأمة وائمتنا الكبار رضوان الله عليهم وإيراد الأدلة والبراهين العقلية والنقلية عليها، فيكون هذا الكتاب إن شاء الله وسيلة لخدمة الدعوة الإسلامية للمسلمين وغير المسلمين على السواء وذلك لكل من يقرأه ويفهم معانيه ويبني عليها.

الفصل الثاني نظام الحكم في الإسلام

تعد مسألة الحكم في الإسلام من المسائل الشائكة تاريخيا وفكريا وذلك رغم وضوح المعالم الرئيسية لنظرة الإسلام السياسية منذ بدايات الدعوة الإسلامية الأولى، فالثابت عند جميع أهل الإسلام بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان بالإضافة إلى كونه نبيا ورسولا من الله ليبشر بهذا الدين فإنه كان ايضا قائدا سياسيا وعسكريا أسس الدولة الإسلامية الأولى، والتي كانت عاصمتها في المدينة المنورة، وأنه عليه الصلاة والسلام قام بالغزوات والمعارك وابرم المعاهدات والإتفاقيات بل وحدد الوظائف لبعض الأفراد في هذا الكيان بما يشبه الوظائف في أي كيان سياسي في ذلك الوقت، وهذا الفهم لطبيعة الرسالة الإسلامية يبدو واضحا وجليا في أفعال الصحابة رضوان الله عليهم عندما انتقل الرسول الكريم إلى الرفيق الأعلى، فتم اختيار أبو بكر الصديق رضي الله عنه لخلافة الرسول عليه الصلاة والسلام في قيادته الدينية والسياسية والعسكرية لهذه الدولة الوليدة مع فهم واضح لحدود صلاحيات هذه القيادة وللواجبات المناطة بها وأهمها هو ثبات النصوص التشريعية وأحكام الدين الإسلامي بما أقره القرآن الكريم وأقوال وأفعال الرسول عليه الصلاة والسلام، فتكون السلطة الدينية الممنوحة لهذا الخليفة هي سلطة محدودة بالإجتهاد ضمن هذه النصوص في أمور الدين ولا يملك الخروج على النص أو معارضته باي حال من الأحوال، ولكن له الإختيار من الإجتهادات المختلفة في نطاق هذه النصوص من حيث الترجيح والتطبيق.

أما بخصوص القيادة السياسية والعسكرية فإن حدود هذه الصلاحيات كانت أوسع وأكثر مرونة بحيث أنها كانت محدودة فيما جاءت به النصوص والتشريعات في القرآن والسنة الشريفة مثل مسائل الأحوال الشخصية من زواج وطلاق ومواريث أو في مسائل العقوبات المنصوص عليها في الحدود الشرعية، أو في تشريعات المعاملات بشكل عام، وكانت مرنة وتعتمد على نظرة القائد فيما يخص المسائل التي لم ترد بها نصوص أو تقع خارج نطاق نصوص الشريعة الإسلامية مثل مسائل اختيار قادة الجيوش وأولويات هذه الجيوش وسير المعارك ومسائل توزيع السلطات وصلاحيات الولاة وغيرها من الأمور التي تدخل في نطاق المباح وفقا لتقسيمات الفقه الإسلامي.

وظل هذا الفهم لطريقة الحكم في الإسلام طوال فترة حكم الخلفاء الراشدين الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وأرضاهم، وذلك حتى حصول الفتنة والاقتتال بين فريق الإمام الحق علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وبين الذين دعموا معاوية بن أبي سفيان وحيث أن الخلافة الإسلامية آلت بعدها إلى الملك العاض لبني أمية، فقد حصل هناك التغيير في هذا النهج القويم والانحراف عن النظرية الإسلامية في الحكم.

ونحن هنا سوف نحاول تأطير هذه النظرية الإسلامية في الحكم ومن خلال النظر في التطبيق العملي لنظام الحكم في فترة الخلافة الراشدة ومقارنتها بالطريقة التي حكمت فيها الدولة الإسلامية في العصور الأموية والعباسية وغيرها، وهنا نقرر القواعد الرئيسية الأربعة لنظام الحكم الإسلامي وكما يلي:

1- الإلتزام بمبدأ القيادة الدينية المقيدة وعدم الابتداع في النصوص الدينية والتغيير فيها.
2- تطبيق التشريعات والقوانين الإسلامية في جميع المسائل التي ورد فيها حكم شرعي على أرض الواقع (تطبيق مبدأ الحاكمية الإلهية).
3- النظرية الإسلامية في طريقة اختيار الحاكم وانتقال السلطة.
4- تطبيق مبادئ الإسلام والأخلاق الإسلامية وترجيح المصلحة العامة للمسلمين في مسائل الحكم التي لم يرد فيها أحكام شرعية و تندرج تحت تصنيف المباح.

أما بخصوص المبدأ الأول فإن معظم المسلمين يتفقون على أن جميع الخلفاء سواء كانوا من الخلفاء الراشدين الأربعة أو خلفاء بني امية أو بني العباس قد التزموا بمبدأ القيادة الدينية المقيدة والمحدودة رغم وجود مخالفات في قراءة النصوص الشرعية في فترة بسيطة من عمر الدولة العباسية وهي فترة حكم المأمون والمعتصم وهي الفترة التي حصلت فيها فتنة خلق القرآن والتي انتصر فيها هؤلاء الخلفاء لرأي المعتزلة، مع التأكيد على أن هذه المخالفة لا تخرج عن كونها انحراف عن تفسير النصوص الدينية وليس ابتداع في أصل هذه النصوص بأي شكل من الأشكال.

أما مبدأ الحاكمية الإلهية فهو ايضا حاضر وبقوة في فترة الخلافة الراشدة وحيث أن جميع المسائل التي ورد في الشريعة ما ينظمها ويبت فيها قد تم الاحتكام فيها لهذه القوانين الإسلامية ولم يتم تطبيق أي أحكام مخالفة للشريعة الإسلامية في هذه الفترة، وهو ما تم تطبيقه أيضا بشكل كبير في فترة الخلافة الأموية

والعباسية بل وفي جميع الدول الإسلامية التي نشأت بعدها ولغاية انهيار الدولة العثمانية في القرن المنصرم، رغم التفاوت في مدى تطبيق هذه الأحكام الشرعية بين فترة وأخرى ووجود مخالفات كبيرة في بعض الفترات التاريخية ولكن هذه الفترات كانت معزولة زمنيا وجغرافيا، مثل الفترة التي حكم فيها المغول منطقة العراق وبلاد الشام والتي تم العمل فيها بقانون الياسا الذي وضعه جنكيز خان.

ومبدأ الحاكمية الإلهية كما هو مبدأ عدم التغيير في النصوص الدينية تدل عليه الكثير من الآيات والأحاديث النبوية الشريفة بل هو من ما يصنف بأنه معلوم من الدين بالضرورة ولا يمكن تأويل أدلته بأي حال من الأحوال، يقول الله تعالى (مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)(يوسف: 40)، ويقول عز وجل (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)(المائدة: 48)، ويقول عز وجل (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا)(الأحزاب: 36)، وبهذه الآية يكتمل المعنى بهذا الحكم المراد في آيات القرآن الكريم وهو الاحتكام إلى نصوص الشريعة الإسلامية في جميع الأمور التي وردت بها ونفي الإختيارية في تطبيق هذه الأحكام عن المؤمنين والمؤمنات مطلقا.

اما بما يخص حال من يخالف هذا الأمر الإلهي فهو واضح في سياق الآيات المشهورة في سورة المائدة، يقول الله تعالى (وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (43) إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (44) وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (45) وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (46) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)(المائدة: 43-47)، فمن لم يحكم بما أنزل الله جاحدا له فهو كافر خارج من ملة الإسلام، ومثله من يرى ان حكم غير الله اعدل أو اصلح أو اقوم للناس من حكم الله ومن شريعته، فهؤلاء وإن تظاهروا بالإيمان فهم لا يخرجون عن ابطان الإلحاد والزندقة، يقول الإمام ابو الأعلى المودودي (لا يحق لمسلم أن يُصدِر من نفسه حكماً في أمر صدر من الله ورسوله فيه حكم، والانحراف عن حكم الله ورسوله نقيض الإيمان وضده)[114]، ويقول الإمام الماتريدي رحمه الله ((وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَافِرُونَ)، هكذا من جحد الحكم بما أنزل الله ولم يره حقّاً فهو كافر)[115]، ويندرج

[114] مقالات الإمام أبو الأعلى المودودي في مجلة ترجمان القرآن.
[115] تأويلات أهل السنة- سورة المائدة - الإمام أبو منصور الماتريدي.

تحت هذا الحكم أيضا المتأولون في الفروض والتي هي في مذهبنا ما جاءت به الآيات الصريحة والأحاديث المتواترة والمشهورة التي قبلها الإمام أبو حنيفة وأصحابه مثل تحريم الخمور ورجم الزاني وقتل المرتد فمن تأول هذه الأحكام بدعوى عدم ورودها في القرآن بشكل صريح يأخذ نفس الحكم السابق، فهذا كله من تلبيس الزنادقة والملحدين ولا عاصم إلا الله.

أما من لم يحكم بما أنزل الله تغليبا لمصلحة خاصة أو عامة أو خضوعا لمؤثر خارجي أو لتعارض الحكم الإلهي مع رغباته وأهوائه الشخصية فيأخذ حكم الظالمين والفاسقين بحسب الحال والظرف مع شرط عدم جحد حكم الله والتسليم بصحة تفسير علماء الأمة له وعدم تأويل نصوصه، ويدخل في هذا الحكم من تأول الواجب، والواجب عندنا هو ما كان ملزما كالفرض ولكن لم يرد فيه نص قطعي الدلالة كمسألة تغريب الزاني غير المحصن و القضاء بالشاهد واليمين (لكونها مقررة بزيادة على الآيات التي أوردت أحكامها وذلك بطريق أحاديث الآحاد)، فهؤلاء لا يخرجون بتأويلاتهم هذه من دائرة الإيمان مع الحكم عليهم بالبدعة والفسق وبحسب ما أجمع عليه علماء المذهب عليهم رحمة الله.

وأعلم بأن مبدأ الحاكمية الإلهية عدا عن أنه ركن اساسي من اركان الإسلام وواجب على كل مسلم لإرضاء الله تعالى والعمل بمقتضى اوامره ونواهيه، فهو ايضا الحصن المنيع امام جميع الأفكار الهدامة والايدولوجيات الفاسدة التي تنخر في جميع مجتمعات العالم مثل انتشار الخمور والمخدرات والفساد الأخلاقي والشذوذ الجنسي ودعوات هدم الأسرة التي تؤدي إلى انتشار الجريمة والفشل الإجتماعي، وحيث أن تطبيق احكام الشريعة الإسلامية في قوانين أي بلد يضمن

خلو هذا المجتمع من هذه المشاكل الإجتماعية أو بقاءها في الحد الأدنى على الأقل بما يضمن صلاح الصورة العامة للمجتمع في هذا البلد، فتطبيق الشريعة الإسلامية ربما لن يجعل بلدا مثل افغانستان دولة صناعية متقدمة مثل اليابان أو كوريا الجنوبية وربما لن تحل فيها مشكلة البطالة وتردي الأوضاع الإقتصادية، ولكن بتطبيق الشريعة الإسلامية سوف تكون دولة افغانستان الفقيرة وقطر الغنية وتركيا والاردن النامية بلدان ذات مجتمعات سليمة خالية من المشاكل والآفات الإجتماعية ومحققة لمبدأ الأمان الإجتماعي لجميع مواطنيها، فيأمن الرجل على بيته ويأمن التاجر على تجارته وصاحب الملك على املاكه ويأمن المسافر على نفسه وماله وكما تأمن المرأة على نفسها وعلى ابناءها، وفي هذا المجتمع يتحقق مبدأ العدالة الإجتماعية فبوجود الزكاة لن يكون هناك معدمون لا يجدون قوت يومهم ولو بقي الفقر، لأن الغنى والفقر في أي دولة بشكل عام له علاقة بالسياسات الاقتصادية الناجحة من قبل الأنظمة السياسية والحكومات وحسن استغلال الموارد المتاحة، أما العدالة الإجتماعية فهي تختص بعدم وجود فوارق طبقية واسعة تؤدي إلى وجود طبقة من المعدمين في المجتمع.

وكما أن تطبيق الشريعة الإسلامية يمنع تغول السلطة على الشعب ويضمن عدم امتهان كرامة المواطنين من قبل اجهزة الدولة الأمنية، وكما يمنع التعسف في تطبيق بعض السياسات الإقتصادية المدمرة وخصوصا المعتمدة على القروض الربوية التي تفقر الحكومات والشعوب، فيكون تطبيقها بمثابة الخطوط الحمراء التي تضمن الحريات المدنية والاقتصادية لأبناء الشعب في هذه الدول.

اما بما يخص النظرية الإسلامية في طريقة اختيار الحاكم وانتقال السلطة، فإن الله عز وجل وضع قاعدة عامة لذلك وهي الشورى، يقول عز وجل (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)(الشورى: 38)، وهو ما طبقه الصحابة رضوان الله عليهم في اختيار سيدنا ابو بكر الصديق رضي الله عنه وذلك بطريقة الإجماع والبيعة، وهو ما تم تطبيقه أيضا في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالتزكية من ابو بكر الصديق وموافقة غالبية المسلمين عليه ومبايعته، وكذلك في طريقة اختيار عثمان بن عفان رضي الله عنه وحيث خير المسلمون بينه وبين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورجحت كفة عثمان بإختيار المسلمين وهذه هي طريقة الانتخاب، أما تولي علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فكان بطريقة الإجماع والبيعة كما حصل في اختيار أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فهذه ثلاثة طرق كلها توافق مبدأ الشورى الذي أمر به الله سبحانه وتعالى.

أما طريقة حكم أمراء بني أمية وبني العباس ومن خلفهم من امراء الملك العاض فهؤلاء جلهم وصل إلى الحكم اما بالتغلب أو الوراثة، اما اهل التغلب فهؤلاء لا يخلو حالهم من الظلم والعدوان إلا النفر القليل ممن تغلب نصرة للدين ولمصلحة المسلمين وتجنب الدماء المعصومة، وأما اهل الوراثة فمنهم الصالحون ومنهم دون ذلك من الظلمة والفاسدين، ويجب ان ينظر بعين الإنصاف لهؤلاء الحكام وعدم التجني عليهم أو المغالاة في الدفاع عنهم، مع الإعتقاد بعدم اكتمال شرعية حكمهم للمسلمين لأنها تخالف الطرق الثلاثة التي ورد ذكرها في طريقة اختيار الخلفاء الراشدين، مع عدم إنكار تحصل هؤلاء الحكام على شروط الطاعة لولي

الأمر رغم انتقاص شرعيتهم ما داموا لم يخالفوا مبدأ السلطة المحدودة والحاكمية الإلهية في التشريع.

أما بخصوص تطبيق مبادئ الإسلام والأخلاق الإسلامية وترجيح المصلحة العامة للمسلمين في مسائل الحكم التي لم يرد فيها أحكام شرعية، فأغلب الحكام على خلاف ذلك وهم في ذلك متفاوتون تفاوتا عظيما وذلك لما في طريقة حكم الفرد الواحد من عوار كبير يجعل مصير الآلاف والملايين من الناس متوقفا على رجاحة عقل هذا الفرد وتقواه لله وعلمه ومعرفته في أمور الدنيا وعلوم السياسة والإقتصاد والعسكرية، والتي قلما تتوفر في إنسان بل إننا نجزم بأن نجاح الخلفاء الراشدين في تطبيق هذه البنود الأربعة لنظرية الحكم الإسلامي يرجع أولا لشدة تقواهم لله تعالى وثانيا إلى الحكمة التي أودعها الله فيهم حتى لقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالفاروق لعدله ولحكمته البالغة في النظر في أمور الناس وثالثا إلى بساطة طبيعة الحياة في ذلك الوقت وقلة المعرفة اللازمة من قبل ولي الأمر لتسيير أمور السياسة والإقتصاد وغيرها من هذه المسائل.

ونحن نرى بأن هاتين المسألتين أي طريقة اختيار الحاكم وانتقال السلطة وتطبيق مبادئ الإسلام والأخلاق الإسلامية في المباحات هي من واجبات النظرية الإسلامية في الحكم رغم أن مخالفة بعض أحكامها لا يترتب عليه تكفير أو خروج عن مبدأ الحاكمية الإلهية الواجبة، ولكن من قبيل أن الحق أحق أن يتبع وبأن الحكمة ضالة المؤمن وعليه فنحن نورد هذا التصور للحكم الإسلامي الذي يوافق هذه المبادئ:

أولا: في البلاد ذات الغالبية من المسلمين وهذه البلاد ينطبق عليها جميع أحكام الدولة الإسلامية والمؤصل لها في الفقه الإسلامي ويفرض فيها نظام الحكم الإسلامي بكامل أركانه وذلك بحسب المبادئ السابقة الذكر وعلى التفصيل التالي:

1- الإلتزام بمبدأ القيادة الدينية المقيدة وعدم الابتداع في النصوص الدينية والتغيير فيها: وهذا المبدأ تحققه تقريبا جميع الدول الإسلامية حاليا باستثناء جمهورية إيران التي تجعل من النصوص المنقولة عن الأئمة الإثني عشر جزءا من الدين وهذه بدعة في غاية الشناعة ومدخل إلى ضلال كبير ولولا أن غالبية المعتمد من هذه النصوص لا تخالف أصول العقيدة الإسلامية وذلك أولا بسبب صلاح هؤلاء الأئمة وتقواهم واتباعهم للسنة اجمالا، وثانيا بسبب تحرج غالبية الشيعة من النصوص المخالفة لأصول العقيدة الإسلامية والتي نقلت كذبا عن هؤلاء الأئمه رحمهم الله، لولا ذلك، لحكمنا بكفر هؤلاء الإثني عشرية لاعتقادهم بعصمة هؤلاء الأئمة واعتبار الأقوال الصادرة عنهم جزء من الدين، و يضمن عدم مخالفة هذا المبدأ الأساسي إقرار جميع هذه الدول الإسلامية في دساتيرها على مذهب الدولة بأنه مذهب أهل السنة والجماعة في الدول ذات الغالبية السنية أو المذهب الشيعي الزيدي في الدول ذات الغالبية الشيعية أو المذهب الأباضي (في سلطنة عمان)، بل والنص بشكل صريح على شرط ان يكون الحاكم أو الرئيس مسلما ومن ابوين

مسلمين وأن يكون متبعا لأحد هذه المذاهب الثلاثة بحسب مذهب الأغلبية في البلد المسلم.

والمسألة المذهبية في غاية الأهمية وليس أدل على ذلك من ما حصل في سوريا والعراق في السنوات القليلة الماضية من مجازر بسبب تولي أهل الضلال أمور المسلمين، فهذا العلوي النصيري حافظ وابنه المجرم بشار الأسد قد أوغلوا في دماء الشعب السوري، وفاق الإبن أبيه في القتل والتدمير حتى وصل عدد القتلى من الرجال والنساء والأطفال إلى نصف مليون شهيد في الأزمة السورية الحالية بل حتى الحجر والشجر لم يسلم من إجرام نظامه، فدمر هذا المجرم المدن والقرى وهدم البيوت فوق رؤس ساكنيها، وكل ذلك بدعم من ميليشيات مارقة شكلها من العلويين النصيريين الذين مكن لهم في جميع مفاصل الدولة بالإضافة إلى حثالة المسلمين من ضعاف الدين الذين خانوا أبناء دينهم و جلدتهم وباعوا آخرتهم بدنيا غيرهم، ولم يكتفي بذلك حتى جلب الإحتلال الإيراني والروسي إلى سوريا ليساعدوه في قتل الشعب السوري ووأد الثورة على حكم عائلته وطائفته الإجرامي، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أما في العراق فقد قام هذا الخبيث نوري المالكي بتسليم مناطق أهل السنة لتنظيم الدولة الإسلامية التي تنهج نسخة متطرفة من فكر الدعوة السلفية النجدية، وأمر هذا المجرم بترك عتاد فرقتين عسكريتين في الموصل ليقوي شوكتهم في خطة في غاية المكر والخبث، وذلك عندما احس بالتهديد من الثورة الشعبية والتي كانت سوف تخلع حزبه الطائفي الفاسد من سدة الحكم، وهو ما تسبب بفشل الثورة العراقية وتدمير

مناطق العرب السنة في العراق على أيدي الميليشيات الطائفية والطيران الغربي والأمريكي الذي حصل على المبرر اللازم لدخول قواته مجددا إلى العراق بدعوى مكافحة إرهاب تنظيم الدولة الإسلامية، وكل ذلك بسبب رضا هذه الشعوب بأن يحكمهم هؤلاء الضلال الذين لا مبدأ ولا دين ولا عهد لهم.

2- تطبيق التشريعات والقوانين الإسلامية في جميع المسائل التي ورد فيها حكم شرعي على ارض الواقع (تطبيق مبدأ الحاكمية الإلهيه): لقد وضحنا مبدأ الزامية الحاكمية الإلهية على المسلمين في شرحنا لها مع إيراد الأدلة الدامغة على ذلك وكما ذكرنا الفوائد التي سوف تجنيها الشعوب من ذلك، وإننا نرى اليوم كيف أن معظم الدول الإسلامية تغوص في وحل الفساد والمشاكل الإجتماعية المتفاقمة ونرى هوان المسلمين على الناس رغم كثرتهم ونرى كيف ان بلاد المسلمين تقع تحت الإضطهاد والتعسف سواء من الحكام الظالمين أو القوى الخارجية المتحكمة بهذا العالم، وإننا نرى أنه لا سبيل للخروج من هذا الحال الا بالرجوع إلى الله وتطبيق دينه وأحكامه في ارضه وعلى عبيده، ولا شك بأن إعادة إنشاء الخلافة الإسلامية بمؤسساتها وقيادتها الدينية والمعنويه التي تضمن تطبيق الحاكمية الإلهيه هي الوسيلة المثلى لتغيير هذا الواقع المرير بحيث تتوحد جميع أو معظم الدول الإسلامية تحت ظل كيان موحد يمتلك القوة العسكرية والإقتصادية والديموغرافية اللازمة لمقارعة الدول والتكتلات العظمى في هذا العالم، ولكن ولأسباب معروفة للجميع فإن هذا الكيان الموحد هو هدف صعب التحقيق ويحتاج

إلى الكثير من الجهد والعمل من قبل المخلصين من أبناء هذه الأمة للوصول اليه، وكما أن واجب تطبيق الحاكمية الإلهية لا يسقط بسبب عدم وجود كيان الخلافة الإسلامية بل لا يجوز أن تحكم أي دولة ذات غالبية إسلامية باي نظام لا يكون تحت مظلة الحاكمية الإلهية ولذلك فنحن نورد مقترحات للتطبيق العملي لمبدأ الحاكمية بناء على الوضع السياسي القائم حاليا، وذلك حسب الخيارات التالية:

- مجلس شورى منتخب من قبل الشعب لا يحق أن يترشح له إلا من هو حاصل على الشهادات العليا في الفقه الإسلامي وفي نفس الوقت حسن السيرة والسلوك، ويكون هذا المجلس مسؤولا عن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية وعدم مخالفة القوانين والتعليمات المعمول بها في الدولة لهذه الأحكام بحيث يتم طرح القوانين من قبل الحكومة على هذا المجلس قبل تمريرها أو قبل عرضها على مجلس النواب بحيث تكون الحاكمية لله أولا قبل أي هيئة بشرية.
- أو مجلس شورى مشكل من دائرة الإفتاء أو الشؤون الإسلامية ويقوم بنفس العمل السابق.
- أو محكمة خاصة تشابه عمل المحاكم الدستورية في الدول الحديثة وتكون مشكلة من القضاة الحاصلين على الشهادات العليا في الفقه الإسلامي وبحيث تعرض عليها القوانين قبل تمريرها كما هو الحال في الاقتراحين السابقين.

إن تطبيق أحد هذه الخيارات الثلاثة وحده لا يكفي لتحقيق المطلوب، بل يجب دمج ذلك مع المبدأ الأول الذي يحدد مذهب الدولة وعدم خروج هؤلاء الفقهاء عن الإجماع في المذهب وأنا ارى ايضا انه عند أهل السنة والجماعة يجب النص صراحة بتطبيق أحكام المذهب الحنفي في جميع ما يتعلق بفقه المعاملات ونحوه، مع السماح بالتدريس والتعبد بباقي المذاهب السنية الثلاثة، وذلك لاعتقادي بعدم وجود البنية الفقهية الكاملة في مجال المعاملات في أي من المذاهب السنية منفردا، باستثناء المذهب الحنفي الذي يدين أغلب بلدان العالم الإسلامي به بما يخص جانب المعاملات بما فيها الدول والأقطار التي تدين بأحد مذاهب أهل الحديث (كليا أو جزئيا) في جانب العبادات مثل ما هو معمول به في فلسطين والأردن وسوريا ومصر[116].

وأدل ما يمكن إيراده على ضرورة ربط تطبيق الشريعة الإسلامية بالمذهب الحق هو التجربة الإيرانية بعد نجاح الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني، فرغم تأثر الخميني وزملاءه بفكر الدعوة الإسلامية وأدبيات الإمام أبو الأعلى المودودي والأستاذ سيد قطب رحمهم الله وتطبيق مبدأ الحاكمية الإلهية عن طريق الحكومة الإسلامية التي تم إنشاؤها من قبلهم، ولكن اعتماد المذهب الإمامي الإثني عشري كمصدر للتشريع تسبب في فساد هذه

[116] من الجدير بالذكر بأنه يوجد من غير المسلمين ممن يحتكمون إلى قواعد المذهب الحنفي الفقهية وخاصة في مسائل الأحوال الشخصية (مجلة الأحكام العدلية - الدولة العثمانية) ومثال عليه الكاثوليك المارون في لبنان واعتمادهم على الكثير من قواعد مجلة الأحكام العدلية في قوانين الكنيسة التي اقروها عندهم، واعتماد نصوص مجلة الأحكام العدلية من قبل اليهود في الكيان الصهيوني المحتل، وهذا من أعجب الأمور أن يعتمد أهل ملة على نص قانوني مستمد بالكامل من دين مختلف، بل إنه من الحجج الدامغة على صحة الإسلام ومصدره الإلهي.

التجربة الإسلامية[117]، فكيف يمكن الثقة برجال الدين الذين يأكلون أموال الناس بالباطل عن طريق ما يسمونه بالخمس و يحللون الزنا والفجور تحت مظلة زواج المتعة المؤقت!!! وما فائدة أحكام الدين وتشريعاته إذا لم تحقق الضرورات الخمس وتحفظ أموال الناس وأعراضهم وتقضي على الفساد وتهذب أخلاق الناس، فبدل الإصلاح الإسلامي المنشود انتشر للأسف الفساد المالي والإداري في هيكل النظام الإيراني فتذيلت جمهورية إيران قائمة دول العالم من حيث النزاهة والشفافية الحكومية، أما الفساد الأخلاقي فحدث ولا حرج حتى أن بعض الدراسات تشير إلى أن 80% من طالبات الجامعات في جمهورية إيران أما يمارسن أو مارسن زواج المتعة المحرم، مع تطعيم هذا الفساد الأخلاقي والفشل في جانب تهذيب السلوك والتربية الإسلامية الصحيحة، تطعيمه بالتعلق بالوهم والخرافة والإبتداع في الدين الذي ينشره معممي المذهب الإثني عشري، ولا حول ولا قوة الا بالله.

أما على صعيد العلاقات الخارجية مع الدول المجاورة، فرغم وقوف النظام الإيراني ضد قوى الاستكبار العالمي والعدو الصهيوني ودعم المقاومة الإسلامية في فلسطين بالمال والسلاح، ولكن بصمات هذا النظام في تأجيج الطائفية والتورط في أعمال القتل والتهجير وخلق المشاكل في المنطقة أوضح من أن نشرحها ونعددها، وكل ذلك بسبب عوار المذهب الإثني عشري الطافح بمعاداة المذاهب الإسلامية المخالفة والتحريض ضد أغلبية المسلمين من أهل السنة والجماعة، فبدل أن يكون هذا النظام المستمد من

[117] ينص دستور الجمهورية الإسلامية في إيران على أن المذهب الشيعي الجعفري هو مذهب الدولة - المادة 12 من الدستور.

فكر الدعوة الإسلامية هو النظام الإسلامي المنشود أصبح خليطا عجيبا يجمع بين كل المتناقضات، فمن جهة نجده يوافق تماما فكر الدعوة الإسلامية في الموقف من العدو الصهيوني الغاصب وداعميه الغربيين وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية وذلك في إظهار العداء الحقيقي لهم والعمل على تقويض وجودهم وسطوتهم في المنطقة وإعداد العدة للجهاد وتحرير الأراضي المقدسة من دنس الصهاينة الغاصبين، وعلى الجهة الأخرى نراه يتورط في دعم التنظيمات والجماعات الطائفية والأنظمة المجرمة في سوريا والعراق، وهذا التناقض لم يكن ليحصل لولا القضية المذهبية سالفة الذكر وضرورة الجمع بين فكر الدعوة الإسلامية والمذهب الإسلامي الصحيح للوصول إلى النظام الإسلامي الحقيقي المنشود الذي يحقق مبدأ الحاكمية الإلهية في جميع الدول الإسلامية.

3- النظرية الإسلامية في طريقة اختيار الحاكم وانتقال السلطة: لقد وضحنا في هذا الفصل طرق انتقال السلطة خلال التاريخ الإسلامي ووضحنا الطرق المثلى التي توافق تعاليم الدين الإسلامي معتمدين على التجربة العملية في اختيار الخلفاء الراشدين عليهم رضوان الله، ولكن في نفس الوقت بينا صعوبة تطبيق نفس هذا النموذج حرفيا في الوقت الحالي، وذلك بسبب اختلاف الظروف التاريخية والتضخم الحاصل في اجهزة أنظمة الحكم في الدول الحديثة وعليه فإننا نؤكد على أن الدولة الدستورية التي تطبق مبدأ فصل السلطات وتحديد المهام المنوطة بكل سلطة هي الطريقة العملية الأفضل لتسيير الدول الحديثة، يقول الإمام

حسن البنا (أن الباحث حين ينظر إلى مبادئ الحكم الدستوري التي تتلخص في المحافظة على الحرية الشخصية بكل أنواعها ،وعلى الشورى واستمداد السلطة من الأمة وعلى مسئولية الحكام أمام الشعب و محاسبتهم على ما يعملون من أعمال ،وبيان حدود كل سلطة من السلطات هذه الأصول كلها يتجلى للباحث أنها تنطبق كل الانطباق على تعاليم الإسلام ونظمه وقواعده في شكل الحكم)[118]، ولكن هذه الدولة يمكن أن يكون شكل النظام فيها ملكيا دستوريا أو رئاسيا أو نظاما برلمانيا، ونحن لا نرى تفضيل أي من هذه الأشكال الثلاثة من الأنظمة على الآخر ما دامت تحكم ضمن المبدأين السابقين وهي السلطة المقيدة والحاكمية الإلهية، وتلتزم بالنظام الدستوري في الحكم بحيث توضح صلاحيات السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية في الدستور ويتم انتخاب ممثلي السلطة التشريعية بطريقة ديمقراطية حرة ونزيهة.

وهنا يجب التنويه إلى تعريف مصطلح الديمقراطية الذي نعنيه هنا، بحيث يتم التفريق بين التعريف الغربي للديمقراطية بأنها حكم الشعب لنفسه وبين الديمقراطية التي يقبلها الإسلام وهي حكم الشعب لنفسه تحت مظلة الحاكمية الإلهية، فنحن كما بينا بأن تفضيلنا للنظام الدستوري في الحكم نابع عندنا من اجتهاد في انه النظام الأمثل لتسيير امور الدولة الحديثة بحيث يضمن تنظيم عمل جميع المؤسسات في الدولة، وكما أن وجود مجلس تشريعي منتخب من قبل الشعب يضمن مشاركة جميع المواطنين في تشريع القوانين والأنظمة التي تسير شؤون الحياة في

[118] رسائل الإمام حسن البنا – الإخوان المسلمون والدستور.

الدولة والتي تدخل في تعريف المباح في الفقه الإسلامي، فقوانين تنظيم المدن والبلديات وكودات البناء وقوانين الترخيص السكني والتجاري وغيرها من القوانين تحتاج إلى لجان ومجالس تشريعية من أصحاب الخبرة والمعرفة لسنها والموافقة عليها ولنقاش الحكومة حولها، وإذا أضفنا إلى ذلك وجود أحزاب تتنافس في ما بينها في وضع برامج انتخابية وخطط تنموية ويقرر الشعب اختيار البرنامج الأفضل والأصلح عندها تكتمل الصورة في الأفضلية الواضحة لهذا النظام الدستوري.

وفي هذا النظام المأمول عندنا لا يوجد صراع بين حزب ليبرالي يريد إفساد المجتمع ونشر الرذيلة والإنفلات الأخلاقي وحزب اسلامي يطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية والحفاظ على المجتمع، لأن مظلة الحاكمية الإلهية لا تعطي لا للمجلس التشريعي ولا للشعب ولا للحكومة الحق في سن أي قانون يخالف الشريعة الإسلامية وأحكام الدين، بل يكون التنافس بين الأحزاب على من يقدم البرنامج السياسي والإقتصادي والإجتماعي الأفضل لمصلحة المجتمع والدولة، فهذا حزب يرفع راية التطور الصناعي والاستثمار في البنية التحتية الصناعية وذلك حزب يولي اهمية اكبر لقطاع الزراعة والصناعات الغذائية وتطويرها وفتح أسواق جديدة لها وهذا حزب آخر يقدم خطة للارتقاء بالتعليم والبحث العلمي وبناء الصروح العلمية.

وفي هذا النظام سيجتهد كل حزب في أن يرفد نفسه بأصحاب الكفاءات والخبرات في جميع المجالات وذلك حتى يتمكن من وضع البرامج الإنتخابية الأفضل واللازمة للحصول على أصوات الناخبين والوصول

إلى السلطة وثم تطبيقها من قبل هؤلاء الخبراء لكي يستمر هذا الحزب في السلطة.

وبناء على تعريفنا هذا فإن الأنظمة الملكية المطلقة والجمهوريات ذات الأنظمة الشمولية لا يمكن أن تتوافق مع هذا المبدأ في نظرية الحكم الإسلامي لما فيها من إهدار لمصلحة الشعوب الإسلامية بسبب الاستئثار في القرار وتحكم شخص الحاكم في مصير الملايين من البشر، فهي انظمة ذات شرعية منقوصة حتى لو طبقت مبدأ القيادة الدينية المحدودة والحاكمية الإلهية كما هو الحال في مثالنا عن دول بني أمية وبني العباس التي كانت تعمل بنظام الملكية المطلقة.

4- تطبيق مبادئ الإسلام والأخلاق الإسلامية وترجيح المصلحة العامة للمسلمين في مسائل الحكم التي لم يرد فيها أحكام شرعية و تندرج تحت تصنيف المباح: كما هو الحال في المبدأ السابق نحن نرى بأن نظام الحكم الدستوري الذي يضمن حرية الشعب في اختيار ممثليه سواء كان ذلك بإختيار رئيس للدولة أو بإختيار الحزب الأعلى تمثيلا في البرلمان يجعل العهدة في تطبيق هذا المبدأ على اختيار الشعب في الدولة الإسلامية، فحتى لو وضعت أفضل الدساتير التي تنظم عمل السلطات في الدولة وطبقت المبادئ السابقة جميعا ووضعت افضل القوانين والأنظمة في الدولة، فذلك لا يعني بأن الدولة سوف تسير بالشكل الأمثل لأن الإعتماد الأكبر هو على الأشخاص المناط بهم تنفيذ هذه القوانين والأنظمة ووضع السياسات العامة والتفصيلية لتسيير أمور الدولة، وعليه فإن حسن الإختيار وتقوى الله وتغليب المصلحة العامة على

المصلحة الخاصة من قبل الشعوب هو المحدد الرئيسي لنجاح الدولة في تحقيق هذا المبدأ، أما إذا اختار أغلبية الشعب الفاسدين أو باعوا أصواتهم لأرباب المال والتجارة فذلك خيانة للأمانة وخيانة للمسلمين ومثل هذا الشعب يستحق ان يحكمه هؤلاء الفاسدين ويتحمل تبعات اختياره حتى يتعلم من اختياراته السيئة ويعود إلى أمر الله في صون الأمانة وتغليب مصلحة المسلمين على مصلحته الخاصة وذلك بأختيار اهل الخبرة والكفاءة من المخلصين الصادقين.

والآن قد يسأل أحدهم، ها أنت قد وضعت قواعد التطبيق العملي لمبادئ الإسلام في الحكم ووضحت نظريتك في ذلك ولكن أنت ترى الحال الذي نحن فيه ولم تدلنا إلى السبيل لتحقيق تلك المبادئ وهذه النظرية ؟

وجوابي هو بأن الحل يكون بتلبية المسلمين لهذه الدعوة نفسها، وهل كان سبب إنشاء جماعة الإخوان المسلمين والجماعة الإسلامية في البلاد والدول الإسلامية إلا لتحقيق هذه المبادئ والأهداف !!!

إذن فلا سبيل لتحقيق تلك المبادئ إلا بالإيمان بهذه الدعوة الإسلامية وتأييدها والعمل على نشرها بين المسلمين وتشكيل رأي عام بين المسلمين على ضرورة تغيير الوضع القائم المخالف لتلك المبادئ، فإذا حصل ذلك الإيمان والتأييد لهذه الدعوة من قبل الأغلبية سهل بعد ذلك الوصول إلى تحقيق المراد، وجميع العقلاء يؤمنون بأن وسائل الضغط الشعبي هي أفضل الوسائل لإصلاح أو تغيير أي نظام حاكم مهما بلغ من القوة والجبروت، فالمطالبات والاحتجاجات والمظاهرات قادرة على إخضاع معظم الأنظمة لتنفيذ الإصلاحات المنشودة حتى لو حصل ذلك

بشكل تدريجي على شكل مكاسب متراكمة على المدى الطويل ويجب التركيز دائما على الأهم ثم الأقل أهمية بحيث تكون المطالبة بتطبيق مبدأ الحاكمية الإلهية وتشكيل الإطار القانوني لعمل الهيئة العاملة على تنفيذها أولى الأولويات لذلك الضغط الشعبي.

أما في حالة الأنظمة القليلة التي لا تستجيب لهذه المطالبات والاحتجاجات والمظاهرات، فإن الواجب على الشعب العمل بكل الوسائل الأخرى الممكنة لتحقيق هذا الهدف، حتى لو وصل الأمر إلى المطالبة بتغيير هذه الأنظمة وإسقاطها، فإذا جوبهت هذه المظاهرات والدعوات السلمية بالسلاح من قبل هذه الأنظمة وجب على الشعب دفع الصائل بالقوة والسلاح كما حصل في الثورة السورية على نظام الأسد المجرم، ووجب على جميع البلاد الإسلامية المجاورة لهذا البلد التكاتف من أجل عزل هذه الأنظمة وإجبارها على الخضوع لمطالب شعوبها ودعم هذه الشعوب الثائرة عليها، بل والتدخل العسكري إذا لزم الأمر للقضاء على هذه الأنظمة المجرمة وحماية الشعب من بطشها وجبروتها ولا قوة الا بالله.

فهذا هو السبيل وليس غيره من سبيل ولا نجوز لأحد أو جماعة بأن يتجاوز هذا الترتيب في تصعيد الضغط الشعبي وأن يستعمل السلاح بدون تحقق جميع المراحل سابقة الذكر و نؤكد بشدة على تقييد استخدام السلاح في شرط الدفاع عن النفس (دفع الصائل وفق أحكام الشريعة الإسلامية)، وليس كما تفعل هذه المنظمات التكفيرية الإرهابية التي تنتهك حرمة دماء المسلمين وغير المسلمين وتفجر المساجد والكنائس

والأسواق والمؤسسات الحكومية أو تهاجم افراد ومؤسسات الأجهزة الأمنية بدون وجه حق، وهذا الإرهاب والإجرام لا يحقق سوى الفتنة والدمار وانتهاك حرمة دماء المسلمين وأعراضهم ولا يمكن قبوله أو تبريره بأي حال من الأحوال.

ثانيا: في البلاد ذات الغالبية السكانية من غير المسلمين والتي تكون نسبة السكان المسلمين فيها اقلية مقارنة مع غيرهم، وهذه البلاد لا يمكن تطبيق المبادئ سابقة الذكر فيها بطبيعة الحال ولكن لها أحكام أخرى نفصلها فيما يلي:

1- عدم الإعتراف بأي قيادة دينية للدولة غير الإسلامية على المسلمين: وهذا المبدأ نظير لمبدأ القيادة الدينية المقيدة في الدول ذات الغالبية الإسلامية، فلا يجوز للمسلمين بأي حال من الأحوال اعتبار الحاكم غير المسلم أو مؤسسات الدولة غير الإسلامية في منصب القيادة الدينية الإسلامية، وعليه يجب على المسلمين تشكيل مجلس للإفتاء الإسلامي يكون له هذه الصفة وبحيث يكون هذا المجلس مفصولا تماما عن الهيكل الحكومي لهذه الدول ولا يخضع بأي شكل من الأشكال للسلطة السياسية فيها.

2- تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في جميع الشؤون الإجتماعية للمسلمين: وهذا المبدأ نظير لمبدأ الحاكمية الإلهية وحيث أن المسلمين جميعا مطالبون باتباع أوامر الله ونواهيه بغض النظر عن جميع الظروف الجغرافية والثقافية المحيطة بهم، و لتطبيق هذه الأحكام يجب وجود قوانين وانظمة خاصة بالمسلمين وبما يوافق حال المسلمين في هذه

الدولة وطبيعة تواجدهم فيها، فاذا وجدت اقاليم كاملة أو مدن ذات غالبية اسلامية كما هو الحال في بعض جمهوريات الاتحاد الروسي مثل الشيشان وداغستان وجب على المسلمين المطالبة بالحكم الذاتي أو بالسماح للمسلمين بالاحتكام لقوانين مختلفة عن القوانين المعمول بها في الدولة وخصوصا تلك القوانين التي تخالف الشريعة الإسلامية مثل أحكام المواريث والزواج والطلاق والقضاء الشرعي وترخيص محلات بيع الخمور والمسكرات ونوادي الفجور وغيرها من المرافق المخالفة لأحكام الشريعة.

أما إذا كانت هذه الأقلية متفرقة في مناطق ومدن الدولة غير الإسلامية فيكتفي بطبيعة الحال في اصدار قوانين خاصة بالأحوال الشخصية مثل مسائل الزواج والميراث والقضاء الشرعي وترخيص المؤسسات التعليمية والثقافية الإسلامية في مناطق التجمعات الإسلامية في المدن والأحياء السكنية، ويجب على المسلمين محاولة التجمع في هذه المناطق قدر الإمكان للحفاظ على تلقي النشئ الجديد من أبناء المسلمين للتعليم الإسلامي في هذه المدارس والمراكز الثقافية.

3- دعم تطبيق نظام الحكم الدستوري في الدول غير الإسلامية: وكما أن المسلمين في الدول الإسلامية مطالبون بدعم نظام الحكم الدستوري تحت مظلة الحاكمية فإن المسلمين في الدول غير الإسلامية مطالبون أيضا في دعم نظام الحكم الدستوري مع التأكيد على حقوقهم ومطالبهم في إصدار القوانين والأنظمة الخاصة بهم والتي تتوافق مع أحكام الشريعة الإسلامية.

أما الطريقة للوصول إلى هذه الأهداف فهو لا يختلف كثيرا عن النموذج المقترح للمسلمين في الدول ذات الغالبية الإسلامية وذلك بإستخدام الضغط الشعبي على حكومات هذه الدول لتحصيل هذه الحقوق للمسلمين، والمسلمون في هذه الدول مطالبون أكثر من غيرهم بتشكيل الجمعيات والهيئات التي تنظم أفراد المسلمين داخلها وتوجه الكفاح بالطريقة الصحيحة لتحقيق الهدف المنشود، وكما أن الدول الإسلامية مطالبة بالضغط بشتى السبل على هذه الدول للقبول بهذه المطالبات من قبل رعاياها من المسلمين.

إننا بعد أن بينا في الأجزاء السابقة ما ينبغي على المسلم في باب العقيدة من أصول وفروع الدين، وثم بينا ما ينبغي عليه أيضا في إخراج ثمرة هذا الاعتقاد من القول والعمل سواء في ذاته أو ازاء غيره من المسلمين وغير المسلمين مع حرصنا في تلك الأجزاء على تجنب الخلاف بين مذاهب أهل السنة والجماعة قدر الإمكان ولكن ذلك لا يمكن تطبيقه في جميع أمور الدين والدنيا، فبالنهاية المسلم مكلف بأداء العبادات والمعاملات المنصوص عليها في الشرع على صورة معينة وفق الكتاب والسنة النبوية الشريفة، فالصلاة مثلا لها هيئة وحركات وأركان وواجبات وسنن وكذلك الصوم والزكاة والحج، أما في فقه المعاملات فالموضوع أوسع واكثر تشعبا لأنه يطال جميع نواحي الحياة مثل أحكام الزواج والطلاق وأحكام الوصية والميراث وأحكام تخص الجانب الاقتصادي وأحكام تخص الجنايات والحدود وغيرها من الأحكام، ونحن نعلم بأن أهل السنة وإن اتفقوا في معظم هذه الأحكام ولكن لا شك بأن الإختلاف في فروعها كبير ويصل إلى التحليل والتحريم في كثير من الحالات، وهنا تنشأ لدينا مسألتين مهمتين في هذا الخصوص أولهما هي سبب اختلاف أصحاب المذاهب فيما بينهم وثانيهما ما يترتب على ذلك الإختلاف.

أما سبب الاختلاف بين أصحاب المذاهب الفقهية فهو يرجع إلى عاملين الأول هو تقرير أعيان النصوص التي هي مصدر تلك الأحكام الشرعية والثاني هو فهم وتفسير تلك النصوص واستنباط الأحكام منها. وأما ما يترتب على هذا

الإختلاف فأغلب أهل السنة متفقون على عدم التكفير والتضليل على الإختلاف في هذه المسائل بل إن أئمتنا من مؤسسي الدعوة الإسلامية الحديثة مثل الإمام حسن البنا والإمام أبو الأعلى المودودي حرصوا كل الحرص على مكافحة التعصبات المذهبية والدعوة إلى توحيد كلمة المسلمين وقبول الإختلاف المذهبي كنتاج طبيعي لعوامل الإختلاف بين هذه المدارس الفقهية.

وقد وضع الإمام حسن البنا الأصول العشرين التي يتفق عليها معظم المسلمين وذلك لتكون أساسا في جمع كلمتهم ووحدتهم وهو ما جعل دعوة الإخوان المسلمين تضم أفرادا من جميع المذاهب والفرق مثل السلفية الحنبلية والصوفية ودعاة اللا مذهبية والعوام من مقلدي المذاهب السنية الأربعة، ولكن هذا الجمع لا يعني تبني الدعوة لأحد هذه المذاهب والفرق الإسلامية وإنما تعني قبول أفرادها جميعا في سياق توحيد كلمة المسلمين ما داموا لا يدعون احتكار الحق وأن غيرهم على باطل.

ورغم نجاح الدعوة في تبني أساس صلب في جانب العقيدة الإسلامية وذلك بترجيح عقيدة أهل السنة والجماعة الأصولية والتأكيد على بطلان العقائد المنحرفه والبدع والضلالات التي التصقت ببعض الطوائف الإسلامية وكما هو واضح في رسالة العقائد للإمام حسن البنا والأصول العشرين وكتابات الإمام القرضاوي والغزالي رحمهم الله في هذا الجانب، ولكن ذلك النجاح لم ينتقل إلى فروع الدين والفقه واحكامه، فبدعوى الحرص على جمع كلمة المسلمين تسببت محاولات شيوخ الدعوة الإسلامية في الجمع بين المذاهب الفقهية في تمييع هذه الأحكام والقواعد الفقهية ومن ذلك أن الامام حسن البنا أوعز إلى الشيخ سيد

سابق رحمهما الله بتأليف كتاب فقه السنة والذي يجمع الآراء والإجتهادات من مختلف المذاهب الفقهية السنية الأربعة ويرجح في كل مسألة بينها حسب وجهة نظره أو لنقل حسب الدليل الأقوى عنده، وهذا باطل من وجهين الأول هو عدم الاستناد إلى قواعد اصولية في هذا الترجيح بين هذه المسائل والثاني هو اعتماد فهمه للأدلة القطعية الثبوت من قرآن وسنة مشهورة أواعتماد ادلة ظنية الثبوت لم يتم اعتمادها من قبل بعض اصحاب المذاهب الفقهية مع علمهم بها، فأصبح ترجيح الشيخ سيد سابق غفر الله له كمذهب خامس تلفيقي بين المذاهب الفقهية الاربعة مع الافتقار للأصول والقواعد الفقهية التي تمتاز بها مذاهب اهل السنة المعتبرة، والإجماع من آلاف العلماء الذين اجتهدوا في كل مذهب من هذه المذاهب الأربعه على مر العصور من عمر الأمة الإسلامية.

وكما أدت هذه المحاولات إلى دعم أفكار التيار اللامذهبي الذي تتصدره الدعوة السلفية النجدية حاليا والتي وإن كانت تدعي ظاهريا استنباط الحكم مباشرة من النصوص الأصلية وهي القرآن والسنة الشريفة ولكنها تبطن التعصب لبعض أصول المذهب الحنبلي ولآراء علماء المذهب وخصوصا الشيخ تقي الدين ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وهكذا كانت هذه المحاولات وبالا على الدعوة الإسلامية فلا نحن حصلنا جمع الكلمة على الفروع ولا نحن حصلنا منهجا مستقيما لتعليم أبناء الدعوة الإسلامية على أسس علمية معتبرة كما عليه حال الأمة منذ فجر الإسلام.

فورث أبناء الدعوة الإسلامية هذا الخلط بين مفهوم نبذ التعصب المذهبي والذي هو حق ومحمود وبين مفهوم تمييع الأحكام الفقهية والتلفيق بين المذاهب في

مسائل الفروع وهو مذموم شنيع، فترى معظم أبناء الدعوة الإسلامية اليوم لا يلتزم بمذهب معين في العبادة بل لا يهتم بطلب العلم الشرعي وفق الطريقة الصحيحة المتوارثة عن جميع علماء المسلمين في هذه الأمة ويتجاهل كتب أصول الفقه وفروعه، وهذا باب جهل وتجهيل وتمييع للشريعة وليس باب توحيد للكلمة ونبذ للفرقة، فالمصلي إن وضع يديه تحت الصرة في القيام ورفع يديه بعد الركوع خالف كل هيئة صلاة ثبتت عن الرسول صلى الله عليه وسلم بتلفيقه بين هيئات الصلاة في المذاهب، و المتوضئ إن مس زوجته وأخذ برأي الإمام ابو حنيفة رضي الله عنه بعدم نقض وضوءه ثم سال منه الدم فأخذ برأي الشافعي رحمه الله بعدم نقض وضوءه ثم صلى، كانت صلاته باطلة على جميع المذاهب السنية المعتبرة !!!.

وكما لا يخفى على كل عاقل عرف ودرس الإختلاف بين هذه المدارس الفقهية المفاسد المترتبة على هذه المنهجية العقيمة التلفيقية، وذلك من فتح باب تتبع الرخص وإعمال الرأي بالنصوص الشرعية والتهاون في تطبيق الأحكام الشرعية بحجة وجود الاختلاف وغيرها من المفاسد الظاهرة، وقد روي عن القاضيّ إسماعيل بن إسحاق أنّه قال: (دخلتُ على المُعتضد، فدفع إليّ كتاباً نظرت فيه، وكان قد جمع له الرُّخصَ من زلل العلماء، وما احتجّ به كلٌّ منهم لنفسه، فقلت له: يا أمير المؤمنين! مُصنّف هذا الكتاب زنديقٌ، فقال: لم تصحّ هذه الأحاديثُ؟ قلت: الأحاديثُ على ما رُويت، ولكن مَن أباح المُسكر لم يُبح المتعة، ومَن أباح المتعة لم يُبح الغناءَ والمُسكر، وما مِن عالم إلا وله زلّةٌ، ومَن جمع

زلل العلماء، ثم أخذ بها ذهب دينُه، فأمر المُعتضد بالكتاب فأحرق)[119]، فالمتتبع لرخص العلماء منحل من ربقة التكليف وما يفتأ أن يكون من أصحاب الهوى والضلالة، ولا حول ولا قوة الا بالله.

وكما أن الالتزام بأصول أحد المذاهب المعتبرة وإجماع علماءه المتبوعين يعصم الدين من عبث المبطلين الذين ظهروا في هذا الزمان ممن يفسر الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وفق هواه ورأيه وكثير منهم متأثر بأفكار دخيلة على ثقافة وحضارة الإسلام، فتجد من ينفي أحكام الرق في الإسلام وآخر ينفي جهاد الطلب ويميع أحكامه تزلفا لغير المسلمين وآخر ينفي حدود الردة والزنا في الإسلام، ومنهم من يحور آيات القرآن الكريم ليفقدها معناها، مثل ما يدعو إليه أمثال محمد شحرور واحمد صبحي منصور وأمثالهم من أصحاب الهوى، فالإسلام دين اتباع وليس دين ابتداع، نسأل الله الثبات والعصمة.

وهنا من الجدير بالذكر بأن هناك من قيادات ومفكري الدعوة الإسلامية ممن تنبهوا إلى خطورة هذا الاجتهاد الخاطئ الذي وقع فيه الكثير من مفكري ومنظري الدعوة الإسلامية ومنهم شيخنا الجليل سعيد حوى، يقول شيخنا رحمه الله (إن الإنسان العادي الذي يرفض السير على هدى أئمة الإجتهاد إنما يبيح لنفسه في الحقيقة اتباع الهوى، وعندئذ يصبح التفلت هو الأساس، ومن العجيب أن الذين يطرحون هذه الأفكار هم الذين يتهمون المذاهب الأربعة بأنها قد فرقت

---

119 البيهقيّ، السّنن الكبرى، 10، ص 211.

الأمة فليت شعري إذا أصبح لكل انسان مذهب فيما عدا الأمور المجمع عليها، أيكون في هذا جمع وتوحيد؟)[120].

ومنهم من يقول أن أئمة المذاهب الأربعة ومن يتبعهم من آلاف العلماء والفقهاء إنما هم يستنبطون الأحكام الفقهية من القرآن الكريم وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام وهذه الكتب اليوم مطبوعة ومحققة كما لم تكن من قبل وفي متناول يد جميع المسلمين بمختلف اماكنهم ولغاتهم بل يمكن الإطلاع عليها في أي وقت عبر شبكة الانترنت بفضل التطور التكنولوجي الحالي وانتشار الحواسيب المحموله والهواتف الذكية في جميع انحاء العالم، وعليه يستطيع المسلم أن يقرأ هذه الكتب وأن يتبع الدليل الشرعي سواء من القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة بدون الحاجة الى الأخذ برأي واجتهادات العلماء والفقهاء، وهذا القول فيه من الجهل والسذاجة ما لا يعلم به إلا الله، وأجزم بأن المرددين لهذه الحجه الباهته يجهلون حتى أساسيات العلم الشرعي، فالذي لديه أقل المعرفة بالعلم الشرعي يعلم بأن فهم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة واستنباط الأحكام الشرعية منهما أعقد بكثير من مجرد مطالعة الكتب أو حتى حفظها عن ظهر قلب، فالذي يريد ان ينظر في النصوص الشرعية لاستنباط الأحكام الفقهية يحتاج أولا الى أن يكرس السنين الطوال في دراسة وفهم علوم أساسية معينة حتى يستطيع الحكم على هذه النصوص ويمكن أن نلخص تلك العلوم بهذا الترتيب لمزيد من الفهم للقارئ الكريم:

[120] جولات في الفقهين الكبير والأكبر وأصولهما- سعيد حوى - صفحة 102

أولا: دراسة علوم الآلة، وهي علوم اللغة العربية من معاني وبيان ونحو وصرف وباقي فروع علم اللغة وذلك يتطلب ايضا دراسة أدب العرب من شعر ونثر بالإضافة الى مصطلحات وصور المجاز والتأويل عند العرب وغيرها من المتطلبات في علوم اللغة العربية اللازمة لطالب العلم حتى يستطيع فهم آيات القرآن الكريم الذي نزل بهذه اللغة والأحاديث الشريفة التي نطقت ودونت بها.

ثانيا: علوم القرآن الكريم، وهي العلوم المتعلقة بالقرآن من حيث نزوله وترتيبه، وجمعه وكتابته، وقراءاته وتجويده، وعلوم التفسير ومعرفة المحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، وإعجازه، وإعرابه ورسمه، وعلم غريب القرآن، وغير ذلك من العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم وقد ذكر الإمام السيوطي رحمه الله ثمانون صنفا من علوم القرآن يجب على طالب العلم الإحاطة بها ليكون متمكنا في علوم القرآن الكريم نذكر منها:

1. علم نزول القرآن.
2. علم القراءات، وما يرجع إلى كيفية أدائه، وآداب تلاوته وأحكامها.
3. علم جمع القرآن وتدوينه.
4. علم الرسم والضبط.
5. علم فضائل القرآن.
6. علم خصائص القرآن.
7. علم مبهمات القرآن.
8. علم سوره وآياته.
9. علم الوقف والابتداء.

10. علم المكي والمدني.
11. علم أسباب النزول.
12. علم التفسير، ويدخل فيه أصول التفسير، وطبقات المفسرين ومناهج المفسرين وغيرها.
13. علم أمثال القرآن.
14. علم أقسام القرآن.
15. علم الوجوه والنظائر.
16. علم الأحكام الفقهية المستنبطة منه.
17. علم الناسخ والمنسوخ.
18. علم العام والخاص.
19. علم المطلق والمقيد.
20. علم المجمل والمبين.
21. علم المحكم والمتشابه.
22. علم معاني القرآن.
23. علم متشابه القرآن.
24. علم إعراب القرآن.
25. علم أساليب القرآن.
26. علم لغات القرآن، ويشمل ما نزل بغير لغة الحجاز، وما نزل بغير لغة العرب، وهو ما يسمى بالمعرب.
27. علم غريب القرآن.
28. معرفة الفاضل والمفضول.

ثالثا: علوم الحديث، وهي العلوم المتعلقة بالأحاديث النبوية الشريفة والروايات والآثار عنه صلى الله عليه وسلم سواء كانت قولا أو فعلا أو تقريرا، وهذه العلوم تكاد تكون الأعقد والأكثر تشعبا فبعكس القرآن الكريم قطعي الثبوت فإن الأحاديث النبوية الشريفة معظمها تندرج في خانة الآحاد في رواية اسانيدها فلذلك هي بمجملها ظنية الثبوت بإستثناء عدد قليل من الأحاديث المتواترة المجمع على صحتها، ولذلك فقد قسم العلماء علوم الحديث لعدد من الأقسام وهي كما يلي:

أولا: علوم الحديث رواية، ويشمل رواية وضبط أقوال وأفعال وتقريرات النبي صلى الله عليه وسلم وتحرير ألفاظها. وهو العلم الذي يبحث في نقل الحديث من جيل إلى جيل بشكل منضبط وينقسم الى عدة اقسام منها:

1. آداب طالب الحديث والمحدث.
2. كيفية سماع الحديث وتحمله وضبطه.
3. كتابة الحديث وكيفية ضبطه.
4. صفة رواية الحديث وشرط أدائه.
5. معرفة طرق التصنيف وتقسيمات المصنفين لكتب الحديث.

ثانيا: علوم الحديث دراية، وهي معرفة حقيقة الرواية وشروطها، وأنواعها، وأحكامها، وحال الرواة وشروطهم وأصناف المرويات وما يتعلق بها وتنقسم ايضا الى عدة علوم نذكر منها:

1. علم مصطلح الحديث.

2. علم قواعد الجرح والتعديل.
3. علم الرجال (معرفة رواة الأحاديث من عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام ولغاية تخريج الحديث).
4. علم علل الحديث.
5. علم تخريج الحديث.
6. الناسخ والمنسوخ في الحديث.
7. مشكل الآثار والغريب من الحديث.

وحتى عندما يدرس طالب العلم الشرعي هذه العلوم ويفهمها فذلك لا يعني بأنه سوف يستطيع استنباط الحكم الفقهي الصحيح من النصوص الشرعية فكما هو معلوم فإن الله سبحانه وتعالى خلق للناس عقولا وأفهاما متفاوتة، فهنالك اللبيب المتميز وأما الأغلبية فهم دون ذلك بطبيعة الحال، فليس كل من درس الطب مثلا اصبح جراحا مشهورا وليس كل من درس الهندسة ابدع في اختراع الآلات أو بناء الصروح المعمارية العظيمة، وهكذا بالمثل في جميع المجالات العلمية والتطبيقية، والحق الذي لا جدال فيه أن علماء المذاهب الأربعة رحمهم الله ومن وافقهم من الغالبية العظمى من علماء الأمة كانوا من المتميزين والنابغين في هذه العلوم ولذلك كتب الله لهذه المذاهب القبول والإستمرار، وأما الخلاف بينهم فهو يرجع كما ذكرنا سابقا لطريقة اعتماد وفهم النصوص الشرعية والأصول التي قررها اصحاب هذه المذاهب لترجيح ما استنبطوه من الأحكام الشرعية.

وعليه فإننا نرى كما هو عليه إجماع أئمة المسلمين وعلمائهم منذ فجر الإسلام بضرورة اتباع المذهب الأصح بعد الدراسة والنظر مع الإبتعاد عن الأخذ

بالآراء المرجوحة والشاذة في المذهب وترك إعمال الرأي في النصوص الشرعية واتباع الهوى والرخص، وبالله العصمة.

الفصل الأول ترجيح المذهب الحنفي

وأما سبب ترجيحنا لمذهب الإمام أبو حنيفة رضوان الله عليه فيرجع إلى اسباب عديدة نذكر أهمها كما يلي:

1- مكانة الإمام أبي حنيفة الدينية والعلمية وحيث أنه صاحب أول المذاهب الفقهية وإمام أهل السنة والجماعة في العقيدة، وليس أدل من اعتماد كتبه كالفقه الأكبر والوصية والفقه الأبسط في الرد على أصحاب العقائد الفاسدة من الزنادقة والجهمية والمرجئة والخوارج، بل إن متن العقيدة الطحاوية والذي هو أقدم نص معتمد للعقيدة عند أتباع المذاهب السنية الأربعة مستنبط من عقيدة الإمام ابو حنيفة وصاحبيه بالنص الصريح في عنوان المتن وذلك بنقل الإمام أبو جعفر الطحاوي والذي هو نفسه من أشهر علماء المذهب الحنفي المتقدمين.

2- تلقي الأمة الإسلامية للمذهب الحنفي بالقبول والاتباع، فالمذهب الحنفي كان مذهب غالبية المسلمين منذ انتشاره في عصر الدولة العباسية ولغاية اليوم وحيث أن أكثر من نصف المسلمين اليوم (حوالي مليار مسلم) يدينون بالمذهب الحنفي، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الشريف (إنّ أمّتي لا تجتمع على الضلالة، فإذا رأيتم اختلافاً فعليكم بالسواد الأعظم)(سنن ابن ماجة)، وقد وردت الفاظ أخرى لأحاديث نبوية شريفة بنفس معنى هذا الحديث وذلك في العديد من كتب الحديث لحد التواتر المعنوي.

3- المذهب الحنفي هو مذهب جماعة من العلماء وليس مذهب فرد أو شخص واحد، فهو لا يتمحور حول آراء مؤسس المذهب كما هو الحال في باقي المذاهب الأخرى، فحلقة الإمام أبو حنيفة العلمية كانت تحوي أربعين فقيها من تلامذته كلهم مثل الشافعي وسفيان ومالك رحمهم الله وخصوصا الإمامين ابو يوسف القاضي ومحمد بن الحسن الشيباني الذي هو شيخ الإمام الشافعي أيضا والذي قال فيه (كتبت عنه وقر بختي وما ناظرت سمينا أذكى منه، ولو أشاء أن أقول: نزل القرآن بلغة محمد بن الحسن، لقلت لفصاحته)، وروي عن الإمام احمد بن حنبل رحمه الله (قال إبراهيم الحربي: قلت للإمام أحمد: من أين لك هذه المسائل الدقاق؟ قال: من كتب محمد بن الحسن)، وكما أن هؤلاء الأئمة (أبو يوسف ومحمد بن الحسن) خالفوا الإمام أبو حنيفة في كثير من مسائل الإجتهاد في حياته و ناظروه بذلك بدون أي حرج أو تعصب الا للحق والدين، فتجد في المسألة الواحدة عدة آراء لكل واحد من الأئمة الثلاثة وكما تجد أن المعتمد في المذهب الحنفي في بعض المسائل خلاف رأي الإمام أبو حنيفة إذا اجتمع الصاحبان على رأي مغاير وكان رأيهم أقوى حجة من رأيه أو كانت المسألة الفقهية في شؤون القضاء فيقدم رأي الإمام أبو يوسف في كثير من المسائل على رأيهما.

4- الإمام أبو حنيفة هو وريث علوم الصحابة وعلوم آل البيت عليهم السلام، فهو كما انه تتلمذ على يد عشرات التابعين الذين يعودون في سند علومهم إلى ابو بكر وعمر وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم فهو تتلمذ أيضا على يد الإمام محمد الباقر بن علي وابنه جعفر

الصادق وأخوه الإمام زيد بن علي وابن عمهم عبدالله بن الحسن المثنى رضي الله عنهم، والذين ورثوا علوم واجتهادات الإمام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وأبنائه الحسن والحسين رضي الله عنهما، فكان مذهبه رضي الله عنه جامعا لجميع هذه العلوم وأبعد المذاهب الفقهية عن التعصب للأشخاص وأحرصها على تغليب مقاصد الشريعة والأخذ بالرأي الراجح نقلا وعقلا.

5- اصول المذهب الحنفي احوط في الدين وأقرب إلى الإلتزام بأحكام القرآن الكريم من مذاهب اهل الحديث، فنسخ حكم في القرآن أو تخصيصه يحتاج إلى حديث متواتر أو مشهور ثبت عن رسول الله قطعا عند الإمام وتلامذته، فلا تنسخ احكام القرآن بأحاديث الآحاد ظنية الثبوت ولو صحح سندها بعض أئمة الحديث، فقد روي عن ابن أبي مليكة، أن عبيد بن عمير الليثي، حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أبا بكر رضي الله عنه أن يصلي بالناس -فذكر الحديث إلى أن قال:- فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانه، وجلس إلى جنب الحُجَر يحذر الفتن، وقال: (إني والله لا يمسك الناس عليَّ بشيء، إلا أني لا أحلّ إلا ما أحل الله في كتابه، ولا أحرم إلا ما حرم الله في كتابه)(أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (7/ 120))، وكما اننا لا نبالغ إذا قلنا بأن المذهب الحنفي هو الأقرب ايضا إلى سنة الرسول عليه الصلاة والسلام، وحيث أن الإمام وتلاميذه كانوا يعتنون جدا بالسنة العملية التي كان عليها عمل النبي صلى الله عليه وسلم وجمهور صحابته الكرام، والإمام رضي الله عنه أجدر بالعلم بما كان عليه عمل الرسول صلى الله

عليه وسلم وصحابته الكرام، كيف لا وهو التابعي الذي روى عنهم وصلى خلفهم، مع امتلاكه للمقومات التي أودعها الله فيه من العقل الراجح والفهم العميق والنباهة الفائقة التي قل نظيرها في أي من أقرانه في ذلك العصر بل في أي عصر وزمان.

6- نصرة الإمام أبو حنيفة للحق ووقوفه ضد الباطل في شؤون المسلمين العامة وحيث أن الإمام ابعد ما يكون عن شيوخ وعلماء السلاطين فقد نصر الإمام ثورة الإمام زيد بن علي رضي الله عنه ضد حكم هشام بن عبد الملك الأموي الظالم، وكما نصر ثورة محمد النفس الزكية رضي الله عنه ضد طغيان أبو جعفر المنصور العباسي، وقد دفع الإمام حياته في سجون المنصور تحت التعذيب ثمنا لموقفه هذا، وهذه المواقف تثبت ايضا حب الإمام لعترة الرسول عليه الصلاة والسلام ونصرته لآل البيت الكرام وبعده عن تيار النواصب الذي كان فاشيا في ذلك الوقت، فالإمام هو ممثل تيار أهل السنة والجماعة المتوازن والبعيد عن رفض غلاة الشيعة ونصب المغاليين في الولاء لبني أمية.

7- المذهب الحنفي هو مذهب دولتي الخلافة الإسلامية العباسية والعثمانية وجميع الممالك والدول الإسلامية التاريخية في وسط آسيا والهند والعراق مثل دولة المغول والدولة الخوارزمية والغزنوية وغيرها، فهو مذهب العلم والعمل، والتطبيق الواقعي لتعاليم وشرائع الإسلام في الشؤون العامة للمجتمعات الإسلامية عبر التاريخ، وكما أنه المذهب الأكثر اعتناءً بتفاصيل فقه المعاملات بين الناس سواء بين المسلمين أو مع غير المسلمين، والأهم من ذلك هو تأصيل هذه المسائل الفقهية

الدقيقة وفق أصول فقهية صارمة لا تقبل إعمال الهوى والرأي المجرد من قبل المفتي أو الفقيه المقيد في المذهب.

8- المذهب الحنفي بتشدده في شروط قبول أحاديث الآحاد يخرج المسلمين من الحرج والتكلف في تأويل الأحاديث التي يناقض ظاهرها ما هو ثابت في القرآن الكريم والسنة النبوية المتواترة والمشهورة (قاعدة الانقطاع الباطن بدليل معارض)، مثل تلك الآثار التي توهم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم تأثر بالسحر أو أنه مات متأثرا بالسم بخلاف وعد الله بعصمته من الناس، وتلك الآثار التي توهم الطعن في دين الصحابة والله يزكيهم ويعدهم الجنة في قرآنه، وقضية نسخ آيات من القرآن الكريم بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام وقضية فناء النار و قضية الإرجاء والجبر في الحديث وغيرها من الآثار غريبة المتن والتي صحح بعض علماء الحديث سندها.

9- المذهب الحنفي في فقه العبادات يستند بالكامل على القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم والآثار المروية عن الصحابة الكرام وإنما يختلف عن مذاهب أهل الحديث في ترجيح أحاديث ضعفوا سندها أو صنفوها في الحسن والمرسل وقدموا عليها احاديث صنفوها في الصحيح، وأظهر دليل على ذلك ما أورده الإمام جمال الدين عبد الله الزيلعي الحنفي في تخريجه المسمى نصب الراية لأحاديث الهداية والذي يورد فيه التخريج من كتب الحديث لمعظم الأحاديث والآثار التي يستند عليها المذهب الحنفي، فدعوى بعض المتعصبين من اتباع مذاهب أهل الحديث بعدم التزام ائمة المذهب الحنفي بمقتضى بعض الأحاديث

الصحيحة هي قائمة على أصل غير صحيح، وهو تقديم الروايات بحسب قوة السند، بل حتى أئمة مذاهب أهل الحديث لا يلتزمون بهذا الأصل، وأبرز الأمثلة على ذلك هو إيراد الإمام مالك رحمه الله في موطئه أحاديث صحح سندها ولكنه يفتي بخلاف ما تقتضيه هذه الأحاديث ويعلل ذلك بأنه وجد عمل أهل المدينة على خلاف هذا الحديث، فقدم رحمه الله إجماع التابعين من أبناء الصحابة على خبر الواحد الذي صح سنده عنده.

وكما أن اسقاط الحديث المرسل أو الحسن أو الضعيف بحجة وجود ما يعارضه من الأحاديث التي صنفها علماء الحديث في الصحيح مطلقا يفتقر إلى الموضوعية وإلى إعمال اسس البحث العلمي المعتبرة، فهذه التصنيفات إنما هي اجتهاد من هؤلاء العلماء بناء على علم الجرح والتعديل والنظر في موثوقية الرواة في سند هذه الأحاديث واعتبارات أخرى شرطها هؤلاء العلماء الأجلاء، فمثلا شروط الإمام البخاري رحمه الله تختلف عن شروط الإمام مسلم أو الترمذي رحمهم الله، فما لم يصححه البخاري مثلا هو ضعيف السند عنده بالضرورة وهو قوي صحيح عند غيره وهكذا، فموضوع الأخذ بمقتضى حديث ما أو تركه اعقد من أن يختصر بمثل هذه القواعد العامة الغير موضوعية، ونحن نقدم الثقة بعلم وفقه أئمتنا المجتهدين في المذهب وخصوصا المتقدمين منهم على اجتهاد علماء الحديث رحمهم الله مع الحرص على تقدير

جهودهم وعملهم في خدمة السنة النبوية الشريفة وعدم الطعن في نزاهتهم وأمانتهم العلمية.

الفصل الثاني مناقب الامام أبو حنيفة وصاحبيه

الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه

ولد الإمام ابو حنيفة في الكوفة في العراق وقد اختلف المؤرخون في عام ميلاده وحيث رجح كثير منهم بأنه في عام 70 من الهجرة النبوية، وقال آخرون في العام 61 للهجره ومنهم من قال في عام 80 للهجره والغالب ان التاريخ الصحيح لولادته يدور حول عام 70 للهجرة كما رجح ذلك العلامة محمد زاهد الكوثري رحمه الله، وأبوه: ثابت بن النعمان بن قيس بن المرزبان بن زُوْطى بن ماه، وهناك خلاف في تحديد انتمائه العرقي، حيث توجد روايات متعددة في ذلك، ولكن الأصح منها هي انه من أصل فارسي وهذه هي الرواية المتداولة والمعروفة.

عاش أبو حنيفة الجزء الأكبر من حياته في العصر الأموي، والباقي في العصر العباسي، فهو قد أدرك دولتين من دول الإسلام.

يُروى أنه لما خرج زيد بن علي زين العابدين على هشام بن عبد الملك سنة 121هـ كان أبو حنيفة من المؤيدين للإمام زيد، قال أبو حنيفة: «ضاهى خروجه خروج رسول الله ﷺ يوم بدر»، ويُروى أنه قال في الاعتذار عن عدم الخروج معه: «لو علمت أن الناس لا يخذلونه كما خذلوا أباه لجاهدت معه لأنه إمام حق، ولكن أعينه بمالي، فبعث إليه بعشرة آلاف درهم». وانتهت ثورة الإمام زيد بقتله سنة 132هـ، كما قتل ابنه يحيى في خراسان، وابنه عبد الله بن يحيى في اليمن. ولقد كان لزيد بن علي منزلة في نفس أبي حنيفة، وكان يُقدِّره

في علمه وخلقه ودينه، وعدَّه الإمام بحق، وأمده بالمال، ثم رآه يُقتل بسيف الأمويين، ثم يُقتل من بعده ابنه، ثم من بعده حفيده، فأحنقه كل ذلك[121].

كان يزيد بن عمر بن هبيرة والي الكوفة آنذاك، فأرسل إلى أبي حنيفة يريد أن يجعل الخاتم في يده، ولا ينفذ كتاب إلا من تحت يد أبي حنيفة، فامتنع أبو حنيفة عن ذلك، فحلف الوالي أن يضربه إن لم يقبل، فنصح الناسُ أبا حنيفة أن يقبل ذلك المنصب، فقال أبو حنيفة: (لو أرادني أن أعد له أبواب مسجد واسط لم أدخل في ذلك، فكيف وهو يريد مني أن يُكتب دمُ رجل يُضرب عنقُه وأختم أنا على ذلك الكتاب، فوالله لا أدخل في ذلك أبداً)، فحبسه صاحب الشرطة، وضربه اياماً متتالية، فجاء الضارب إلى الوالي وقال له: «إن الرجل ميت»، فقال الوالي: (قل له: تخرجنا من يميننا؟)، فسأله فقال أبو حنيفة: (لو سألني أن أعد له أبواب المسجد ما فعلت)، ثم أمر الوالي بتخلية سبيله، فركب دوابه وهرب إلى مكة بعد أن مكَّن له الجلاد من أسباب الفرار، وكان هذا في سنة 130هـ. ولقد وجد في الحرم المكي أمناً، فعكف على الحديث والفقه يطلبهما بمكة التي ورثت علم ابن عباس، والتقى أبو حنيفة بتلاميذه فيها، وذاكرهم علمه وذاكروه ما عندهم، وظل مقيماً بمكة حتى صارت الخلافة للعباسيين، فقدم الكوفة في زمن أبي جعفر المنصور[122].

استقبل أبو حنيفة عهد العباسيين بارتياح، فقد رأى اضطهاد الأمويين لبني علي بن أبي طالب وأهل بيت النبي محمد، واستمر على ولائه للدولة العباسية لمحبته

[121] أبو حنيفة، محمد أبو زهرة، ص 36-37
[122] أبو حنيفة، محمد أبو زهرة، ص 38-4

لآل النبي جميعاً، ولقد كان الخليفة أبو جعفر المنصور يدنيه ويعليه ويرفع قدره ويعطيه العطايا الجزيلة، ولكنه كان يردها ولا يقبل العطاء، ولم يُعرف عن أبي حنيفة أنه تكلم في حكم العباسيين حتى نقم عليهم أبناء علي بن أبي طالب، واشتدت الخصومة بينهم، وقد كان ولاء أبي حنيفة لبني علي، فكان طبيعياً أن يغضب لغضبهم، وخصوصاً أن من ثار على حكومة أبي جعفر هو محمد النفس الزكية بن عبد الله بن الحسن، وأخوه إبراهيم بن عبد الله بن الحسن، وكان أبوهما عبد الله ممن اتصل به أبو حنيفة اتصالاً علمياً، وقد كان عبد الله وقت خروج ولديه في سجن أبي جعفر، ومات فيه بعد مقتل ولديه.

كان موقف أبي حنيفة من خروج محمد النفس الزكية على المنصور شديداً، فقد كان يجهر بمناصرته في درسه، بل وصل الأمر إلى أن ثبط بعض قواد المنصور عن الخروج لحربه. وكان هذا العمل في نظر المنصور من أخطر الأعمال على دولته، لأن أبا حنيفة تجاوز فيه حد النقد المجرد والولاء القلبي إلى العمل الإيجابي، فأراد المنصور أن يختبر طاعة أبي حنيفة وولاءه له، وقد كان يبني بغداد آنذاك، فأراد أن يجعله قاضياً، فامتنع أبو حنيفة، فأصر المنصور على أن يتولى له عملاً اياً كان، فقبل أبو حنيفة أن يقوم ببعض أعمال البناء من إعداد اللِّبن وما شابه ذلك، فاستطاع بذلك أن يغمض عنه عين المنصور.

كان أبو حنيفة بعد مناوأة بني علي للمنصور وإيذائه لهم وقتله لرؤوسهم لا يرتاح إلى حكومته، وقد استطاع أن يدرأ عنه أذاه، وانصرف إلى العلم، ولكن كان من وقت لآخر يقول بعض الأقوال، أو تكون منه أمور تكشف عن رأيه فيه وفي حكومته، ومن ذلك أن أهل الموصل كانوا قد انتفضوا على المنصور، وقد

اشترط المنصور عليهم أنهم إذا انتفضوا تحل دماؤهم له، فجمع المنصور الفقهاء وفيهم أبو حنيفة، فقال: (أليس صح أنه عليه السلام قال: (المؤمنون عند شروطهم)، وأهل الموصل قد شرطوا ألا يخرجوا علي، وقد خرجوا على عاملي، وقد حلت لي دماؤهم)، فقال رجل: (يدك مبسوطة عليهم، وقولك مقبول فيهم، فإن عفوت فأنت أهل العفو، وإن عاقبت فبما يستحقون)، فقال لأبي حنيفة: (ما تقول أنت يا شيخ؟ ألسنا في خلافة نبوة وبيت أمان؟)، قال: (إنهم شرطوا لك ما لا يملكونه، وشرطت عليهم ما ليس لك، لأن دم المسلم لا يحل إلا بأحد معان ثلاثة، فإن أخذتهم أخذت بما لا يحل، وشرط الله أحق أن توفي به)، فأمرهم المنصور بالقيام فتفرقوا ثم دعاه وقال: (يا شيخ، القول ما قلت، انصرف إلى بلادك ولا تُفتِ الناس بما هو شين على إمامك فتبسط أيدي الخوارج).

لقد كان أبو حنيفة يميل إلى أبناء علي بن أبي طالب، وكان ذلك يبدو على لسانه في حلقة درسه وبين تلاميذه، وكان يجهر بمخالفة المنصور في غاياته عندما يستفتيه، كما كان يمتنع عن قبول العطاء من المنصور، وكان ينقد القضاء نقداً مراً إذا وجد فيه ما يخالف الحق في نظره، من غير أن يلتفت إلى ما يجره ذلك النقد من ضياع روعة الأحكام.

وعندما دعا أبو جعفر المنصور أبا حنيفة ليتولى القضاء امتنع، فطلب منه أن يَرجع إليه القضاة فيما يشكل عليهم ليفتيهم فامتنع، فأنزل به العذاب بالضرب والحبس، أو الحبس وحده على اختلاف الروايات، ويروى أن أبا جعفر حبس أبا حنيفة على أن يتولى القضاء ويصير قاضي القضاة، فأبى حتى ضُرب مئة وعشرة أسواط، وأخرج من السجن على أن يلزم الباب، وطلب منه أن يفتي فيما

يرفع إليه من الأحكام، وكان يرسل إليه المسائل، وكان لا يفتي، فأمر أن يعاد إلى السجن، فأُعيد وغُلظ عليه وضُيق تضييقاً شديداً. وقد اتفق الرواة على أنه حُبس، وأنه لم يجلس للإفتاء والتدريس بعد ذلك، إذ إنه مات بعد هذه المحنة أو معها، ولكن اختلفت الرواية: أمات محبوساً بعد الضرب الذي تكاد الروايات تتفق عليه ايضاً؟ أم مات محبوساً بالسم فلم يُكتف بضربه بل سقي السم ليعجل موته؟ أم أُطلق من حبسه قبل موته فمات في منزله بعد المحنة ومُنع من التدريس والاتصال بالناس؟ كل هذه الروايات رُويت[123].

اخلاقه وورعه

رَوَى الْحَسَنُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُجَالِدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ الرَّشِيدِ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو يُوسُفَ، فَقَالَ لَهُ هَارُونُ: صِفْ لِي أَخْلاقَ أَبِي حَنِيفَةَ، قَالَ: "كَانَ وَاللَّهِ شَدِيدَ الذَّبِّ عَنْ حَرَامِ اللَّهِ، مُجَانِبًا لأَهْلِ الدُّنْيَا، وَطَوِيلَ الصَّمْتِ دَائِمَ الْفِكْرِ، لَمْ يَكُنْ مِهْذَارًا وَلا ثِرْثَارًا، إِنْ سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ عِنْدَهُ مِنْهَا عِلْمٌ أَجَابَ فِيهَا، مَا عَلِمْتُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلا صَائِنًا لِنَفْسِهِ وَدِينِهِ، مُشْتَغِلا بِنَفْسِهِ عَنِ النَّاسِ لا يَذْكُرُ أَحَدًا إِلا بِخَيْرٍ، فَقَالَ الرَّشِيدُ: هَذِهِ أَخْلاقُ الصَّالِحِينَ"[124].

وَقَالَ الْقَاسِمُ بْنُ غَسَّانَ: سَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنِ أَبِي إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ: ذَكَرَ قَوْمٌ أَبَا حَنِيفَةَ عِنْدَ ابْنِ عُيَيْنَةَ فَتَنَقَّصَهُ بَعْضُهُمْ، فَقَالَ سُفْيَانُ: «مَهْ! كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ أَكْثَرَ النَّاسِ صَلاةً، وَأَعْظَمَهُمْ أَمَانَةً، وَأَحْسَنَهُمْ مُرُوءَةً»[125]

---

[123] أبو حنيفة، محمد أبو زهرة، ص 42-58

[124] مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن للإمام الحافظ الذهبي – تحقيق أبي الوفاء الأفغاني

[125] مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن للإمام الحافظ الذهبي – تحقيق أبي الوفاء الأفغاني

وَعَنْ بِشْرِ بْنِ يَحْيَى، سَمِعْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ، يَقُولُ: «مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَوْقَرَ فِي مَجْلِسِهِ، وَلا أَحْسَنَ سَمْتًا وَحِلْمًا مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ، وَلَقَدْ كُنَّا عِنْدَهُ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، فَوَقَعَتْ حَيَّةٌ مِنَ السَّقْفِ فِي حِجْرِهِ، فَمَا زَادَ عَلَى أَنْ نَفَضَ حِجْرَهُ، فَأَلْقَاهَا وَمَا مِنَّا أَحَدٌ إِلا هَرَبَ»[126]

وَقَالَ جُبَارَةُ بْنُ الْمُغَلِّسِ: سَمِعْتُ قَيْسَ بْنِ الرَّبِيعِ، يَقُولُ: «كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ وَرِعًا تَقِيًّا، مُفَضَّلا عَلَى إِخْوَانِهِ»[127]

رَوَى بِشْرُ بْنُ الْوَلِيدِ الْكِنْدِيُّ، عَنْ أَبِي يُوسُفَ، قَالَ: "كُنْتُ أَمْشِي مَعَ أَبِي حَنِيفَةَ إِذْ سَمِعْتُ رَجُلًا، يَقُولُ لآخَرَ: هَذَا أَبُو حَنِيفَةَ لا يَنَامُ اللَّيْلَ، فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: وَاللَّهِ لا يَتَحَدَّثُ عَنِّي مَا لا أَفْعَلُ! فَكَانَ يُحْيِي اللَّيْلَ صَلاةً وَدُعَاءً وَتَضَرُّعًا"

وَرَوَى يَحْيَى الْحِمَّانِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ قَالَ: «صَحِبْتُ أَبَا حَنِيفَةَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، فَمَا رَأَيْتُهُ صَلَّى الْغَدَاةَ إِلا بِوُضُوءِ الْعِشَاءِ الآخِرَةِ، وَكَانَ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ عِنْدَ السَّحَرِ»

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ الْجَوْهَرِيُّ: ثَنَا الْمُثَنَّى بْنُ رَجَاءٍ، عَنْ أُمِّ حُمَيْدٍ حَاضِنَةِ وَلَدِ أَبِي حَنِيفَةَ، قَالَتْ: قَالَتْ أُمُّ وَلَدِ أَبِي حَنِيفَةَ: «مَا تَوَسَّطَ أَبُو حَنِيفَةَ فِرَاشًا بِلَيْلٍ مُنْذُ عَرِفْتُهُ، وَإِنَّمَا كَانَ نَوْمُهُ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ فِي الصَّيْفِ وَبِاللَّيْلِ فِي مَسْجِدِهِ أَوَّلَ اللَّيْلِ فِي الشِّتَاءِ»[128]

---

[126] مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن للإمام الحافظ الذهبي – تحقيق أبي الوفاء الأفغاني

[127] نفس المصدر

[128] نفس المصدر

قَالَ عَلِيُّ بْنُ حَفْصٍ الْبَزَّازُ: سَمِعْتُ حَفْصَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، سَمِعْتُ مِسْعَرًا، يَقُولُ: "دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَرَأَيْتُ رَجُلا يُصَلِّي فَاسْتَحْلَيْتُ قِرَاءَتَهُ، فَوَقَفْتُ حَتَّى قَرَأَ سَبْعًا، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ، ثُمَّ بَلَغَ الثُّلُثَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ، ثُمَّ بَلَغَ النِّصْفَ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى حَالِهِ حَتَّى خَتَمَ الْقُرْآنَ فِي رَكْعَةٍ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ أَبُو حَنِيفَةَ"

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ رُسْتُمَ الْمَرْوَزِيُّ: سَمِعْتُ خَارِجَةَ بْنَ مُصْعَبٍ، يَقُولُ: "خَتَمَ الْقُرْآنَ فِي رَكْعَةٍ أَرْبَعَةٌ مِنَ الأَئِمَّةِ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَتَمِيمٌ الدَّارِيُّ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَأَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ"[129]

شهادة أقرانه له بالعلم والتقوى

يُوسُفُ بْنُ مُوسَى، سَمِعْتُ جَرِيرًا، يَقُولُ: «كَانَ الأَعْمَشُ إِذَا سُئِلَ عَنِ الدَّقَائِقِ أَرْسَلَهُمْ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ، وَقَدْ قَالَ مُغِيرَةُ لَهُ أَلا تَأْتِي أَبَا حَنِيفَةَ»

يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ، عَنْ جَرِيرٍ، قَالَ: قَالَ لِي مُغِيرَةُ: «جَالِسْ أَبَا حَنِيفَةَ تَفَقَّهْ، فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَوْ كَانَ حَيًّا لَجَالَسَهُ»

شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ، قَالَ: «كَانَ شُعْبَةُ حَسَنَ الرَّأْيِ فِي أَبِي حَنِيفَةَ كَثِيرَ التَّرَحُّمِ عَلَيْهِ».

عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، سَمِعْتُ مِسْعَرًا، يَقُولُ: «رَحِمَ اللَّهُ أَبَا حَنِيفَةَ إِنْ كَانَ لَفَقِيهًا عَالِمًا».

---

[129] نفس المصدر

حُسَيْنٌ الْجُعْفِيُّ، سَمِعْتُ زَائِدَةَ بْنَ قُدَامَةَ، يَقُولُ: «النُّعْمَانُ بْنُ ثَابِتٍ فَقِيهُ الْبَدَنِ لَمْ يَعُدْ مَا أَدْرَكَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْكُوفَةِ».

وَعَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ، قَالَ: «كَانَ النُّعْمَانُ بْنُ ثَابِتٍ أَفْقَهَ أَهْلِ زَمَانِهِ».

أَبُو نُعَيْمٍ، سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ صَالِحِ بْنِ حُيَيٍّ، يَقُولُ: «لَمَّا مَاتَ أَبُو حَنِيفَةَ، ذَهَبَ مُفْتِي الْعِرَاقِ وَفَقِيهُهَا».

بِشْرُ الْحَافِي، سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ دَاوُدَ الْخُرَيْبِيَّ، يَقُولُ: «إِذَا أَرَدْتَ الآثَارَ، فَسُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ، وَإِذَا أَرَدْتَ تِلْكَ الدَّقَائِقَ فَأَبُو حَنِيفَةَ».

رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ جُرَيْجٍ، فَقِيلَ لَهُ: مَاتَ أَبُو حَنِيفَةَ، فَقَالَ: «رَحِمَهُ اللَّهُ، لَقَدْ ذَهَبَ مَعَهُ عِلْمٌ كَثِيرٌ».

الْمُثَنَّى بْنُ رَجَاءٍ، سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ أَبِي عَرُوبَةَ، يَقُولُ: «كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ عَالِمَ الْعِرَاقِ» ، قَالَ زَيْدُ بْنُ هَارُونَ: أَفْقَهُ مَنْ رَأَيْتُ أَبُو حَنِيفَةَ، وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ حَكِيمٍ: "مَا رَأَيْتُ أَعْلَمَ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ فِي زَمَانِهِ.

الْحَلْوَانِيُّ، قُلْتُ لأَبِي عَاصِمٍ النَّبِيلِ: أَبُو حَنِيفَةَ أَفْقَهُ أَوْ سُفْيَانَ؟ فَقَالَ: أَبُو حَنِيفَةَ، عَبْدُ الرَّازِقِ، قَالَ: قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: إِنْ كَانَ الاحْتِيَاجُ إِلَى الرَّأْيِ فَهُوَ أَسَدُّهُمْ رَأْيًا، وَعَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ، قَالَ: لَوْلا أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَدْرَكَنِي بِأَبِي حَنِيفَةَ وَسُفْيَانَ لَكُنْتُ بِدْعِيًّا".

يَحْيَى بْنُ آدَمَ، سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ صَالِحٍ، يَقُولُ: «كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ فَهِمًا بِعِلْمِهِ مُتَثَبِّتًا فِيهِ، إِذَا صَحَّ عِنْدَهُ الْخَبَرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَعْدُهُ إِلَى غَيْرِهِ».

الْمُزَنِيُّ وَغَيْرُهُ، سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ، يَقُولُ: «النَّاسُ عِيَالٌ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ فِي الْفِقْهِ».

إِسْحَاقُ بْنُ بَهْلُولٍ، سَمِعْتُ ابْنَ عُيَيْنَةَ، يَقُولُ: «مَا مَقَلَتْ عَيْنِي مِثْلَ أَبِي حَنِيفَةَ».

إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَرْوَزِيُّ الْخَلالُ، سَمِعْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ، يَقُولُ: «كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ آيَةً».

أَحْمَدُ بْنُ الصَّبَّاحِ، سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ، يَقُولُ: قِيلَ لِمَالِكٍ: هَلْ رَأَيْتَ أَبَا حَنِيفَةَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، رَأَيْتُ رَجُلًا لَوْ كَلَّمَكَ فِي هَذِهِ السَّارِيَةِ أَنْ يَجْعَلَهَا ذَهَبًا لَقَامَ بِحُجَّتِهِ».

أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُغَلِّسٍ: ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ، سَمِعْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ، يَقُولُ: «إِنْ كَانَ الأَثَرُ قَدْ عُرِفَ وَاحْتِيجَ إِلَى الرَّأْيِ، فَرَأْيُ مَالِكٍ وَسُفْيَانَ، وَأَبِي حَنِيفَةَ، وَأَبُو حَنِيفَةَ أَحْسَنُهُمْ وَأَدَقُّهُمْ فِطْنَةً وَأَغْوَصُهُمْ عَلَى الْفِقْهِ وَهُوَ أَفْقَهُ الثَّلاثَةِ».[130]

قال أبو غدة في التعقيب على ما نقله ابن عبد البر من ذكر سبعين ممن وثّقوا الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه (ويكفي ثناء خمسة منهم أو عشرة لإثبات فضل أبي حنيفة وعلمه، ودينه وورعه وتزكيته، وإمامته في الدين، وهو بشر يخطئ ويصيب وليس بالمعصوم من الخطأ في الاجتهاد كسائر المجتهدين، وحسبك منهم: ثناء أبي جعفر الباقر، وحماد بن أبي سليمان ومسعر بن كدام، وأيوب السختياني، والأعمش، وشعبة، وسفيان الثوري، والحسن بن صالح، وسعيد بن أبي عروبة وحماد بن زيد، فهؤلاء العشرة الجبال في الثقة والدين والعلم، لو شهدوا على أمر لقبلت شهادتهم وردّت شهادة مخالفهم دون تردد والثناء شهادة.

---

130 مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن للإمام الحافظ الذهبي – تحقيق أبي الوفاء الأفغاني

وإن شئت أن تزيد إلى شهادتهم شهادة آخرين هم جبال ايضاً في الثقة والدين والعلم، فخذ شهادة ابن شبرمة، ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الله بن المبارك، وزهير بن معاوية، وابن جريح، وعبد الرزاق، والشافعي، ووكيع بن الجراح، وخالد الواسطي، وسفيان بن عيينة، فهؤلاء عشرة على العشرة الأولى فغدوا عشرين إماماً مزكياً ...

هؤلاء كلهم قد أطبقوا على الثناء على أبي حنيفة في دينه وصلاحه وتعبده، وورعه وعلمه وفقهه، وتثبّته وثقته وإمامته، وعقله ونباهته وهديه وسمته وكرمه، وامتناعه عن تولي القضاء ورعاً وخوفاً على دينه وآخرته، وأنه اختار الحبس وما ناله من العذاب على تولي القضاء، وتلك شهادتهم فيه، وهم براء من التّعصب له، والتعصب على شانئيه)[131].

الإمام أبو يوسف القاضي رضي الله عنه

هو الإمام المجتهد العلامة المحدث قاضي القضاة، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حبيش بن سعد بن بجير بن معاوية الأنصاري الكوفي.

وسعد بن بجير له صحبة وهو سعد بن حبتة وهي أمه وهو بجلي من حلفاء الأنصار شهد الخندق وغيرها.

يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، كنيته: أبو يوسف، صاحب الإمام أبي حنيفة، وتلميذه، وأول من نشر مذهبه، كان فقيها علامة، من حفاظ الحديث. ولد بالكوفة، وتفقه بالحديث والرواية، ثم لزم أبا حنيفة، فغلب

[131] الانتقاء في فضائل الائمة الثلاثة الفقهاء مالك بن أنس والشافعي وأبي حنيفة - عبد الفتاح أبو غدة

عليه الرأي وولي القضاء ببغداد أيام المهدي والهادي والرشيد. ومات في خلافته، ببغداد، وهو على القضاء، وهو أول من دعي قاضي القضاة ويقال له: قاضي قضاة الدنيا، وأول من وضع الكتب في أصول الفقه، على مذهب أبي حنيفة. وكان واسع العلم بالتفسير والمغازي وأيام العرب[132].

علمه وورعه

ذَكَرَ أَسَدُ بْنُ الْفُرَاتِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، قَالَ:" مَرِضَ أَبُو يُوسُفَ، فَعَادَهُ أَبُو حَنِيفَةَ، فَلَمَّا خَرَجَ، قَالَ: إِنْ يَمُتْ هَذَا الْفَتَى فَهُوَ أَعْلَمُ مَنْ عَلَيْهَا، وَأَوْمَأَ إِلَى الأَرْضِ "عَبَّاسٌ الدُّورِيُّ، سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، يَقُولُ:" أَوَّلُ مَا كَتَبْتُ الْحَدِيثَ اخْتَلَفْتُ إِلَى أَبِي يُوسُفَ الْقَاضِي، فَكَتَبْتُ عَنْهُ، ثُمَّ اخْتَلَفْتُ بَعْدُ إِلَى النَّاسِ، قَالَ: وَكَانَ أَبُو يُوسُفَ أَمْيَلُ إِلَيْنَا مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَمُحَمَّدٍ ".

إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي دَاوُدَ الْبُرُلُّسِيُّ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ، يَقُولُ: «مَا رَأَيْتُ فِي أَصْحَابِ الرَّأْيِ أَثْبَتَ فِي الْحَدِيثِ وَلا أَحْفَظَ، وَلا أَصَحَّ رِوَايَةً مِنْ أَبِي يُوسُفَ، وَأَبُو حَنِيفَةَ صَدُوقٌ غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِهِ مَا فِي حَدِيثِ الْمَشَايِخِ يَعْنِي مِنَ الْغَلَطِ»[133].

قال الطَّحَاوِيُّ: ثنَا بْنُ أَبِي عِمْرَانَ، ثنَا مُحَمَّدُ بْنُ شُجَاعٍ، سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ أَبِي مَالِكٍ، سَمِعْتُ أَبَا يُوسُفَ فِي مَرَضِهِ، يَقُولُ: "وَاللَّهِ مَا زَنَيْتُ قَطُّ، وَلا جُرْتُ فِي حُكْمٍ، وَلا أَخَافُ مِنْ شَيْءٍ إِلا مِنْ شَيْءٍ كَانَ مِنِّي كُنْتُ آخُذُ الْقَصَصَ، فَأَقْرَؤُهَا عَلَى الرَّشِيدِ، ثُمَّ أُوَقِّعُ لأَصْحَابِهَا بِحَضْرَتِهِ، فَأَخَذْتُ قِصَّةً لِنَصْرَانِيٍّ فِي ضَيْعَةٍ بِيَدِ

---

132 الأعلام للزركلي

133 مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن للإمام الحافظ الذهبي – تحقيق أبي الوفاء الأفغاني

الرَّشِيدِ يَزْعُمُ أَنَّهُ غَصَبَهُ إِيَّاهَا، فَدَعَوْتُ النَّصْرَانِيَّ وَقَرَأْتُ قِصَّتَهُ عَلَى الرَّشِيدِ، فَقَالَ: هَذِهِ الضَّيْعَةُ لَنَا وَرِثْنَاهَا عَنِ الْمَنْصُورِ، فَقُلْتُ لِلنَّصْرَانِيِّ: قَدْ سَمِعْتَ أَفَلَكَ بَيِّنَةٌ؟ قَالَ: لا وَلَكِنْ حَلِفُهُ، فَقُلْتُ: الْحَلِفُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَحَلَفَ وَذَهَبَ النَّصْرَانِيُّ، فَأَخَافُ مِنْ تَرْكِي أَنْ أُقْعِدَ النَّصْرَانِيَّ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَجْلِسَ الْخَصْمِ".

عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ، سَمِعْتُ أَبَا يُوسُفَ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَذْكُرُونَ تَجِيزُ شَهَادَةَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ مَا يَكُونُ حَتَّى يَكُونَ؟ قَالَ: «وَيْحَكَ! هَذَا إِنْ تَابَ وَإِلا قَتَلْتُهُ».

بِشْرُ بْنُ الْوَلِيدِ، سَمِعْتُ أَبَا يُوسُفَ، يَقُولُ فِي مَرَضِهِ: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَطَأْ فَرْجًا حَرَامًا، وَأَنِّي لَمْ آكُلْ دِرْهَمًا حَرَامًا، وَأَنَا أَعْلَمُ».

ابْنُ كَأْسٍ: ثَنَا أَبُو عَمْرٍو الْقَزْوِينِيُّ، ثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ الْحَكَمِ الْعَرَبِيُّ، سَمِعْتُ أَبَا يُوسُفَ عِنْدَ مَوْتِهِ، يَقُولُ: «لَيْتَنِي مِتُّ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْفِقْهِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ دَخَلْتُ فِي الْقَضَاءِ وَلَمْ أَتَعَمَّدْ جُورًا، وَلا رَفَعْتُ خَصْمًا عَلَى خَصْمٍ مِنْ سُلْطَانٍ وَلا سُوقَةٍ».[134]

الإمام محمد بن الحسن الشيباني رضي الله عنه

محمد بن الحسن الشيباني (131 هـ-189 هـ) عالم مسلم، فقيه ومحدث ولغوي، صاحب الإمام أبي حنيفة النعمان، وناشر مذهبه، يلقب «صاحب أبي حنيفة، وفقيه العراق». ولد بواسط سنه 131 هـ، ونشأ بالكوفة، وأخذ عن أبي حنيفة بعض الفقه، وتمم الفقه على القاضي أبي يوسف، وأخذ عن سفيان الثوري

[134] مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن للإمام الحافظ الذهبي – تحقيق أبي الوفاء الأفغاني

والأوزاعي، ورحل إلى مالك بن أنس في المدينة. تولى القضاء زمن هارون الرشيد، وانتهت إليه رياسة الفقهِ بالعراق بعد أبي يوسف.[135]

والإمام محمد بن الحسن الشيباني هو مؤسس القانون الإسلامي،[136] كما أن الإمام أبو حنيفة هو مؤسس علم الفقه الإسلامي وكما أن الإمام مالك بن أنس هو مؤسس علم الحديث.

كتب الشيباني "مقدمة عن قانون الأمم" في نهاية القرن الثامن ميلادي، وهو كتاب يوفر توجيهات مفصلة عن الجهاد ضد الكفار، وتعليمات أخرى عن قوانين معاملة الرعايا من غير المسلمين. كتب الشيباني أطروحة ثانية أكثر تطوراً وتقدماً عن سابقتها، وحذى القضاة الآخرون حذوه وكتبوا عدداً من الأطروحات، والمؤلفة من مجلدات متعددة. حيث ناقشت هذه الأطروحات القانون الدولي العام والخاص[137].

ناقشت هذه الأطروحات الإسلامية المبكرة ايضاً مواضيعاً كتطبيق الأخلاق الإسلامية والاقتصاد الإسلامي والفقه العسكري الإسلامي في القانون الدولي ، كما طُرحت ايضاً مجموعة من المواضيع المتعلقة بالقانون الدولي الحديث، كالقوانين المتعلقة بالمعاهدات ومعاملة الدبلوماسيين والرهائن واللاجئين وأسرى الحرب، بالإضافة إلى القوانين المتعلقة بحق اللجوء وقانون الحرب وحماية

---

[135] سير أعلام النبلاء للذهبي

[136] Combatants، not bandits: the status of rebels in Islamic law- Cambridge University Press: 20 April 2011

[137] Weeramantry 1997

النساء والأطفال والمدنيين، والعقود التي تُجرى خلال الحرب واستخدام الأسلحة السامة وتدمير أراضي العدو[138].

علمه وفقهه

أَحْمَدُ بْنُ عَطِيَّةَ، سَمِعْتُ أَبَا عُبَيْدٍ، يَقُولُ: «مَا رَأَيْتُ أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ».

الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ، سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ، يَقُولُ: «لَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلُغَةِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ لَقُلْتُهُ لِفَصَاحَتِهِ».

أَبُو بَكْرِ بْنُ الْمُنْذِرِ، سَمِعْتُ الْمُزَنِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ، يَقُولُ: «مَا رَأَيْتُ سَمِينًا أَخَفَّ رُوحًا مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، وَمَا رَأَيْتُ أَفْصَحَ مِنْهُ، كُنْتُ إِذَا رَأَيْتُهُ يَقْرَأُ كَأَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلُغَتِهِ».

إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَمَّادِ بْنِ أَبِي حَنِيفَةَ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ: "بَلَغَنِي أَنَّ دَاوُدَ الطَّائِيَّ كَانَ يَسْأَلُ عَنِّي وَعَنْ حَالِي، فَإِذَا أُخْبِرَ قَالَ: إِنْ عَاشَ فَسَيَكُونُ لَهُ شَأْنٌ".

إِدْرِيسُ بْنُ يُوسُفَ الْقَرَاطِسِيُّ، سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ، يَقُولُ: «مَا رَأَيْتُ أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنْ مُحَمَّدٍ، كَأَنَّهُ عَلَيْهِ نَزَلَ».

138 Al-Shaybani and the Islamic Law of War- John Kelsay

الطَّحَاوِيُّ، سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دَاوُدَ الْمَكِّيَّ، سَمِعْتُ حَرْمَلَةَ بْنَ يَحْيَى، سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ، يَقُولُ: «مَا سَمِعْتُ أَحَدًا قَطُّ، كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ رَأَيْتُ أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلُغَتِهِ غَيْرَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، وَقَدْ كَتَبْتُ عَنْهُ حِمْلَ بَخْتِيٍّ».

مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الرِّقِّيُّ، حدثنَا الرَّبِيعُ، حدثنَا الشَّافِعِيُّ، قَالَ: «حَمَلْتُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ حِمْلَ بَخْتِيٍّ كُتُبًا، وَمَا نَاظَرْتُ أَحَدًا إِلا تَغَيَّرَ وَجْهُهُ، مَا خَلا مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي حَاتِمٍ».

حدثنَا الرَّبِيعُ، سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ، يَقُولُ: «حَمَلْتُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ حِمْلَ بَخْتِيٍّ، لَيْسَ عَلَيْهِ إِلا سَمَاعِي».[139]

سُلَيْمَانُ بْنُ شُعَيْبٍ الْكَيْسَانِيُّ، ثَنَا أَبِي، سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ، قَالَ: «إِذَا اخْتُلِفَ فِي مَسْأَلَةٍ، فَحَرَّمَ فَقِيهٌ وَأَحَلَّ آخَرُ، وَكِلاهُمَا يَسَعُهُ أَنْ يَجْتَهِدَ، فَالصَّوَابُ عِنْدَ اللَّهِ وَاحِدٌ حَلالٌ أَوْ حَرَامٌ، وَلا يَكُونُ عِنْدَهُ حَلالٌ وَحَرَامٌ وَهُوَ شَيْءٌ وَاحِدٌ، فَأَمَّا أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ قَدْ أَحَلَّ فَقِيهٌ وَحَرَّمَ فَقِيهٌ فِي فَرْجٍ وَاحِدٍ وَكِلاهُمَا صَوَابٌ عِنْدَ اللَّهِ، فَهَذَا مَالا يَنْبَغِي أَنْ يُتَكَلَّمَ بِهِ، وَلَكِنِ الصَّوَابُ عِنْدَ اللَّهِ وَاحِدٌ، وَقَدْ أَدَّى الْقَوْمُ مَا كُلِّفُوا بِهِ حِينَ اجْتَهَدُوا وَوَسِعَهُمْ مَا فَعَلُوا، وَهَذَا قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَبِي يُوسُفَ وَقَوْلِنَا».[140]

إِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ، سَأَلْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، وَقُلْتُ: هَذِهِ الْمَسَائِلُ الدَّقِيقَةُ مِنْ أَيْنَ لَكَ؟ قَالَ: «مِنْ كُتُبِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ».

---

[139] مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن للإمام الحافظ الذهبي – تحقيق أبي الوفاء الأفغاني

[140] مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن للإمام الحافظ الذهبي – تحقيق أبي الوفاء الأفغاني

أَبُو عَرُوبَةَ، حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ أَبِي عَمْرٍو، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ: «خَلَّفَ أَبِي ثَلاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، فَأَنْفَقْتُ خَمْسَةَ عَشْرَ أَلْفًا عَلَى النَّحْوِ وَالشِّعْرِ، وَخَمْسَةَ عَشْرَ أَلْفًا عَلَى الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ».

ابْنُ سَمَاعَةَ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ لأَهْلِهِ: «لا تَسْأَلُونِي حَاجَةً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا فَتَشْغَلُوا قَلْبِي، وَخُذُوا مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ وَكِيلِي، فَإِنَّهُ أَفْرَغُ لِقَلْبِي وَأَقَلُّ لِهَمِّي». [141]

ورعه وتقواه

قَالَ الطَّحَاوِيُّ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي عِمْرَانَ يَحْكِي، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، «أَنَّ مُحَمَّدًا كَانَ حِزْبُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ».

قَالَ أَبُو خَازِمٍ الْقَاضِي، سَمِعْتُ بَكْرًا الْعَمِّيَّ، يَقُولُ: «إِنَّمَا أَخَذَ ابْنُ سَمَاعَةَ وَعِيسَى بْنُ أَبَانَ الصَّلاةَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ».

يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الأَعْلَى، ثَنَا عَلِيُّ بْنُ مَعْبَدٍ، حَدَّثَنِي الرَّجُلُ الرَّازِيُّ الَّذِي مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ فِي بَيْتِهِ، قَالَ: "حَضَرْتُ مُحَمَّدًا وَهُوَ يَمُوتُ فَبَكَى، فَقُلْتُ لَهُ: أَتَبْكِي مَعَ الْعَمَلِ؟ فَقَالَ لِي: أَرَأَيْتَ إِنْ أَوْقَفَنِي اللَّهُ تَعَالَى، فَقَالَ: مَا أَقْدَمَكَ الرَّيّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِي أَمِ ابْتِغَاءُ مَرْضَاتِي، مَاذَا أَقُولُ؟ ثُمَّ مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ". [142]

---

[141] نفس المصدر السابق
[142] نفس المصدر السابق

الفصل الثالث أصول المذهب الحنفي ومختصر في فروعه

والمذهب الحنفي كما جميع المذاهب الفقهية يعتمد على أصول ومصادر هي التي يستند عليها في استنباط الأحكام الشرعية وعليها مدار تحرير التشريعات التفصيلية سواء في العبادات أو في المعاملات بين الناس، ورغم أن الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه لم يضع كتابا خاصا يبين أصول مذهبه في الفقه ولكن يمكن معرفة أصول مذهبه من خلال دراسة مؤلفاته ومؤلفات صاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن رضي الله عنهما وهو ما عكف عليه عدد من أئمة المذهب المتقدمين مثل الإمام فخر الإسلام علي بن محمد البزدوي وشمس الأئمة محمد بن أحمد بن أبي سهل السَّرَخْسِيّ والإمام أحمد بن علي الرازي الجصاص و نظام الدين الشاشي الحنفي وكما تم تأليف الكثير من الكتب في ذلك من قبل علماء المذهب المتأخرين، وقد رأينا أن ننقل من المتون المعتمدة في الأصول مع التصرف اليسير ترتيبا وتنظيما كتاب سمت الوصول إلى علم الأصول للإمام حسن بن طورخان الآقحِصاري الحنفي وحيث انه من الكتب المعتمدة كمدخل إلى علم الأصول عندنا في المذهب.

أصول المذهب الحنفي

أولا: القرآن الكريم وهو كلام الله المنزل على النبي محمد عليه الصلاة والسلام وأصل التشريع والمصدر الأول لاستنباط الأحكام، و الأصل عند أئمة المذهب أن أحكام آيات القرآن الكريم ساريه لا ينسخها إلا ما جاء بعدها من آيات القرآن أو السنة النبوية المشهورة والتي نقل عليها العمل من الصحابة الكرام وافاضل

التابعين، وكذلك فيما يتعلق بالعام والخاص، فأحكام القرآن العامة لا يخصصها حديث الآحاد ظني الثبوت.

ومن الأمثلة على عدم تخصيص أحاديث الآحاد للحكم العام في القرآن اشتراط البسملة في الوضوء وحيث أن آية الوضوء لا تذكر البسملة فيكون النص عليها في الحديث الوارد من طريق الآحاد يقضي باعتبارها سنة وليس شرطا لصحة الوضوء.

أما تخصيص الحديث المشهور للقرآن الكريم فمثال ذلك حكم الرجم للزاني والزانية المحصنين وحيث أن آيات القرآن الكريم تقر الجلد كعقوبة لهؤلاء الزناة ولكن تم تخصيص حكم الرجم للمحصنين منهم لما ثبتت الأحاديث المشهورة بذلك وكان عليه عمل الصحابة الكرام.

ثانيا: السنة النبوية الشريفة وهي المصدر الثاني من مصادر الشريعة، المبيّنة، و الشارحة، والمفسرة للكتاب؛ فكان أبو حنيفة رضي الله عنه يأخذ بما صح عن النبي عليه الصلاة والسلام، فإذا صح عن النبي قولان وتعارضا؛ أخذ بالأخير منهما. وهذا في السنة المتواترة والمشهورة، وكذا أخبار الآحاد، إلا إذا خالفت قياساً راجحاً؛ والقياس الراجح عن الحنفية هو الأصل العام الذي ثبتت قطعيته، وكان تطبيقه على الفرع قطعياً فحينئذ يقدم القياس، ليس عن هوى، ولا إعراض عن حديث صحيح، وإنما لمزيد من الحرص والاحتياط. ومعلوم تشدد الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه في قبول الرواية؛ صيانة لحديث النبي، أو لأن تلك الأخبار عارضت أصلاً عاماً من أصول الشرع ثبتت قطعيته، وكان تطبيقه على الفرع

قطعياً؛ فحينئذ يُضعِّف تلك الأخبار، ويحكم بالقاعدة العامة التي لا شُبهة فيها عنده.

فالإمام رضي الله عنه يحتج بأحاديث الآحاد فيما لم يرد فيه حكم في القرآن والسنة المشهورة ولو كان الحديث مرسلا (إذا ثبت عنده عدالة من ارسله).

ثالثا: الإجماع وهو إما اجماع الصحابة رضوان الله عليهم وحيث ان الإمام يقدم اجماع الصحابة مطلقا على القياس فيما لم يرد فيه قرآن أو سنة وكذلك يقدم اقوال فقهاء الصحابة على القياس أما ما انفرد به عوام الصحابة فينظر فيه ومدى موافقته للقياس الصحيح على الأصول السابقة. وكذلك إجماع علماء التابعين من الثقات على الحكم الشرعي سواء في المسائل المستنبطة من النصوص الشرعية أو التي لم يرد فيها نص صريح من القرآن والسنة، والإمام يقدم إجماع هؤلاء الفقهاء على القياس في معظم المسائل.

ويندرج الأصل السادس وهو العرف في هذا الأصل في معظم كتب أصول الفقه عند الحنفية (كأن العرف فرع عن الإجماع وليس أصلا مستقلا بذاته).

رابعا: القياس وهو حمل معلوم على معلوم في إثبات حكم لهما أو نفيه عنهما بأمر جامع بينهما من اثبات حكم لهما أو نفيه عنهما، ورغم توسع الإمام رضي الله عنه في القياس ولكن يحسب لعلماء المذهب الحنفي باستحداث شروط قاسية يجب توافرها لاستخدام القياس ومنها أن تكون الأحكام ذات علة مشار إليها في النص الشرعي وليست من النصوص التعبدية كعدد الركعات في كل صلاة

وطواف الحج وغيرها وأما النصوص المعللة فينظر بهذه العلة ويقاس الحكم في المسائل التي لم يرد فيها النص على هذه العلة.

ومن امثلة تشدد الحنفية في القياس قول الجصاص رحمه الله (انا لا نبتدئ إيجاب حد بقياس)[143] فلا يوجب الحنفية حد الزنا في غير الزنا قياساً، ولا يثبتون حد السرقة في غير السرقة من نحو المختلس والمنتهب والخائن والغاصب قياساً على السارق.

ويندرج الأصل الخامس وهو الاستحسان في هذا الأصل في معظم كتب أصول الفقه عند الحنفية.

خامسا: الاستحسان وهو أن يعدل المجتهد عن أن يحكم في المسألة بمثل ما حكم به في نظائرها، لوجه أقوى يقتضي العدول عن الأول، وقد أكثر الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه من الإستحسان واشتهر به حتى قال الإمام محمد بن الحسن: (إن أصحابه كانوا ينازعونه المقاييس، فإذا قال استحسن لم يلحق به أحد، ولقد كان يقس ما استقام له القياس ولم يقبح، فإذا قبح القياس استحسن، ولاحظ تعامل الناس).

ويقسم الحنفية الاستحسان إلى قسمين، كالآتي:

1- استحسان القياس: وهو أن يكون في المسألة وصفا يقتضيان قياسين متباينين أحدهما ظاهر متبادر، وهو القياس الاصطلاحي، والآخر خفي يقتضي إلحاقها بأصل آخر فيسمى استحساناً.

---

143 اصول الجصاص

وبيان ذلك: أن الاستحسان في الحقيقة قياسان: الأول جلي ضعيف الأثر فيسمى قياساً، والآخر خفي ولكنه قوي الأثر فيسمى استحساناً، أي قياساً مستحسناً، فالترجيح صار بالأثر لا بالخفاء والوضوح.

2- أن يكون الداعي للاستحسان علة خفية أقوى أثرا من العلة الظاهرة، ويقسم هذا النوع إلى ثلاث أقسام كالآتي:

أ- استحسان السنة: وهو أن يثبت من السنة ما يوجب رد القياس، فإن القياس يوجب إفطار من أكل وشرب ناسيا وهو صائم، ولكن الخبر المروي عن أبي هريرة دل على عدم فطره، فهذا يعتبر استحسان السنة، لما فيه من تقديم الخبر على القياس.

ب-استحسان الإجماع: وهو أن يترك القياس في المسألة لانعقاد الإجماع على غير ما يؤدي إليه القياس، كإجماع المسلمين على صحة الاستصناع، مع أن القياس يوجب بطلانه لأن محل العقد معدوم وقت إنشاء العقد.

ت-استحسان الضرورة: وهو أن توجد ضرورة تحمل المجتهد على ترك القياس والأخذ بالاستحسان، ومثاله: تطهير الآبار، فإنه لا يمكن تطهيرها إذا أخذنا بالقياس، لأن الماء إذا دخل في البئر النجس سيتنجس بملاقاته النجاسة، وسيتنجس الدلو ايضا، ولكن الاستحسان ترك العمل بموجب هذا القياس للضرورة المحوجة.

سادسا: العرف وهو مصدر من مصادر استنباط الأحكام عند الحنفية وجمهور الفقهاء، والقاعدة المتفق عليها أن: "الثابت بالعرف ثابت بدليل شرعي" ويستدل

على مشروعية العرف بما روي عن ابن مسعود موقوفاً أنه قال: "ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن"

وقال سهل بن حزام (كلام أبي حنيفة أخذ بالثقة وفرار من القبح، والنظر في معاملات الناس، ما استقاموا عليه وصلحت عليه أمورهم، يمضي الأمور على القياس، فإذا قبح القياس، يمضيها على الاستحسان ما دام يمضى له، فإذا لم يمض له رجع إلى ما يعامل به المسلمون).

والعرف نوعان: عام وخاص، فالعرف العام هو ما ذاع وانتشر بين الناس ولم يخالف نصاً شرعياً أو قاعدة في الدين، فهذا الذي يترك القياس ويأخذ به، ويخص به الأثر، ومثاله الاستصناع فإن القياس عدم جوازه ولكن العرف قد أقره وتعامل به الصحابة رضي الله عنهم.

وينقسم العرف إلى: صحيح وهو ما وافق النص، وفاسد وهو ما جاء النص بخلافه، ومرسل وهو الذي سكت عنه النص فحكمه الإباحة ما لم يخالف قواعد الشرع.

شرح أصول المذهب الحنفي

الباب الأول : الأصول

الأصل الأول: الكتاب

الكتاب، وهو القرآن المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم، المنقول عنه متواتراً، وهو نظم ومعنى معاً.

وأقسامهما أربعة:

القسم الأول: في وجوه النظم وهي أربعة الخاص والعام والمشترك والمؤول.

أولا: الخاص

أما الخاص: فهو ما وضع لمعنى معلوم على الانفراد.جنساً كإنسان، أو نوعاً كرجل،أو عيناً كزيد.

وحكمه: أن يتناول المخصوص قطعاً بلا احتمل بيان.

أ- الأمر أما الأمر: وهو قول القائل لغيره على سبيل الاستعلاء) إفعل (كقوله تعالى :

(اركعوا واسجدوا)(الحج: 77)، فلا يجوز إلحاق التعديل على سبيل الفرض. ويختص صيغة لازمة فلا يكون الفعل موجباً.

وموجبه: الوجوب سواء كان بعد الحظر أو قبله، ولا يقتضي التكرار ولا يحتمله، سواء كان تعلق بشرط كقوله تعالى (وإن كنتم جنبا فاطهروا)(المائدة:6)، أو اختص بوصف كقوله تعالى(أقم الصلاة لدلوك الشمس)(الإسراء: 78)، فيقع على أقل جنسه، كطلقة واحدة في قوله (طلقي نفسك) ويحتمل كله على الصحيح فيقع بنية.

وحكم الأمر نوعان وهما الأداء والقضاء:

1- أداء: وهو إقامة الواجب به، كالصلاة الوقتية.

2- قضاء: وهو تسليم مثله به، كالفائته.

ويتبادلان مجازا، فيؤديان بنيتهما على الصحيح، ويجبان بسبب واحد عند الجمهور.

والأداء ثلاثة:

أ- كامل: وهو ما يؤدى بوصفه كما شرع، كالصلاة بجماعة.

ب- قاصر: وهو الناقص عن صفته، كالصلاة منفردا.

ج- شبيه بالقضاء: كفعل اللاحق بعد فراغ الإمام.

والقضاء ثلاثة أيضا:

أ- بمثل معقول: كالصوم للصوم.

ب- بمثل غير معقول: كالفدية له (أي للصيام).

ج- قضاء بمعنى الأداء: كقضاء تكبيرات العيدين في الركوع.

ثم ينقسم الأمر إلى نوعان من حيث الوقت:

1- مطلق عن الوقت، كالزكاة، فلا يوجب الأداء على الفور على الصحيح.

2- مقيد به (أي بالوقت)، وهو أربعة:

الأول: أن يكون الوقت ظرفا للمؤدى، وشرطا للأداء، وسببا للوجوب، كالصلاة الوقتية.

ومن حكمه: اشتراط نية التعيين، ولا يسقط بضيق الوقت، ولا يتعين بعضه إلا بالأداء.

الثاني: أن يكون معيارا له، وسببا لوجوبه، كصوم رمضان.

ومن حكمه: نفي غيره فيصام بمطلق الإسم، ومن الخطأ في الوصف إلا في مسافر ينوي واجبا آخر عند أبي حنيفة رضي الله عنه. وفي النفل عنه روايتان، ويقع صوم المريض عن فرضه في الصحيح.

الثالث: أن يكون معيارا لا سببا، كقضاء رمضان. ويشترط فيه نية التعيين، ولا يحتمل الفوات.

الرابع: أن يكون مشكلا، كالحج. وحكمه تعيين أدائه في أشهره.

والحُسن لازم للمأمور به، وهو:

- إما لمعنى في عينه، ولا يقبل السقوط أو يقبله، وهو نوعان: أحدهما، لمعنى في وصفه كالصلاة، والآخر ملحق بهذا القسم مشابه للحسن لمعنى في غيره كالزكاة، وحكم النوعين واحد.

- إما لمعنى في غيره، وهو نوعان: أحدهما ما لا يؤدى بالمأمور به كالوضوء، والآخر ما يؤدى به كإقامة الحدود. وحكمهما واحد ايضا.

ب- النهي: وهو قول القائل لغيره على سبيل الاستعلاء (لا تفعل). وينقسم في صفة القبح كالأمر في الحسن:

1- ما قبح لمعنى في عينه، وضعا كالكفر، وشرعا كبيع الحر.

2- ما قبح لمعنى في غيره، وصفا كصوم يوم النحر، ومجاورا كالبيع وقت النداء.

فالنهي عن الأفعال الحسية من القسم الأول، وعن الشرعية من الثاني. وقيل الأمر بالشيء نهي عن ضده وبالعكس، والمختار أنه يقتضي كراهة ضده. والنهي عن الشيء يقتضي ضده في معنى سنة واجبة. والكفار مخاطبون بالإيمان وبالأخلاق، ولا يخاطبون بأداء ما يحتمل السقوط من العبادات في الصحيح.

ثانيا: العام

وأما العام: فهو ما يتناول أفرادا متفقة الحدود على سبيل الشمول. وحكمه: إيجاب الحكم فيما يتناوله قطعا، حتى جاز نسخ الخاص به كما نسخ حديث العرنيين بقوله صلى الله عليه وسلم (استنزهوا من البول).

وعمومه قد يكون:

1- بالصيغة والمعنى معا كرجال.

2- بالمعنى وحده كقوم.

ثالثا: المشترك

وأما المشترك: فهو ما يتناول أفرادا مختلفة الحدود بالبدل، كالقرء للحيض والطهر. وحكمه التأمل فيه ليترجح بعض وجوهه للعمل به، ولا عموم له.

رابعا: المؤول

وأما المؤول: فهو ما ترجح من المشترك بعض وجوهه بغالب الرأي، كالقرء للحيض. وحكمه وجوب العمل به على احتمال الغلط.

القسم الثاني: في وجوه البيان بذلك النظم وهو اربعة ايضا وهي الظاهر والنص والمفسر والمحكم ولهذه الأربعة اربعة تقابلها وهي الخفي والمشكل والمجمل والمتشابه.

اولا: الظاهر

وأما الظاهر: فهو كلام ظهر المراد منه بصيغته، كقوله تعالى (أحل الله البيع)(البقرة:275)، فإنه ظاهر في إحلال البيع. وحكمه وجوب العمل بما ظهر منه.

ثانيا: النص

وأما النص: فهو ما ازداد وضوحا على الظاهر بمعنى من المتكلم، كقوله تعالى (وحرم الربا)(البقرة: 275) بعد قوله (أحل الله البيع)(البقرة: 275)، وحكمه وجوب العمل بما وضح على احتمال تأويل هو في حيز المجاز.

ثالثا: المفسر

وأما المفسر: فهو ما ازداد وضوحا على النص من غير احتمال تأويل وتخصيص، كقوله تعالى (فسجد الملائكة كلهم أجمعون)(ص: 73)، وحكمه وجوب العمل به على احتمال النسخ.

رابعا: المحكم

وأما المحكم: فما أحكم المراد به عن احتمال النسخ والتبديل، كقوله تعالى (إن الله بكل شيء عليم)(الأنفال: 75)، وحكمه وجوب العمل به من غير احتمال النسخ.

والأربعة المقابلة لها:

أولا: الخفي

وأما الخفي: فهو ما خفي المراد منه بعارض، يحتاج إلى الطلب، كآية السرقة في قوله تعالى (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما)(المائدة: 38)، في حق الطرار والنباش. وحكمه النظر فيه ليعلم أن اختفاءه بمزية أو بنقصان فيظهر منه المراد.

ثانيا: المشكل

وأما المشكل: فهو ما دخل في أشكاله لدقة المعنى في نفسه، كقوله تعالى (ليلة القدر خير من ألف شهر)(القدر: 3)، وحكمه اعتقاد حقية المراد والتأمل فيه إلى أن يتبين به كما تأملنا في قوله تعالى (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم)(البقرة: 223).

ثالثا: المجمل

وأما المجمل: فما ازدحمت فيه المعاني واشتبه المراد به فاحتاج إلى الطلب والاستفسار، وحكمه اعتقاد الحقية والتوقف إلى أن يتبين مراده، كالصلاة والزكاة.

رابعا: المتشابه

وأما المتشابه: فما لم يرج بيان مراده لشدة خفائه، كالمقطعات في أوائل السور، وحكمه التوقف فيه أبدا مع اعتقاد حقية المراد.

القسم الثالث: في وجوه استعمال ذلك النظم وهو اربعة ايضا وهي الحقيقة والمجاز والصريح والكناية.

أولا: الحقيقة

أما الحقيقة: فهي اسم لكل لفظ أريد به ما وضع له.

وحكمها وجود ما وضع له خاصاً كان أو عاماً، كقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا)(الحج: 77).

ثانيا: المجاز

وأما المجاز: فهو اسم لما أريد به غير ما وضع له لمناسبة بينهما.

وحكمه وجود ما استعير له؛ خاصا كان كقوله تعالى: (أَوْ لَا مَسْتُمُ النِّسَاءَ)(النساء: 43)، أو عاماً كحديث ابن عمر رضي الله عنه في الصاع (وهو قوله: (لا تبيعوا الدرهم بالدرهمين ولا الصاع بالصاعين))، ومن حكمهما استحالة اجتماعهما مرادين بلفظ واحد، ومتى أمكن العمل بها سقط المجاز.

وقد يتعذران معاً إذا كان الحكم ممتنعاً، كما في قوله لامرأته : (هذه بنتي) وهي معروفة النسب تولد لمثله أو أكبر سناً منه حتى لا تقع الحرمة بذلك أبداً. وهي إذا قل استعماله صارت مجازاً، وهو إذا كثر استعماله صار حقيقة.

قرائن العمل بالمجاز :

وهي (أي الحقيقة) قد تترك؛

1 - بدلالة العادة، (كالنذر بالصلاة).

2- وبدلالة اللفظ نفسه، كما إذا حلف لا يأكل لحما (فلا يتناول لحم السمك)،

3 - وبدلالة سياق النظم، كقوله (طلق امرأتي (فحقيقة هذا الكلام توكيل، لكن تركت بقرينة قوله : إن كنت رجلا).

4 - وبدلالة معنى يرجع إلى المتكلّم، كما في يمين الفور (سمي هذا اليمين بذلك الاسم باعتبار فوران الغضب) كقوله لامرأته حين قامت للخروج: أنتِ طالق إن خرجتِ)(فإنه يقع على تلك الخرجة فقط) حتى لو رجعت ثم خرجت لا تطلق (لأن حقيقة هذا الكلام هي العموم وقد تركت بدلالة حال المتكلم وهي الغضب).

5 - وبدلالة محل الكلام، كقوله : (إنما الأعمال بالنيات)، (و رفع عن أمتي الخطأ والنسيان) ثم كل منهما؛ إن كان في نفسه بحيث لا يستتر المراد فصريح؛ وإلا فكناية. فالحقيقة –التي هجرت وغلب معناها المجازي - كنايةٌ ، والمجاز الغالب الاستعمال صريح، وغير الغالب كناية.

ثالثا: الصريح

وأما الصريح: فما ظهر المراد منه ظهوراً بيناً؛ حقيقةً كان كقوله : (أنت طالق) و (أنت حر)، أو مجازاً كقوله: (لا آكل من هذه الحنطة). وحكمه: ثبوت موجبه (اي موجب الكلام الصريح) مستغنياً عن العزيمة (أي النية).

رابعا: الكناية

وأما الكناية: فما لم يظهر المراد به إلا بقرينة؛ حقيقة كان كالفاظ الضمير، أو مجازاً كقوله (اي: لامرأته):

(أنت حرام)(أو بائن، أو برية). وحكمها: عدم وجوب العمل بها بدون النية أو ما يقوم مقامها.

والأصل في الكلام الصريح، لاشتباه المراد في الكنايات. يظهر هذا التفاوت بين (الصريح والكناية) فيما يندرئ بالشبهات.

القسم الرابع: في وجوه الوقوف على أحكام النظم وهو أربعة ايضاً:

أولا: الاستدلال بعبارة النص

الاستدلال بعبارة النص: فهو العمل (أي عمل المجتهدين وهو إثبات الحكم) بظاهر ما سيق لأجله الكلام (فالاستدلال في إباحة النكاح بقوله: (فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ)(النساء: 3)، استدلال بعبارة النص).

ثانيا: الاستدلال بإشارة النص

الاستدلال بإشارة النص: وهو العمل بما ثبت بنظم الكلام لغة غير مقصود به (اي: بنظم الكلام) كقوله تعالى: (وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ)(البقرة: 233)، سيق لإثبات النفقة وفيه إشارة إلى أن النسب إلى الآباء.

و للإشارة عموم كما للعبارة. فهما سواء في إيجاب الحكم، والأول أحق عند التعارض.

ثالثا: الثابت بدلالة النص

الثابت بدلالة النص: وهو ما ثبت بمعنى النص لغة، الثابت بمعنى النهي وهو قوله تعالى:(فَلَا تَقُلْ هُمَا أُفٍّ)(الإسراء: 23))، عن التأفيف (وهو تلفظ كلمة (أف)). والثابت بدلالته كالثابت بهما إلا عند التعارض، ولا يحتمل التخصيص، إذ لا عموم له.

رابعا: الثابت باقتضاء النص

الثابت باقتضائه (اي: بمقتضى النص): وهو حكم لم يعمل النص في إثباته (اي: في إثبات ذلك الحكم) إلا بشرط تَقَدَّم على النص، كثبوت الملك بالبيع الثابت بقوله : (فهو حرا، في جواب من قال: بعت منك هذا العبد بكذا ، فيعتق (لثبوت الملك اقتضاء).

والثابت به (اي: باقتضاء النص) كالثابت بدلالته (في كونه مضافاً إلى النص ومقدماً على القياس) إلا عند التعارض، ولا عموم له ايضاً.

والتنصيص على الشيء باسمه الدال على ذاته لا يدل على التخصيص عندنا.

أحكام المطلق والمقيد

والمطلق لا يحمل على المقيد في حكمين.

والقِرانُ في النظم (اي: الجمع بين الكلامين بحرف الواو) لا يوجب القران في الحكم لأن عطف الجملة على الجملة لا يوجب الشركة إذا كانت تامة، كقوله :

(إن دخلت الدار فأنت طالق وزينب طالق، فزينب تطلق في الحال؛ لأنه كلام تام لا يحتاج إلى الاشتراك في التعليق). والجمع المضاف إلى جماعة يقتضي مقابلة الآحاد بالآحاد.

الأصل الثاني: السنة

السنة؛ وهي ما روي عن النبي قولاً وفعلاً وحالاً، سواء كان بوحي ظاهر أو باطن، والظاهر هو (على ثلاثة أنواع):

1 - ما ثبت بلسان الملك (وهو الروح الأمين؛ أي ما سمعه الرسول من الملك بعد علمه بأنه مبلغ نازل

بالوحي)،

2 - أو بإشارته (أي إشارة الملك من غير بيان الكلام)،

3 - أو ظهر في قلبه بأن رآه بنور من عند الله كما قال تعالى (لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ)(النساء: 105).

أما الباطن وهو ما وقع باجتهاده بالتأمل في الأحكام وهو الإلهام.

والسنة على قسمين: أحدهما ما روي عنه متصلاً، والآخر ما روي منقطعاً.

أنواع المتصل

المتصل على ثلاثة أقسام متواتر ومشهور وخبر الواحد؛

1 - **المتواتر**: إما أن يكون اتصاله بنا من الرسول صلى الله عليه وسلم كاملاً (اي: لا يكون في اتصاله شبهة صورة ولا معنى) فهو المتواتر، وهو الخبر الكامل الذي رواته قوم لا يحصى عددهم ولا يتوهم تواطؤهم على الكذب، كنقل القرآن والصلوات الخمس وهو (اي: المتواتر) يوجب علم اليقين (كما يوجب الحس علماً ضرورياً حتى يكفر جاحده؛ لأنه بخروج رواته عن العد ابتداءً وانتهاءً صار بمنزلة المسموع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكذيبه كفر).

2 – **المشهور**: أو يكون في اتصاله شبهةً صورةً فهو المشهور، وهو الخبر الذي يكون من الآحاد في الأصل (اي: في القرن الأول، وهو قرن الصحابة) ثم انتشر حتى نقله قوم لا يتوهم تواطؤهم على الكذب من القرن الثاني ومن بعدهم وهو دون المتواتر (وفوق الواحد، حتى جاز الزيادة به على كتاب الله لكن لا يكفر جاحده، بل يضلل في الصحيح) ويوجب علم الطمأنينة.

3 - **الخبر الواحد**: وهو أن يكون فيه شبهة صورةً ومعنى (أما صورة: فلأن اتصاله بالرسول لم يثبت قطعاً، وأما معنى فلأن الأمة ما تلقته بالقبول) فهو الخبر الواحد، وهو كل خبر يرويه الواحد أو الاثنان لا عبرة للعدد بعد كونه دون المتواتر والمشهور. وهو يوجب العمل دون العلم (اي: لا يوجب الاعتقاد، فلا يكفر جاحده، ولا يضلل لكن يجب العمل به).

أنواع المنقطع

وأما المنقطع ؛ فهو على نوعين ظاهر وباطن.

1 - **أما الظاهر** : فهو المرسل (الإرسال أن يترك الواسطة التي بينه وبين رسول الله ، ويقول الراوي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا ولم يذكر الإسناد).

وهو (اي: المرسل) على أربعة أوجه:

الأول: ما أرسله القرن الأول (وعلم إرسالهم بإخبارهم أنهم لم يسمعوه عن النبي صلى الله عليه وسلم وأن بينه وبينهم رجالاً) وهو مقبول بالإجماع (لإجماعهم على عدالتهم).

الثاني: ما أرسله القرن الثاني والثالثُ (وهو حجة عند الحنفية؛ لأنه لا فرق بين إرسال الصحابة والتابعين؛ لأن عدالتهم ثبتت بشهادة النبي) .

الثالث: ما أرسله العدلُ في كل عصر غير القرن الثاني والثالث وهو حجة عند الكرخي (لأن علة القبول في القرون الثلاثة هي العدالة والضبط خلافاً لابن أبان (فإنه عنده ليس بحجة؛ لأن الزمان زمان الفسق وفشو الكذب فلا بد من البيان).

الرابع: ما أرسله من وجه وأسند من وجه (كحديث (لا نكاح إلا بولي) رواه إسرائيل بن يونس مسنداً وشعبه مرسلاً)، وهو مقبول عند الأكثر (لأن المرسل ساكت عن حال الراوي والمسند ناطق،والساكت لا يعارض الناطق).

2 - **أما الباطن:** فهو على وجهين:

أحدهما: المنقطع لنقص الناقل (كفوات بعض شرائطه من العدالة والإسلام والضبط والعقل).

وثانيهما: المنقطع لمعارض؛

أ- من الكتاب كقوله : (لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب، فإنه منقطع لمخالفته لعموم قوله تعالى (فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ)(المزمل: 20))،

ب- أو السنة المعروفة (مثل ما روي عن ابن عباس : (أنه صلى الله عليه وسلم قضى بشاهد ويمين)، فإنه مخالف للحديث المشهور وهو قوله : (البينة على المدعي واليمين على من أنكر))،

ج- أو الحادثة المشهورة (مثل ما روى أبو هريرة : أنه صلى الله عليه وسلم كان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة، فإنه لما انفرد مع اشتهار الحادثة لم يعمل به فكان منقطعاً).

د- أو أعرض عنه الصدر الأول (اي: الصحابة، مثل ما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: (ابتغوا في مال اليتامى خيراً) كيلا تأكله الصدقة، فإن الصحابة اختلفوا في وجوب الزكاة في مال الصبي وأعرضوا عن الاحتجاج بهذا الحديث، فدل على أنه غير ثابت أو مؤول تأويله : أن المراد بالصدقة، النفقة، كما قال صلى الله عليه وسلم : (نفقة المرء على نفسه وعياله صدقة)).

وكلاهما مردودان (أي المنقطع لنقص الناقل والمنقطع لمعارض)، (أما الأول فالإختلال السند بنقص الناقل، وأما الثاني فللمخالفة المذكورة).

شروط الراوي

ثم اعلم أن الخبر إنما يُجعل حجةً بشرائط في الراوي وهي أربعة:

الأول: العقل؛ وهو نور يضيء به طريق يبتدأ به من حيث ينتهي إليه دركُ الحواس. وشُرِط منه (أي من العقل في قبول الخبر) الكامل؛ كعقل البالغ دون القاصر منه؛ كعقل الصبي.

الثاني: الضبط ؛ وهو سماع الكلام بفهم معناه الذي أريد به (مع فهم معناه المراد، لغوياً كان أو شرعياً) وبذل المجهود في حفظه إلى حين أدائه.

الثالث : كمال العدالة؛ وهو ههنا رجحان جهة الدين والعقل على جهة الهوى والشهوة، حتى لو ارتكب كبيرة أو أصرّ على صغيرة سقطت عدالته.

الرابع الإسلام؛ وهو التصديق والإقرار بالله تعالى كما هو واقع بأسمائه وصفاته وقبول شرائعه. وشُرط فيه (اي: في الإقرار) البيان إجمالاً (كأن يقر بكل ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم).

ثم الراوي إن عُرف بالفقه (اي: صار معروفاً به) والتقدم في الاجتهاد كالخلفاء الراشدين والعبادلة (عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم)؛ فحديثه حجة يترك به القياس.

وإن كان الراوي مجهولاً بأن لم يُعرف إلا بحديث أو حديثين كوابصة بن معبد، فإن روى عنه السلف وشهدوا بصحبته وعملوا به أو اختلفوا في قبول حديثه مع

نقل الثقات عنه صار كالعدل، أو سكتوا عن الطعن بعدما بلغهم روايتهم صار كالمعروف، وإن لم يظهر من السلف إلا الرد كان مستنكراً (لأن أهل الحديث والفقه لم يعرفوا صحته، فلا يقبل ولا يعمل به)، وإن لم يظهر رد في حقه ولا قبول جاز العمل به (اي: إذا لم يخالف القياس) ولا يجب.

نقل الحديث بالمعنى

ثم الحديث: إن كان محكماً يجوز نقله بالمعنى لمن له علم في وجوه اللغة، وإن كان ظاهراً (اي: معلوم المعنى لكن يحتمل غير المعنى؛ كأن يكون حقيقة تحتمل المجاز) لا يجوز نقله إلا للفقيه المجتهد، وما كان من جوامع الكلم أو المشكل أو المشترك أو المجمل لا يجوز نقله بالمعنى للكل (أي : للمجتهد وغيره).

أفعاله عليه السلام

و مما يتصل بالسنن أفعاله صلى الله عليه وسلم (التي يقتدى به فيها) سوى الزلة واختلف فيها (اي: أفعاله) والصحيح: أن كل ما عُلم منها على أي جهة فَعَله يُقتدى به في أتباعه على تلك الجهة حتى يقوم الدليل المانع الموجب للاختصاص، وما لم يعلم فعله يقال : فَعَله على الإباحة وهو أدنى منازل أفعاله.

شرع من قبلنا

ثم الصحيح أن كل ما قصه الله تعالى أو رسوله علينا من شرائع من قبلنا من الأنبياء والأمم من غير إنكار على أنه شريعة لنبينا صلى الله عليه وسلم يلزمنا (أي : يلزم المسلمين اتباعه ما لم يقم الدليل على نسخه).

قول الصحابي

ويجب تقليد الصحابي في الدليل حتى يُترك به قياس التابعين ومن بعدهم. وعند الكرخي: لا يجب إلا فيما لا يُدرك بالقياس. ويجوز تقليد تابعي ظهر فتواه في زمان الصحابة هو الأصح .

أنواع الخبر

ثم ما يختص بالسنة قسمان:

القسم الأول: في بيان نفس الخبر وهو أربعة أنواع:

الأول: ما يحيط العلم بصدقه ؛ كخبر الرسل عليهم السلام، وحكمه اعتقاد حقية المراد والائتمار به.

الثاني: ما يحيط العلم بكذبه؛ كدعوى فرعون الربوبية، وحكمه خلاف الأول.

الثالث: ما يحتملهما على السواء؛ كخبر الفاسق، وحكمه التوقف فيه.

الرابع: ما يرجح أحد احتماليه على الآخر؛ كخبر العدل المستجمع بشرائط الرواية، وحكمه العمل به دون الاعتقاد.

القسم الثاني: في بيان ما جعل الخبر فيه حجة، وهو أربعة ايضًا**:**

الأول: ما هو من حقوق الله تعالى، فخبر الواحد فيه حجة، خلافًا للكرخي في العقوبات.

الثاني: ما هو من حقوق العباد وفيه إلزام محض ؛ كالبيوع ونحوها (اي: الأشرية و الأملاك المرسلة وغيرها)، فشرط فيه العدد، و لفظ الشهادة والولاية (أي الحرية)، وسائر شروط الأخبار .

الثالث: ما لا إلزام فيه أصلاً؛ كالوكالات ونحوها (أي المضاربات والشركات)، فشرط فيه التمييز فقط.

الرابع: ما فيه إلزام بوجه دون وجه ؛ كعزل الوكيل ونحوه، فشرط فيه أحد شرطي الشهادة: العدد أو العدالة عند أبي حنيفة رضي الله عنه .

أوجه البيان

واعلم أن هذه الأدلة (اي: الكتاب والسنة) تحتمل البيان وهو قد يكون:

1- للتقرير؛ وهو تأكيد الكلام بما يقطع احتمال المجاز والخصوص كقوله تعالى: (وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ)(الأنعام: 38)، وقوله: (فَسَجَدَ المَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ)(الحجر: 30).

2 - وللتفسير؛ وهو كبيان المجمل والمشترك، ويصح موصولاً (بلا خلاف) ومفصولاً (خلافاً لبعض المتكلمين).

3- وللتغيير؛ وهو كالتعليق بالشرط والاستثناء، ويصح موصولاً فقط (بإجماع الفقهاء).

4 - وللضرورة؛ وهو كبيان يقع بما لم يوضع له.

5- وللتبديل؛ وهو النسخ وهو في حق الشارع بيان لمدة الحكم المطلق المعلوم عند الله تعالى.

أنواع المنسوخ

1- **ويجوز نسخ التلاوة والحكم**؛ كما نسخ من القرآن بالإنساء في حياته صلى الله عليه وسلم.

2- **ونسخ الحكم وحده**؛ كقوله تعالى: (لَكُمْ دِينَكُمْ وَلِيَ دِينِ)(الكافرون: 6) .

3- **ونسخها دونه (أي دون الحكم)**؛ كقراءة (فَاقْطَعُوا أَيمانهما)(المائدة: 38).

ونسخ كل من الكتاب والسنة بالآخر وفاقاً وخلافاً، والقياس لا يصلح ناسخاً للكتاب ولا للسنة والإجماع؛ لأن الصحابة أجمعوا على ترك الرأي بالكتاب والسنة. وكذا الإجماع عند الجمهور لا يجوز أن يكون ناسخاً.

الأصل الثالث: الإجماع

الإجماع؛ وهو اتفاق المجتهدين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم في عصر على أمر ديني. وشرطه إجماع الكل. وحكمه أن يثبت به المراد على سبيل اليقين.

مراتب الإجماع

وهو على مراتب بعضها فوق بعض في القوة، فالأقوى نصاً :

أولا: إجماع الصحابة، فإنه مثل الآية والخبر المتواتر حتى يكفر جاحده.

ثانيا: الإجماع الذي نص البعض من الصحابة وسكت الباقون يسمى إجماعاً سكوتياً.

ثالثا: إجماع أهل كل عصر بعد الصحابة على حكم لم يظهر فيه خلاف من سبقهم فإنه بمنزلة الخبر المشهور.

رابعا: إجماعهم على قول من سبقهم فيه مخالف فهو بمنزلة أخبار الآحاد.

واختلاف الأمة على أقوال، إجماع على أن ما عداها باطل (لا يجوز لمن بعدهم إحداث قول آخر). وقيل : هذا في الصحابة خاصة .فإذا انتقل إلينا إجماع السلف (اي: الصحابة) بإجماع كل عصر على نقله كان كنقل الحديث المتواتر. وإذا انتقل بالأفراد كان كنقل السنة بالأفراد. والداعي (اي: الباعث والمستند للإجماع) قد يكون من الكتاب وأخبار الآحاد والقياس.

الأصل الرابع: القياس

وهو إبانة (اي: إظهار) مثل حكم أحد المذكورين بمثل علته في الآخر. وقيل القياس تقدير الفرع بالأصل في الحكم والعلة.

شروط القياس

وشروط القياس أربعة:

الأول: أن لا يكون المقيس عليه (اي محل الحكم) مخصوصاً بحكمه بنص آخر .

الثاني: أن لا يكون (المقيس عليه) معدولاً به عن سنن القياس.

الثالث: أن يتعدى الحكم الشرعي الثابت بالنص بعينه إلى فرع هو نظيره ولا نص فيه.

الرابع: أن يبقى حكم النص بعد التعليل على ما كان قبله.

أركان القياس

وركنه وصفٌ جُعل عَلَماً على حكم النص مما اشتمل عليه النص وجعل الفرع نظيراً للنص في حكمه بوجود ذلك الوصف في الفرع. وحكمه: تعدية حكم النص إلى ما لا نص فيه ليثبت فيه بغالب الرأي.

أنواع القياس

1 - **إما جلي**: وهو ما تسبق إليه الأفهام (كقياس الأرز ونحوه على الحنطة في حرمة التفاضل بعلة القدر والجنس).

٢ - **وإما خفي** : وهو ما يكون بخلافه (كما في طهارة سؤر سباع الطير، فإن قياس الجلي يقتضي نجاسته؛ لأن لحمه حرام كسؤر سباع البهائم، وفي القياس

الخفي طاهر؛ لأن سباع البهائم ليست بنجسة العين، ونجاسة سؤرها باعتبار أنها تأكل بلسانها فيختلط لعابها النجس بالماء)، ويسمى (القياس الخفي) **استحساناً؛** إلا أن الاستحسان أعم من القياس الخفي؛ فإن كل قياس خفي استحسان بغير عكس. قد يطلق ايضاً على ما ثبت بالأثر والإجماع والضرورة كالسلم والاستصناع وتطهير الأواني. وفي الأغلب إذا ذكر الاستحسان يراد به القياس الخفي. ثم هو إذا قوي أثره يقدم على القياس. وأما إذا ظهر أثره وخفي فساده فالقياس يقدم عليه.

باب الاجتهاد

الاجتهاد: بذل الوسع في استخراج الأحكام من الأدلة الشرعية.

وشرطه أن يحوي المجتهد:

1- علم الكتاب بمعانيه (اللغوية والشرعية) ووجوهه (مثل : الخاص والعام)،

2- وعلم السنة بطرقها،

3- ووجوه القياس مع شرائطه.

وحكمه: الإصابة بغالب الرأي.

التعارض بين الأدلة

فإذا وقع التعارض بين الحجج بالنسبة إلينا فحكمه؛

1- بين الآيتين؛ المصير إلى السنة.

2- وبين السنتين؛ فالمصير إلى أقوال الصحابة أو القياس.

3- وبين القياسين؛ يترجح أحدهما إن أمكن، فيعمل المجتهد بأيهما شاء بشهادة قلبه،

4- وإذا عجز عن المصير يجب تقرير الأصول. ثم إذا كان في أحد الجزئين زيادة والراوي واحد يؤخذ بالمثبت للزيادة (اي: يعمل بالخبر الذي فيه زيادة). وإذا اختلف الراوي جعل كالخبرين وعمل بهما ؛ عملاً بـ (أن المطلق لا يُحمل على المقيد في حكمين).

الباب الثاني: في الأحكام

الباب الثاني: فيما ثبت بالأصول، وهو الأحكام المشروعة وغيرها وما تتعلق هي به؛

وهو أربعة فصول:

الفصل الأول: العزيمة وأنواعها

الفصل الأول: فيما هو عزيمة، وهي اسم لما هو أصل المشروعات غير متعلق بالعوارض.

وهو أربعة أنواع:

النوع الأول: الفرض

الأول: الفرض؛ وهو ما ثبت بدليل لا شبهة فيه. ولا يجوز تركه. وحكمه: اللزوم تصديقاً بالقلب؛ فجاحده يكفر، وعملاً بالبدن؛ فتاركه بلا عذر يعاقب ويفسق، وفاعله لله تعالى (اي: ابتغاء مرضاة الله تعالى) يثاب .

ويتبعه الحرام في كونه قطعياً؛ إذ هو ما ثبت النهي عنه بلا معارض. ولا يجوز فعله كالزنا والقتل بغير حق. وحكمه يفهم من حكم الفرض.

النوع الثاني: الواجب

والثاني: الواجب؛ وهو ما ثبت بدليل فيه شبهة كصدقة الفطر ونحوها. وحكمه حكم الفرض عملاً لا اعتقاداً؛ فلا يكفر جاحده.

ويتلوه المكروه؛ وهو ما ثبت النهي عنه مع المعارض. وحكمه الثواب بالترك لله تعالى (اي: ابتغاء مرضاة الله تعالى) وخوف العقاب بالفعل وعدم الكفر بالإنكار.

النوع الثالث: السنة

والثالث: السنة؛ الطريقة المسلوكة في الدين التي يطالب بإقامتها من غير افتراض ولا وجوب. وهي قد تقع على سنة الصحابة ايضاً.

وهي نوعان:

1- سنة الهدى وهي التي أخذها لتكميل الدين؛ كالجماعة والأذان ونحوهما. وحكمها الإساءة على تاركها والمثوبة لفاعلها.

2- وزوائد: وهي التي أَخْذُها حَسَنٌ ؛ كسِيَرِ النبي صلى الله عليه وسلم في لباسه وقعوده ونحوها. وحكمها المثوبة لا الإساءة.

النوع الرابع: النفل

والرابع: النفل؛ وهو العبادة المشروعة لنا لا علينا. وحكمه حكم الزوائد من السنة (أي المثوبة لفاعلها، وعدم الإساءة على تاركها إلا أنه يلزم بالشروع عندنا (اي: يجب إتمامه، وقضاؤه إذا فسد). والتطوّع مثله.

ويليه المباح ؛ وهو ما يخير العبد فيه بين الإتيان به وتركه . وحكمه عدم الثواب واللوم والعقاب فعلاً وتركاً.

الفصل الثاني: الرخصة وأنواعها

الفصل الثاني: فيما هو رخصة؛ اسم لما تغير من المشروعات من عُسْر إلى يُسر، بعذر وهي أربعة:

نوعان من الحقيقة، أحدهما أحق من الآخر؛

فالأول: ما استبيح مع قيام المحرّم وحكمه (اي: السبب المحرّم والحرمة)، كإجراء كلمة الكفر للمكره ونحوه. وحكمه أن الأخذ بالعزيمة أولى، حتى لو صبر وقتل كان شهيداً.

والثاني: ما استبيح مع قيام سبب المحرّم دون الحرمة، لكن الحكم تراخى عنه (أي تأخر عن السبب إلى زمان زوال العذر)، كالفطر للمسافر. وحكمه كالأول إلا أن يضعفه الصوم.

ونوعان من المجاز، أحدهما أتم من الآخر؛

فالأول: ما وُضِع وسَقَط عنا من الإصر والأغلال، ولم يبق أصله مشروعاً (في حقنا؛ اي: لم يجب علينا بل رفعت عن هذه الأمة تكريماً للنبي صلى الله عليه وسلم، كقتل النفس بالتوبة ونحوه؛ وهذا رخصة مجازا.

والثاني: ما سقط عن العباد مع كونه مشروعاً في الجملة (أي مشروعا في بعض الأوقات)، كسقوط الركعتين في السفر ونحوه.

أنواع المحرمات

والمحرمات أنواع:

1- منها ما لا رخصة فيه كالزنا والقتل.

2- ومنها ما يحتمل السقوط أصلاً، كحرمة الخمر والميتة في حق المضطر والمكره، ثبتت بالنص حالة الاختيار.

3- ومنها ما لا يحتمله (أي يحتمل السقوط) لكن يحتمل الرخصة كإجراء كلمة الكفر للمكره.

4- ومنها ما يحتمله (أي يحتمل السقوط) لكنه لم تسقط بعذر الإكراه، ويحتمل الرخصة ايضاً، كتناول مال الغير.

والأخذ بالعزيمة أولى في النوعين الأخيرين.

الفصل الثالث: في سائر الأحكام

وهي أربعة أقسام:

الأول: حقوق الله تعالى خالصة، كحرمة الزنا ونحوه.

الثاني حقوق العباد خالصة، كحرمة مال الغير ونحوها.

الثالث : ما اجتمعا فيه حق الله وحق العبد، وحق الله فيه غالب، كحد القذف ونحوه.

الرابع: ما اجتمعا فيه، وحق العبد فيه غالب، كالقصاص ونحوه.

أقسام حقوق الله وحقوق العباد

القسم الأول: حقوق الله تعالى خالصة وهي ثمانية أنواع؛

1- عبادات خالصة، كالإيمان وفروعه (وهي الصلاة والزكاة وغيرها)، وهي أنواع ثلاثة:

أ- أصول؛ كالتصديق،

ب- ولواحق؛ كالإقرار،

ج- وزوائد؛ كتكرار الشهادة.

2- عقوبات كاملة، كالحدود.

3- عقوبات قاصرة، كحرمان الميراث.

4- حقوق دائرة بينهما، كالكفارة.

5- عبادة فيها معنى المؤنَة (اي: مشقة)، كصدقة الفطر.

6- مؤنة فيها معنى العبادة، كالعُشْر.

7- مؤنة فيها معنى العقوبة، كالخراج.

8- حق قائم بنفسه كخمس الغنائم والمعادن.

القسم الثاني: حقوق العباد ، وبدل المتلفات، والمغصوبات، ونحوها. و تنقسم هذه الحقوق كلها إلى :

1- أصل.

2-وخَلَف؛

كالإيمان مثلاً؛ أصله التصديق، والإقرار خَلَفٌ في أحكام الدنيا والطهارة بالماء أصل، والتيمم خَلَفٌ. وكذا أداء أحد الأبوين الإيمان في حق الصغير خَلَفٌ عن أدائه، ونحوها.

أسباب الأحكام

ثم للأحكام المشروعة بالأمر والنهي بأقسامهما أسباب:

- فسبب وجوبِ الإيمان: حدوث العالم الذي هو علم على وجود الصانع،

- وسبب الصلاة: الوقت،

- والطهارة: الصلاة،

- والزكاة: ملك النصاب،

- والصوم: ايام الرمضان،

- والفطر: رأس يمونه،

- والحج: بيت الله تعالى،

- والخراج: الأرضُ النامية تحقيقاً أو تقديراً،

- والمعاملاتِ: توقفُ بقاء العالم المقدر على تعاطي الناس،

- والعقوبات: ما تنسب إليه من قتل بالعمد (هو سبب عقوبة القصاص)، وزنا هو سبب الرجم

والجلد)، وسرقة (هو سبب القطع)،

- والكفارات: أمر دائر بين الحظر والإباحة كالافطار عمداً، والقتل خطأ.

الفصل الرابع: فيما تتعلق به الأحكام

وهو أربعة أقسام:

القسم الأول: السبب

السبب؛ وهو أنواع:

1- منها سبب حقيقي؛ وهو ما يكون طريقاً إلى الحكم (اي: مفضياً إليه في الجملة) من غير أن يضاف إليه وجوب (المراد من الوجوب: وجد السبب فوجد الحكم) ولا وجود (اي : ولا وجود للحكم فيمكن أن يوجد السبب ولا يوجد الحكم) ولا يعقل فيه معاني العلل. لكن يخلل بينه

وبين الحكم علة لا تضاف إلى السبب، كدلالته إنساناً ليسرق مال إنسان أو ليقتله.

2- ومنها سبب له حكم العلة؛ وهو السبب الذي أضيفت العلة إليه كسوق الدابة وقودها.

3- ومنها سبب له شبهة العلة ويسمى سبباً مجازياً، كاليمين قبل الحنث.

القسم الثاني: العلة

العلة؛ وهو ما يضاف إليه وجوب الحكم ابتداء، وهي سبعة أنواع:

1- علة اسماً وحكماً ومعنى؛ كالبيع المطلق للملك.

2- علة اسماً فقط بحكمه.

3- علة اسماً ومعنىً فقط؛ كالبيع بشرط الخيار للملك.

4- علة لها شبهة بالسبب؛ كشراء القريب.

5- وصف له شبهة العلة، وهي علة معنى فقط؛ كأحد وصفي العلة التي هي ذات وصفين.

6- علة معنى وحكماً فقط؛ كآخر وصفي العلة.

7- علة اسماً وحكماً فقط؛ كالسفر للرخص، والنوم للحدث.

القسم الثالث: الشرط

الشرط؛ وهو ما يتعلق به الوجود دون الوجوب، خارجاً عن الماهية. وهو خمسة أنواع:

1- شرط محضّ، وهو الذي يتوقف انعقاد العلة على وجوده؛ كدخول الدار بنسبة إلى وقوع الطلاق المعلق به.

2- شرط في حكم العلة، كحفر البئر في الطريق.

3- شرط له حكم السبب غير منسوب إلى ذلك الشرط، ويكون سابقاً على ذلك الفعل؛ كحل قيد عبد حتى أَبَقَ.

4- شرط اسماً لا حكماً، كأول الشرطين في حكم تعلق بهما في مثل قوله: (إن دخلت هذه الدار وهذه الدار فأنتِ طالق).

5- شرط هو كالعلامة الخالصة؛ كالإحصان في الزنا للرجم.

القسم الرابع: العلامة

العلامة؛ وهي ما يعرف وجود الحكم من غير تعلق وجود ولا وجوب؛ كالإحصان حتى لا يضمن شهوده إذا رجعوا.

الخاتمة في الأهلية

فصل في الأهلية: يعتبر فيها العقل، وهو خُلق متفاوتاً.

أنواع الأهلية

وهي نوعان:

الأول: أهلية وجوب وهي صلاحية الذمة لوجوب الحقوق الشرعية لها وعليها. فما كان من حقوق العباد من الغرم والعوض، ونفقة الزوجات والأقارب تجب على الصبي. وما كان عقوبةً كالقصاص، وجزاءً كحرمان الميراث لم يجب (اي: على الصبي). وحقوق الله تعالى تجب متى صح القول بحكمه؛ كالعشر والخراج. ومتى بطل القول لا تجب؛ كالعبادات الخالصة والعقوبات.

الثاني: أهلية أداء وهي نوعان:

أحدهما قاصرة؛ تبتني على قدرة قاصرة. إما من حيث البدن والعقل القاصرين كما في الصبي العاقل. وإما من حيث العقل القاصر فقط كما في المعتوه البالغ، ويبتني عليها صحة الأداء.

وههنا ستة أحكام:

1- ما هو من حقوق الله وكان حسناً لا يحتمل غيره ؛ كالإيمان، فوجب القول بصحته من الصبي بلا لزوم أداء.

2- ما كان قبيحاً لا يحتمل غيره؛ كالكفر فلا يجعل عفواً.

3- ما هو بين الأمرين؛ كالصلاة ونحوها، فيصح الأداء من غير لزوم عهدة.

4- ما ليس من حقوق الله تعالى وكان نفعاً محضاً ؛ كقبول الهبة والصدقة، فتصح مباشرته.

5- ما كان ضراً محضاً؛ كالوصية والطلاق، فيبطل أصلاً.

6- ما هو دائر بينهما؛ كالبيع ونحوه، فيملكه بإذن الولي.

ثانيهما كاملة؛ تبتني على قدرة العقل والبدن الكاملين وهي التي تبتني عليها وجوب الأداء.

عوارض الأهلية

ومعترضاتها نوعان:

النوع الأول: سماوي وهو ما يقع بلا اختيار العبد، وهو عشرة:

1- **الصغر؛** في أول أحواله؛ فاذا عقل فقد أصاب ضرباً من أهلية الأداء.

2- **الجنون**؛ وتسقط به كل العبادات إن امتدّ، وإلا يلحق بالنوم. وحدّ الامتداد في حق الصلاة أن يزيد على يوم وليلة، وفي الصوم استغراق الشهر، والزكاة استغراق الحول.

3- **العته بعد البلوغ**؛ فالمعتوه كالصبي العاقل في الأحكام.

4- **النسيان**؛ وهو لا يجعل عذراً في حقوق العباد، ولا ينافي الوجوب في حق الله تعالى وإن كان غالباً، إلا أنه كما في الصوم، والتسمية في الذبيحة، والسلام في الصلاة عفو.

5- **النوم**؛ وهو لا ينافي الوجوب، وينافي الاختيار، فلا تعتبر قراءته وكلماته وقهقهته في الصلاة وكذا سائر عباراته مطلقاً.

6- **الإغماء**؛ وهو ضرب مرض يضعف القوى، ولا يزيل الحجا. وهو كالنوم في الأحكام إلا أنه حدث في كل حال. ويحتمل الامتداد فتسقط به الصلاة إذا زاد على يوم وليلة. وهو في الصوم نادر فلا يعتبر بخلاف الصلاة.

7- **الرق**؛ وهو عجز حكمي، شُرع جزاءً عن الكفر في الأصل، لكنه في البقاء من الأمور الحكمية؛ كالخراج فينا في مالكية المال، وكمالَ الحال في أهلية الكرامات؛ كالذمة ونحوها. ولا ينافي مالكية غير المال؛ كالنكاح والدم ويصح إقراره بالحدود، والقصاص، والسرقة. وصح أمان المأذون، واختلف في المحجور.

8- **المرض**؛ وهو لا ينافي أهلية الحكم والعبارة، لكنه من أسباب العجز لكونه سبب الموت فشرعت العبادات بقدر المكنة. ولما كان الموت علة الخلافة، كان المرض من أسباب تعلق حق الوارث والغريم بماله، فيكون من أسباب الحجر بقدر صيانة الحق، إذا اتصل بالموت مستنداً إلى أوله.

9- **الحيض والنفاس**؛ وهما لا يعدمان الأهلية، لكن الطهارة شرط للصلاة، وفي فوته فوتها. ولما جعل الطهارة عنهما شرطاً للصوم نصاً بخلاف القياس لم يتعد إلى القضاء.

10- **الموت**؛ وهو ينافي عنه أحكام الدنيا مما فيه تكليف، كالزكاة ونحوها.وما شرع عليه لحاجة غيره:

أ- إن كان حقاً متعلقاً بالعين كالمرهون يبقى ببقائها،

ب- إن كان ديناً لم يبق بمجرد الذمة، بل يضم إليها ماله أو ما يؤكد به الذمم كذمة الكفيل،

ج- إن كان حقاً له يبقى له ما يقضي به الحاجة، وله حكم الأحياء في الآخرة.

النوع الثاني : مكتسب وهو ما في حصوله لاختيار العبد مدخل، وهو سبعة :

1- **الجهل**؛ وهو أنواع:

أحدها: جهل باطل؛ لا يجعل عذراً في الآخرة ؛ كجهل الكافر بعد وضوح الدلائل ونحوه.

ثانيها: جهل في موضع تحقق فيه اجتهاد صحيح؛ كجهل المحتجم إذا أفطر ظناً أنها فطرته، أو في موضع الشبهة؛ كجهل مَن زَنى بجارية والده ظناً أنها تَحِلُّ، فهذا عذر.

ثالثها: جهل مسلم بالشرائع في دار الحرب؛ لم يهاجر إلينا فهذا عذر ايضاً. ويلحق به جهل الشفيع، وجهل الأمة بالإعتاق أو بالخيار ، وجهل البكر بإنكاح الولي، وجهل الوكيل والمأذون بالإطلاق وضده.

2- **السكر**؛ فإن كان من مباح؛ كشرب الدواء وشرب المكره والمضطر للعطش فهو كالإغماء، وإن كان من محظور ، لا ينافي الخطاب فتصح عباراته، إلا في الردة والإقرار بالحدود الخالصة.

3- **الهزل**؛ وهو أن يراد بالشيء غير ما وضع له ولا مناسبة بينهما، فلا ينافي الأهلية، وينافي الحكم والرضا به، ولا ينافي الرضا بالمباشرة واختيارها، فصار بمعنى خيار الشرط في البيع أبداً. وشرطه : أن يكون صريحاً مشروطاً باللسان من غير اشتراط ذكره في العقد، بخلاف خيار الشرط. والتلجئة مثله وعينه بالردة كفر.

4- **السفه**؛ وهو التصرف في المال على خلاف مقتضى الشرع والعقل بالتبذير مع قيام حقيقة العقل، وهو لا يمنع وجوب الأحكام، ولا يُوجب الحجر، ويمنع ماله في أول ما يبلغ إجماعاً بالنص.

5- **السفر**؛ وهو الخروج المديد، وأدناه ثلاثة أيام هو لا ينافي الأهلية؛ لكنه من أسباب التخفيف بنفسه مطلقاً.

6- **الخطأ**؛ وهو عذر لسقوط حق الله تعالى إذا وقع عن اجتهاد، ولا يؤاخذ بحد ولا قصاص، ولكن لم يجعل عذراً في حقوق العباد.

7- **الإكراه**؛ وهو حمل الإنسان بالوعيد على ما لا يريد مباشرته لولا حمل عليه. وهو (على ثلاثة أقسام):

القسم الأول: إما أن يعدم الرضا ويفسد الاختيار؛ كالإكراه بإتلاف نفسه، أو عضو من أعضائه وهو الكامل، ويقال له: (الملجئ) ايضاً.

القسم الثاني: أو يعدم الرضا ولا يفسد الاختيار؛ كالتخويف بالقيد أو الحبس المديد، أو بالضرب الذي لا يخاف على نفسه التلف.

القسم الثالث: أو لا يعدم الرضا ولا يفسد الاختيار؛ كأن يهتم بحبس ابنه أو أبيه أو أخته أو زوجته، وهو بجملته (أي : بجميع أقسامه) لا ينافي الخطاب ولا الاختيار، لكنه إن عارض اختياره اختيار صحيح وجب ترجيحه في الحكم على الفاسد إن أمكن نسبة الفعل إلى الحامل، وإلا بقي منسوباً إلى الفاعل فيؤاخذ بفعله. ففي الأقوال لا يصلح أن يكون آلة لغيره. فإن وقع فيما لا يحتمل الفسخ

ولا يتوقف على الرضا (كالطلاق ونحوه)، لم يبطل بالكره واقتصر عليه. وإن وقع فيما يحتمله ويتوقف (كالبيع ونحوه)، يقتصر على المباشر لكنه يفسد لعدم الرضا فلو أجاز بعد زواله صريحاً أو دلالةً صح. ولا تصح أقاريره كلها.

وأفعاله (اي: أفعال المكره) قسمان:

أحدهما: كأقواله لا تصلح آلة لغيره؛ كالأكل والوطء فيقتصر عليه.

والثاني: ما يصلح آلة لغيره؛ كإتلاف النفس والمال فيؤاخذ الحامل فقط.

مختصر في أحكام فقه العبادات

وفروع الفقه الإسلامي هي الأحكام الشرعية في العبادات من طهارة وصلاة وزكاة وصوم وحج وعمرة وتفرعاتها، والأحكام الشرعية الخاصة بالمعاملات على اختلاف أنواعها الإجتماعية والإقتصادية والسياسية، وقد أوردت في هذا القسم ملخص لأحكام العبادات الرئيسية وذلك نقلا عن كتب الحنفية التي اخترناها في هذا الباب وهي مختصر القدوري وكتاب فقه العبادات على المذهب الحنفي لنجاح الحلبي، وتم نقل هذه الأحكام بتصرف بسيط من اختصار وزيادة وترتيبها بطريقة تسهل على القارئ مراجعتها.

الطهارة

والطهارة شرعا النظافة من حَدَثٍ أو خَبَث وسببها هو إرادة ما يحل بدونها فرضاً كان أو واجباً أو نفلاً. وقيل: سببها: الحدث في الحكمية، والخبث في الحقيقة.

وأما أقسامها فهي :

اولا: الطهارة من الحدث وهما قسمان أكبر يزول بالغسل واصغر بالوضوء.

ثانيا: الطهارة من الخبث وتكون بغسل عين النجاسة، والمزيل للحدث والخبث الماء اتفاقاً، أما الخبث فيجوز على المعتمد إزالته بغير الماء من المائعات.

الطهارة من الحدث الأكبر بالغسل

والغسل شرعاً هو غسل البدن من جنابة أو حيض أو نفاس (أي الغسل الذي هو فرض).

وأما موجبات الغسل فهي أربعة وهي فرض على كل مسلم كما يلي:

1- خروج المني بشهوة إلى ظاهر الجسد،وسواء كان نزول المني عن جماع أو احتلام أو نظر أو استمناء فإنه موجب للغسل.
2- التقاء الختانين ولو بدون إنزال.
3- انقطاع الحيض والنفاس.
4- الموت ووجوب الغسل بحق الميت المسلم فقط، وغسله فرض كفاية على المسلمين.

وأما الغسل غير الواجب فهو اما سنة أو مندوب وعلى التفصيل التالي:

1- الغسل المسنون ويكون لصلاة الجمعة،لصلاة العيدين،للوقوف بعرفة بعد الزوال لفضل زمان الوقوف،للإحرام بالحج أو العمرة، والغاية منه

التنظيف لا التطهير، لذا يسن للمرأة الحائض والنفساء، للإسلام، إن أسلم وهو طاهر عن موجبات الغسل، البلوغ بالسن لا بالاحتلام.

2- الغسل المندوب ويكون لمن أفاق من جنون أو سكر أو إغماء، لإحياء الليالي الوارد إحياؤها عن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم كليلة النصف من شعبان وليلة القدر، بعد تغسيل الميت، لصلاة الكسوف والخسوف والاستسقاء وصلاة الخوف، لمن حكم عليه بالقتل، فيغتسل قبل أن ينفذ فيه الحكم، للقادم من السفر،للتائب من الذنب، لمن أصابته نجاسة وخفي عليه مكانها، لدخول مكة أو المدينة، لرمي الجمار، للوقوف بمزدلفة، لطواف الزيارة، المستحاضة إذا انقطع عنها الدم، بعد الحجامة.

وأما فرائض الغسل فهي خمسة وعلى التفصيل التالي:

1- عميم ما أمكن من البدن شَعْره وبَشره بالماء الطاهر.
2- المضمضة والاستنشاق.
3- غسل الفرج الظاهر والسرّة.
4- إزالة ما يمنع من وصول الماء إلى الجسد.
5- غسل تحت الشعر وتبليغ الماء إلى أصول الشعر، ويفترض نقض المضفور من شعر الرجل للغسل و تنقض المرأة ضفائرها إذا لم تتأكد من وصول الماء إلى أصل الشعر.

وأما سنن الغسل فهي اربعة عشر وعلى التفصيل التالي:

1- التسمية قبل كشف العورة.

2- النية، ليكون فعله قربة، والابتداء بالتسمية يصاحب النية لأن النية فعل القلب والتسمية باللسان.

3- أن يبدأ المغتسل بيديه.

4- أن يزيل الأذى والنجاسة إن كانت على بدنه.

5- غسل الفرج إن لم يكن به نجاسة لفعل النبي صلى الله عليه وسلم، وليطمئن بوصول الماء إلى الجزء الذي ينضم من فرجه حال القيام.

6- أن يتوضأ وضوءه للصلاة فيثلث الغسل ويمسح الرأس ويؤخر غسل الرجلين إن كان يقف حال الاغتسال في محل يجمع فيه الماء لاحتياجه لغسلهما ثانية.

7- تعهد مواضع الانعطاف.

8- تخليل أصول الشعر ثلاثاً بيده المبللة.

9- أن يفيض الماء على بدنه ثلاثاً، فالإفاضة سنة لأنه لو انغمس في ماء جار أو كثير طهر من الجنابة حكماً.

10- البداية من الرأس ثم الطرف الايمن ثم الايسر.

11- التكرار ثلاثاً، وهو في الغسل أولى منه في الوضوء.

12- الدلك في المرة الأولى ثم يصب الماء وهو واجب عند الإمام أبي يوسف.

13- الموالاة.

14- نقض الشعر للغسل سنة للمرأة إن أمكن التعميم بدونه، وإلا فهو فرض كما ذكرنا. ويصح بلة العضو من العضو السابق (بانتقال الماء) في الغسل ولكن بشرط التقاطر.

الطهارة من الحدث الأصغر بالوضوء

والوضوء شرعاً قصد القلب إيجاد الفعل جزماً، أو إزالة الحدث أو استباحة الصلاة. وقد اعتبر السادة الحنفية النية سنة في الوضوء، وهي فرض عند غيرهم.

والوضوء له أربعة فرائض وكما جاءت في الآية الكريمة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ...)(المائدة: 6).

1- غسل الوجه وهو إسالة الماء على الوجه حتى يتقاطر، والوجه هو ما تقع به المواجهة. وحدّه طولاً من مبدأ سطح الجبهة إلى أسفل الذقن، وعرضاً ما بين شحمتي الأذنين. وهو يشمل الحاجبين والشاربين شعراً وبشراً. أما اللحية فإن كانت خفيفة فيجب إيصال الماء إلى البشرة، وإن كانت كثيفة فيكفي غسل ظاهر الشعر، ولا يجب غسل ما زاد على دائرة الوجه مما استرسل من اللحية.

2- غسل اليدين مع المرفقين وتشمل الكف والساعد والمرفق.

3- مسح الرأس، والمسح إمرار اليد المبتلّة على العضو.

4- غسل الرجلين مع الكعبين والكعبان هما العظمان المرتفعان في جانبي القدم، وهما داخلان بالغسل مع القدمين.

وأما سننه فهي سبعة عشر منها ما هو مؤكد ومنها ما هو مستحب فقط وهي:

1- النية : وهي لغة عزم القلب على الفعل. وشرعاً قصد القلب إيجاد الفعل جزماً، أو إزالة الحدث أو استباحة الصلاة.

2- الترتيب: ومعناه تطهير الأعضاء واحداً بعد واحد على الوجه الذي جاءت به آية الوضوء.

3- التسمية في أوله حتى لو نسيها أثناء الوضوء لم يحصل المقصود

4- غسل اليدين إلى الرسغين في ابتداء الوضوء، لأنهما آلة التطهير فيبدأ بهما.

5- الاستياك: وهو سنة مؤكدة عند المضمضة.

6- المضمضة والاستنشاق: المضمضة اصطلاحاً هي استيعاب الماء جميع الفم، والاستنشاق من النَّشق وهو جذب الماء أو إيصال الماء إلى المارِن وهو ما لان من الأنف. ويسن أن تكون ثلاثاً.

7- تخليل اللحية الكثّة: ويكون بتفريق الشعر من الأسفل إلى الأعلى، ويكون بعد غسل الوجه.

8- تخليل الأصابع في اليدين بإدخال بعضهما في بعض، وتخليل الأصابع في الرجلين بأن يدخل خنصر يده اليسرى فيبدأ من خنصر رجله اليمنى وينتهي بخنصر رجله اليسرى؛ وذلك من أسفل الأصابع إلى أعلاها. والتخليل سنة فإذا كانت الأصابع منضمة كان تخليلها فرضاً.

9- تثليث الغسل.

10- استيعاب الرأس بالمسح مرة واحدة، ولا يندب التثليث.

11- البداءة بالمسح من مقدم الرأس وهي من المستحبات.

12-مسح الأذنين، يسن مسح الأذنين ولو بماء الرأس.

13- الدلك بعد الغسل بإمرار يديه على الأعضاء.

14-البداءة بالميامن وذلك في اليدين والرجلين

15-البداءة بالغسل من رؤوس الأصابع باليدين والرجلين.

16-مسح الرقبة، ولا يسن مسح الحلقوم لأنه بدعة. وتعتبر السنن الثلاث الأخيرة من المستحبات.

17-الموالاة، أي إنجاز أفعال الوضوء متتابعة بحيث لا يوجد بينها ما يعد فاصلاً بالعُرْف.

وأما نواقض الوضوء فهي نوعين :

اولا: نواقض حقيقية وهي ستة نواقض:

1- كل خارج من السبيلين من بول أو غائط أو ريح أو مذي أو ودي وإن كان قليلاً سواء أكان معتاداً أم غير معتاد كالدودة والحصاة.

2- كل نجاسة سائلة من غير السبيلين كالدم والقيح.

3- القيء إن ملأ الفم، مهما كان نوعه طعاماً أو دماً، ولو لم يتغير. ولا يشمل هذا البلغم فهو لا ينقض الوضوء.

4- نزول دم من الأسنان أو الفم إذا غلب البصاق أو ما ساواه.

5- لو مصت علقة عضواً فامتلأت من الدم يفسد الوضوء، ويقاس عليها إبرة الدم حيث يخرج دم مسفوح، أما إن كان قليلاً فلا ينقض كالبّق والذباب.

6- المباشرة دون حائل، ولا يشمل ذلك مس المرأة أو تقبيلها فهو لا ينقض الوضوء.

ثانيا: النواقض الحكمية وهي خمسة:

1- نوم غير المتمكن، والناقض هنا عدم وعي الحدث.
2- القهقهة في الصلاة تفسد الوضوء والصلاة معاً، إذا كان المصلي بالغاً.
3- الإغماء.
4- الجنون.
5- السكر (من تعاطي الخمر أو غيره).

الطهارة من الحدث الأصغر والأكبر بالتيمم

والتيمم هو شرعا قصد صعيد مطهِّر واستعماله حقيقة أو حكماً بصفة مخصوصة. و التيمم خَلَفٌ عن الوضوء والغسل وفق شروط معينة وهي ثمانية شروط لصحته على الترتيب التالي:

1- النية وهي شرط في التيمم دون الوضوء، لأن الماء مطهِّر بطبعه فلا يحتاج إلى النية بخلاف التراب فهو ملوث بالأصل فلا يصير مطهِّراً إلا بالنية.
2- وجود عذر مبيح للتيمم وهي سبعة :

ا- بُعْدُ الشخص ميلاً عن الماء، وهو ما يعادل ثلث فرسخٍ (1.847 كم).

ب- المرض، وذلك أن يسبب الماء المرض، أو اشتداده، أو بطء في الشفاء، بتجربة أو إخبار طبيب مسلم عَدْل، أو عجزه عن التحرك

لاستعمال الماء (كمن أجري له عمل جراحي)، أو عجزه عن الفعل بنفسه كالمقعد أو المشلول.

ج- إن كان نصف البدن أو أكثر جريحاً، وتعتبر الكثرة بعدد الأعضاء.

د- بَرْد شديد غلب على الظن تلف بعض الأعضاء بسببه ولم يكن تسخين الماء ممكنا.

ه- خوف عدو آدمي أو غيره على ماله أو نفسه، أو خوف فاسق عند الماء.

و- عنده ماء قليل لكن خاف على نفسه أو ما معه من حيوانات العطش.

ز- خوف فوت صلاة الجنازة أو عيد ولو جنباً يتيمم لهما، لأنهما تفوتان بلا خَلَف.

3- أن يكون التيمم بطاهر من جنس الأرض، كالتراب المُنْبِت والرمل والحجر والعقيق ولو لم يكن عليها غبار.

4- استيعاب الوجه واليدين بالمسح. فيجب نزع الخاتم ولو واسعاً والسوار الضيق وتخليل الأصابع، لأن التيمم قائم مقام الوضوء فيشترط فيه ما يشترط في الوضوء.

5- أن يمسح الأعضاء بجميع اليد أو بأكثرها، فلا يجزئ المسح بأقل من ثلاث أصابع.

6- أن يكون التيمم بضربتين بباطن الكفين.

7- انقطاع ما ينافي الطهارة من حيض أو نفاس أو حدث.

8- زوال ما يمنع المسح على البشرة كشمع أو شحم.

وأما اركان التيمم فهما ركنان:

1- مسح الوجه.
2- مسح اليدين إلى المرفقين.

وأما سنن التيمم فهي ستة كما يلي:

1- التسمية في أوله.
2- الترتيب، بأن يبدأ بالوجه ثم اليدين.
3- التيامن.
4- الإقبال باليدين وإدبارهما ونفضهما.
5- تفريج الأصابع.
6- يندب تأخير التيمم حتى آخر الوقت لمن يرجو أن يجد الماء قبل فوات الصلاة.

وأما نواقض التيمم فهي ثلاثة:

1- ينقض التيمم كل ما ينقض الوضوء والغسل، لأن ناقض الأصل ناقض البدل.
2- زوال العذر المبيح للتيمم.
3- إذا وجد الماء أثناء الصلاة بطلت صلاته، أما لو وجده بعد الصلاة صحت ولا تجب الإعادة في حقه لا في الوقت ولا في بعده.

والصلاة شرعا هي أقوال وأفعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم. وصفتها بأنها فرض في الصلوات الخمس، أو واجبة في الوتر وصلاة العيدين، أو سنة فيما سواهن من الصلوات.

وشروط وجوبها ثلاثة وهي:

1- الإسلام، لأنه شرط للخطاب بفروع الشريعة.
2- البلوغ، إذ لا خطاب لصغير، ولكن يؤمر بها الصبي ليعتادها، ويضرب على تركها لعشر.
3- العقل، لانعدام التكليف دونه.

وأما حكم تارك الصلاة ممن وجبت عليه فهو على ثلاث تقسيمات:

1- إن جحد فرضيتها فهو كافر، له حكم المرتد فيقتل إن أصر بعد الاستتابة.
2- إن تركها تهاوناً فهو فاسق يسجن ويُضيَّق عليه حتى يؤديها، وقيل يضرب حتى يسيل منه الدم، وفي بقية المذاهب يقتل.
3- أما تارك أداء الصلاة في الوقت آثم.

ومواقيت الصلاة هي خمسة كما يلي:

1- الظهر يبدأ وقته من زوال الشمس أي وقوعها في منتصف السماء، وينتهي وقت الظهر عندما يصير ظل كل شيء مثله مضافاً إليه ظل الاستواء.

2- وقت العصر يبدأ من بلوغ ظل الشيء مثله إلى غروب الشمس.

3- وقت المغرب يبدأ وقته من غروب الشمس وينتهي بمغيب الشفق.

4- وقت العشاء والوتر يبدأ وقتهما من غياب الشفق الأحمر إلى طلوع الفجر الصادق. ويستحب تأخير العشاء إلى ثلث الليل الأول إذا ضمن قيامه،ويكره تأخير صلاة العشاء إلى ما بعد نصف الليل.

5- وقت الفجر يبدأ وقته من طلوع الفجر الصادق ويستمر حتى طلوع الشمس. ويستحب تأخير الصلاة قليلاً عن وقت الأذان حتى تسفر الأرض، ويحرم تأخير الفجر إلى ما لا يسعه من الوقت.

الأوقات التي تحرم فيها صلاة الفرائض وهي ثلاثة:

1- وقت شروق الشمس حتى ترتفع قدر رمح أو رمحين.

2- وقت الاستواء حتى الزوال.

3- وقت الاصفرار حتى الغروب.

الأوقات التي تكره فيها صلاة التنفل وهي عشرة:

1- في الأوقات التي تحرم فيها الفرائض.

2- بعد طلوع الفجر وقبل طلوع الشمس إلا سنة الصبح.

3- يكره تحريماً التنفل بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس وترتفع.

4- بعد صلاة العصر حتى تغيب الشمس، وينعقد في هذين الوقتين، أي ما بين الفجر والشمس وما بين صلاة العصر إلى الغروب، قضاء الفوائت

والجنازة وسجود التلاوة من غير كراهة. إلا النفل والواجب لغيره، فإنه ينعقد مع الكراهة، كالمنذور وركعتي الطواف و قضاء نفل أفسده.

5- قبل صلاة المغرب حتى لا يؤدي إلى تأخير صلاة المغرب.
6- عند خروج الخطيب وقيامه للخطبة في الجمعة والعيدين وغيرها.
7- عند إقامة الصلاة للفرائض. إلا إذا دخل المسجد عند الإقامة لصلاة الفجر فإنه يصلي ركعتي سنة الفجر ثم يتابع الإمام. أما إن خشي فوت الجماعة دخل مع الإمام وترك السنة.
8- يكره التنفل قبل صلاة العيد في البيت أو في المسجد سواء.
9- عند ضيق الوقت خوفاً من تفويت الفرض أو تأخيره.
10- بين صلاتي الجَمْع في عرفة ومزدلفة.

وأما احكام الجمع بين الصلوات فإنه لا يصح عندنا الجمع بين صلاتين إلا في موضعين وهما:

1- يصح الجمع بين الظهر والعصر في مسجد نَمِرة يوم عرفة جمع تقديم، فيصلي الحاجّ الظهر والعصر في وقت الظهر بأذان واحد وإقامتين ولا يفصل بينهما بنافلة.
2- يصح للحاج أن يجمع بين المغرب والعشاء جمع تأخير في مزدلفة بأذان واحد وإقامة واحدة، ولا تجزئ صلاة المغرب بطريق مزدلفة.

أما في غير الحج فلا يجوز الجمع مطلقاً لا في السفر ولا في الحضر ولا لعذر.

وأما شروط الصلاة فهي سبعة على الترتيب التالي:

1- الطهارة من الحدثين الأصغر والأكبر وذلك بالوضوء والغسل أو التيمم.

2- طهارة الثوب والجسد والمكان من كل نجاسة غير معفوّ عنها.

3- ستر العورة،وهي للرجل ما بين السرة والركبة وللمرأة جميع بدنها عدا الوجه والكفين إجماعا أما ظاهر القدمين وباطنهما فليسا من العورة على المعتمد، وقيل هما عورة خارج الصلاة.

4- استقبال القبلة.

5- دخول الوقت.

6- النية.

7- تكبيرة الإحرام.

أما أركان الصلاة فهي ستة والتي لا تصح الصلاة بدونها على الترتيب التالي:

1- القيام وهو ركن في صلاة الفريضة وواجب للقادر عليه، فلو عجز عن القيام سقط عنه.

2- القراءة وهي ركن لقوله تعالى: (فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ .....)(المزمل: 20)، والأمر يقتضي الوجوب، والقراءة لا تجب خارج الصلاة فتعيَّن أن يكون الأمر بالقراءة في الصلاة.

3- الركوع.

4- السجود الأول.

5- السجود الثاني.

6- القعود الأخير.

وأما واجبات الصلاة فهي سبعة عشر واجبا وعلى الترتيب التالي:

1- قراءة الفاتحة على غير المأموم في الصلاة.
2- ضمٌّ سورة إلى الفاتحة والمراد قراءة سورة قصيرة أو ثلاث آيات قصار مع الفاتحة في ركعتين غير متعينتين من الفرض، وفي جميع ركعات الوتر والنفل.
3- تعيين القراءة في الأوليين من الفرض.
4- تقديم الفاتحة على السورة.
5- ضم الأنف إلى الجبهة في أثناء السجود.
6- مراعاة الترتيب فيما بين السجدتين في كل ركعة.
7- الاطمئنان.
8- القعود الأول.
9- التشهد في القعود الأول.
10- أن يقوم بعد التشهد مباشرة.
11- التشهد في القعود الأخير.
12- التسليم من الصلاة.
13- القنوت في الوتر والتكبير له، وهو سنة عند ابو يوسف.
14- تكبيرات العيدين.
15- تعيين لفظ التكبير لافتتاح كل صلاة.
16- الجهر والإسرار فيما يجهر فيه أو يسر.
17- متابعة المقتدي إمامه في الأركان الفعلية.

وأما سنن الصلاة التي يثاب فاعلها ولا يعاقب على تركها، بل يعاتب ويلام. ولا يُلزم تاركها بسجود السهو، فهي أربعة وعشرون وعلى الترتيب التالي:

1- رفع اليدين للتحريمة (تكبيرة الإحرام) حذاء الأذنين للرجل، ولا يسن الرفع إلا في تكبيرة الافتتاح، لحديث عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه قال: (ألا أصلي بكم صلاة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم. فصلى فلم يرفع يديه إلا في أول مرة)(سنن الترمذي). ولا ترفع اليدين عند الركوع، ولا في الرفع منه، ولا في تكبيرات الجنازة غير الأولى منها.

2- وضع اليد اليمنى فوق اليسرى، والرجل يضع يديه تحت السرّة ويجعل باطن كفه اليمنى على ظاهر كفه اليسرى محلقاً بالخنصر والإبهام على الرسغ ويبسط أصابعه الثلاث على ذراعه، وتضع المرأة الكف على الكف (من غير تحليق) على صدرها.

3- قراءة دعاء الثناء أو الاستفتاح، لما روي عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: (كان النبي صلى اللّه عليه وسلم إذا افتتح الصلاة قال: سبحانك اللّهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جَدّك، ولا إله غيرك)(سنن الترمذي).

4- التعوذ قبل التلاوة وهو سنة للمصلي سواء كان إماماً أو منفرداً.

5- البسملة سراً سواء كانت الصلاة سرية أم جهرية: وهي سنة في الصلاة أول الفاتحة وأول كل سورة في القرآن. والبسملة آية من القرآن وليست جزءاً من الفاتحة، بل نزلت للفصل بين السور، فعن أنس رضي اللّه عنه قال: (صليت خلف رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وأبي بكر وعمر

وعثمان رضي اللّه عنهم فلم أسمع أحداً منهم يجهر ببسم اللّه الرحمن الرحيم)(سنن النسائي).

6- التأمين: وهو قول: آمين بعد قراءة الفاتحة، ومعناه: اللّهم استجب. وهو سنة للإمام والمقتدي والمنفرد، فعن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال: (اذا أمَّن الإمام فأمِّنوا، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه)(روه مسلم). ويكون التأمين سراً مطلقاً سواء كانت الصلاة جهرية أو سرية، لقول ابن مسعود رضي اللّه عنه: (أربع يخفيهن الإمام: التعوذ والتسمية والتأمين والتحميد).ويُسن للإمام الجهر بالتكبير والتسميع والسلام.

7- التحميد والتسميع وهو سنة للمنفرد و المقتدي والإمام عند أبي يوسف ومحمد، لحديث أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال: (إذا قال الإمام سمع اللّه لمن حمده. فقولوا: اللّهم ربنا لك الحمد. فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه)(رواه مسلم).

8- تفريج القدمين في القيام قدر أربع أصابع لأنه أقرب إلى الخشوع، والتراوح أفضل من نصب القدمين، وهو أن يعتمد على قدم مرة وعلى الأخرى مرة أخرى لأنه أيسر لطول القيام.

9- أن تكون السورة المضمومة إلى الفاتحة من طوال المفصَّل في الفجر والظهر، ومن أوساطه في العصر والعشاء، ومن قصاره في المغرب.

10- تطويل الركعة الأولى عن الثانية وخاصة في صلاة الفجر.

11- التكبير عند الركوع وعند كل رفع وخفض، إلا الرفع من الركوع فإنه يسّمع ولا يكبر.

12- سن في الركوع الأمور التالية:

أ - أخذ الركبتين باليدين والتفريج بين الأصابع ورفع اليدين عن الجنبين، أما المرأة فلا تفرج لأن حالها مبني على الستر.

ب - بسط الظهر.

جـ - تسوية الرأس بالعجز أثناء الركوع.

د - نصب الساقين لأنه متوارث. وإحناؤهما شبه القوس مكروه.

هـ - التسبيح في الركوع، بأن يقول سبحان ربي العظيم و أدنى التسبيح ثلاث مرات.

و - القيام من الركوع مطمئناً.

ز - التسميع والتحميد بعد الركوع.

13- وضع الركبتين ابتداء على الأرض، ثم اليدين، ثم الوجه عند النزول للسجود، ويسن عكسه عند القيام من السجود، أي يرفع وجهه أولاً ثم يديه ثم ركبتيه، إذا لم يكن به عذر. ويسن في السجود الأمور التالية:

أ - وضع الوجه بين الكفين.

ب - توجيه الأصابع نحو القبلة، وذلك بضمّ أصابع اليدين ونشرها وبسطها مستقبلاً بها القبلة، ونشر أصابع الرجلين مستقبلاً بأطرافها ورؤوسها القبلة.

جـ - التخوية للرجال والتخوية هي التفريق بين الركبتين ومجافاة المرفقين عن الجنبين ورفع البطن عن الفخذين. والتطامن للنساء، وهو

الانضمام. ويتحقق بلصق البطن بالفخذين وضمّ الضَّبْعَيْن، ذلك لأنه أستر لهن وأحوط.

د - التسبيح في السجود بأن يقول سبحان ربي الأعلى وأدنى التسبيح ثلاث مرات.

14- الرفع من السجود، والاعتدال فيه بالاطمئنان. والرفع بمعنى الانتقال فرض، والاطمئنان في القعود واجب، وإتمام الرفع إلى القعود هو السنة.

15- افتراش الرجل رجله اليسرى ونصبه اليمنى وتوجيه أصابعها نحو القبلة.

16- وضع اليدين على الفخذين فيما بين السجدتين وعند التشهد، بأن توضع اليدين مبسوطتين منشورتين والأصابع نحو القبلة.

17- عقد أصابع اليد اليمنى عند الإشارة بالمسبحّة، للحديث المتقدم، بأن يرفع إصبعه السبابة ويحنيها قليلاً ليؤكد نفي الألوهية عن غير اللّه عند قوله: "لا إله إلا اللّه"، ويضعها عند الإثبات أي إثبات الألوهية له وحده.

18- يسن الإسرار بقراءة التشهد.

19- قراءة الفاتحة في الركعتين الأُخريين من الفريضة.

20- الصلاة على النبي صلى اللّه عليه وسلم في الجلوس الأخير، وصيغته كما وردت في حديث أبي مسعود الأنصاري رضي اللّه عنه عن النبي صلى اللّه عليه وسلم أنه قال لمن سأله عن ذلك: (قولوا اللّهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم

وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد)(حاشية الإمام السندي بذيل سنن النسائي).

21- الدعاء بالمأثور بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.
22- الالتفات يميناً ثم يساراً بالتسليمتين.
23- النية في السلام، بأن ينوي الإمام السلام على المقتدين به ممن هم عن يمينه ويساره والملائكة والإنس والجن والحَفَظة، أما المقتدي فينوي بالتسليمتين السلام على إمامه والقوم والحفظة وصالح الجن.
24- يسن بعد الصلاة قراءة أذكار واردة عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم.

وأما مفسدات الصلاة فهي خمسة وعشرون وعلى النحو التالي:

1- الكلام وهو النطق بحرفين ولو لم يُفهما، أو بحرف واحد مفهم، سواء كان النطق سهواً أو عمداً أو خطأ.
2- العمل الكثير المتوالي على ألا يكون من نوع أعمال الصلاة كزيادة ركوع فإنه عمل كثير غير مفسد، ولا بقصد إصلاح الصلاة كالمشي للوضوء لسبق حدث فإنه لا يفسد. وقيد بعضهم الكثير بثلاث حركات متواليات. ولا يبطل الصلاة قتل السبع الفواسق لعموم أذاها إذا كان بعمل قليل.
3- تحويل الصدر عن القبلة إلا لمن سبقه حدث.
4- الأكل والشرب سواء كان ناسياً أو عامداً. ولو ابتلع شيئاً كان بين أسنانه فلا يفسد صلاته إلا إذا زاد عن مقدار الحمصة.

5- رؤية المتيمم الماء قبل التشهد توجب عليه إعادة الصلاة، وكذل سقوط الجبيرة عن برء أثناء الصلاة، وزوال عذر صاحب العذر قبل إتمام صلاته، وتمام مدة المسح على الخف أو نزعه قبل القعود الأخير قدر التشهد، ووجدان العاري ما يستر عورته، وقدرة العاجز على الركوع والسجود.

6- تذكر فائتة لذي الترتيب، لأن الأصل أن يصلي الفوائت بالترتيب إن كانت دون خمس صلوات، فإذا صارت ستاً سقط الترتيب.

7- طلوع الشمس أو زوالها أثناء الصلاة: فطلوع الشمس في صلاة الفجر، وزوالها في صلاة العيدين، ودخول وقت العصر في صلاة الجمعة، مفسد للصلاة.

8- انكشاف العورة قدر أداء ركن، أو وقوع نجاسة مانعة من صحة الصلاة، فإن دفعها بمجرد وقوعها ولم يبق لها أثر، أو ستر عورته بمجرد انكشافها، فلا يضر.

9- التكبير بنية الانتقال لصلاة أخرى غير التي هو فيها.

10- الضحك مفسد للصلاة إن كان مسموعاً للمصلي (يفسد كل من الوضوء والصلاة).

11- محاذاة الرجل المكلف المرأة المشتهاة (أي لا يشترط البلوغ)، ولو كانت زوجته أو من محارمه.

12- القراءة من المصحف أو أي كتاب سواء كان المقروء قليلاً أو كثيراً. أما لو نظر إلى المكتوب وفهمه دون أن يتلو منه فلا تفسد صلاته، بل يسيء الأدب.

13- اللحن في قراءة القرآن، إذا غيَّر المعنى تغييراً فاحشاً، أما إذا لم يتغير المعنى فلا تفسد عند الإمام. وتفسد عند الإمام أبي يوسف إذا لم يكن للفظ المغيّر نظير في القرآن.

14- الفتح على غير إمامه، أي أن يرد غير إمامه في قراءة القرآن ولا بأس من أن يرد إمامه.

15- استخلاف من لا يصلح إماماً كأميّ أو معذور.

16- مد الهمزة في قوله: "الله أكبر" أو مد باء "أكبر".

17- سبق المقتدي لإمامه بركن لم يشاركه فيه، كما لو ركع ورفع رأسه بعد الركوع قبل الإمام ثم لم يعده معه.

18- عدم إعادة الجلوس الأخير بعد أداء سجدة صلبية أو سجدة تلاوة تذكرها بعد الجلوس، لأن الجلوس الأخير لا يعتد به إلا بعد تمام الأركان.

19- متابعة الإمام في سجود السهو للمسبوق بعد أن يتأكد انفراده، بأن قام بعد سلام الإمام أو قبله بعد قعوده قدر التشهد، وقيد ركعته بسجدة، ثم تذكر الإمام سجود سهو عليه فتابعه المأموم فسدت صلاته، لأنه اقتدى بعد أن أصبح منفرداً.

20- عدم إعادة ركن أداه نائماً، لأنه يشترط أداء الأركان مستيقظاً.

21- التسليم عمداً على رأس ركعتين في غير الصلاة الثنائية، أما سهواً فلا يفسد، لأنه في العمد خروج من الصلاة قبل تمامها فيفسدها. ولو سلم على رأس ركعتين ظاناً أنه مسافر فسدت صلاته.

22- تفسد صلاة من سبقه حدث بالأمور التالية، ظهور عورة ولو اضطر إليه، قراءته أثناء ذهابه وعودته للوضوء، مكثه بلا سبب قدر أداء ركن بعد سبق الحدث له مستيقظاً بلا عذر، فلو مكث لزحام أو لانقطاع رعافه فإنه يبني، مجاوزته ماء قريباً بأكثر من صفين.

23- خروجه من المسجد بظن الحدث ولم يكن محدثاً حقاً لوجود المنافي وهو المشي بغير عذر.

24- مجاوزته الصفوف أو سترته في غير المسجد، وإن يكن أمامه صف أو صلى منفرداً وليس بين يديه سترة اغتفر له قدر موضع سجوده من كل جانب، فإن تجاوز ذلك بظنه الحدث ولم يكن أحدث كما إذا أنزل من أنفه ماء فظنه دماً فسدت صلاته.

25- انصراف المصلي عن مكانه ظاناً أنه غير متوضئ، ولو تذكر أنه متوضئ ولم يخرج من المسجد ونحوه، لانصرافه بقصد ترك الصلاة.

وانواع الصلاة كما بينا سابقا هي ثلاثة الفروض الخمسة والواجب وهو الوتر وصلاة العيدين والسنة سواء سنن الفروض أو النفل وهي على ما يلي:

أولا: صلاة الفرض وهي ركعتين في الفجر،وأربعة في الظهر، وأربعة في العصر وثلاثة في المغرب وأربعة في العشاء، ويضاف لها صلاة ظهر الجمعة جماعة في المسجد وهي الخطبة وركعتين يجهر الإمام في القراءة بهما (لمن تجب عليه)، وصلاة الجنازة على المسلم المتوفى (فرض كفاية).

ثانيا: الصلاة الواجبة وهي نوعين:

1- الوتر وهي ثلاث ركعات بتسليمة واحدة بعد فرض العشاء، ولا يصح الوتر بركعة واحدة ولا تنعقد، وتجب فيه القراءة بكل ركعة بالفاتحة وسورة معاً، كما يجب فيه الجلوس على رأس الركعتين لقراءة التشهد. ثم القيام إلى الركعة الثالثة ولا يقرأ فيها دعاء الاستفتاح، فاذا أنهى قراءة الفاتحة والسورة رفع يديه حذاء أذنيه وكبَّر ثم يقنت قائماً قبل الركوع ويقول (اللّهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرك، ونتوب إليك، ونؤمن بك، ونتوكل عليك، ونثني عليك الخير كله، نشكرك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، اللّهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونَحْفِدُ، نرجو رحمتك ونخشى عذابك، إن عذابك الجِدّ بالكفار ملحق، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم) أو (اللّهم اغفر لي) ويكررها ثلاثاً. ويجوز أن يدعو باي دعاء مأثور غيرهما مثل دعاء الحسن بن علي رضي الله عنهما: (اللّهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شرّ ما قضيت، فإنك تقضي ولا يُقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت) ، أو يقول: يا رب، يا رب، يا رب.

2- صلاة العيدين وهي واجبة على من تجب عليه صلاة الجمعة، وشروط صحتها هي شروط صحة الجمعة إلا الخطبة فهي سنّة لأنها بعد الصلاة بخلاف الجمعة.

ثالثا: صلاة السنة وهي على أربعة أقسام:

1- السنن المؤكدة الملحقة للفروض الخمسة، وهي كما يلي:

ا- ركعتان قبل صلاة الفجر وهي أقوى السنن لكثرة ما ورد فيها من مُرَغِبّات.

ب- أربع ركعات قبل الظهر بتسليمة واحدة.

ج- ركعتان بعد الظهر إلا في الجمعة فأربع ركعات بتسليمة واحدة.

د- ركعتان بعد المغرب وتأتيان بالفضل بعد سنة الفجر.

ه- ركعتان بعد صلاة العشاء وقبل صلاة الوتر.

2- السنن المستحبة الملحقة للفروض الخمسة. وهي كما يلي:

ا- أربع ركعات قبل العصر كل ركعتين بتسليمة .

ب- أربع ركعات قبل العشاء كل ركعتين بتسليمة.

ج- ركعتان بعد العشاء زيادة على المؤكد كل ركعتين بتسليمة.

د- ست ركعات بعد المغرب مع المؤكد كل ركعتين بتسليمة.

3- السنن المؤكدة المستقلة ومنها ما يصلى منفردا مثل ركعتي تحية المسجد وركعتي سنة الوضوء وأربع ركعات سنة الضحى وصلاة الاستخارة وغيرها. ومنها ما يصلى جماعة مثل صلاة التراويح في رمضان وهي عشرون ركعة بعشر تسليمات يجهر فيها الإمام في القراءة وصلاة الاستسقاء وصلاة الكسوف والخسوف.

4- السنن المستحبة مثل صلاة قيام الليل وغيرها.

أحكام خاصة بصلاة الفرض لوجود عذر شرعي وهي للمسافر والمريض والخائف :

1- صلاة المسافر وفيها يقصر المسافر في الصلاة الرباعية فقط (الظهر والعصر والعشاء) لركعتين، والقصر واجب في السفر وشرطه هو أن تكون مدة السفر أكثر من ثلاثة أيام، ويقصر المسافر حتى يرجع إلى وطنه ما لم يقم في مكان أكثر من خمسة عشر يوما فعندها يصير له حكم المقيم فلا يقصر.

2- صَلاِةِ المريض وفيها يصلي قاعدا من لا يستطيع القيام، ويومئ بالركوع والسجود من لم يقدر عليهما أو على احدهما وفي ذلك تفصيل يرجع إليه.

3- صلاة الخوف وهي جائزة بكيفية معينة في حالة حضور عدوٍّ، أو خوف غرقٍ من سيل، أو حَرْقٍ من نار، وهي على الكيفية التالية عندما يكون العدو في اتجاه القبلة: يجل الإمام القوم طائفتين، ويقيم واحدة حاملة سلاحها مرتقبة للعدو، ويصلي بالطائفة الأخرى ركعة من الصلاة الثنائية والمقصورة بالسفر، أو ركعتين من الرباعية أو المغرب، وتمضي هذه الطائفة إلى جهة العدو مشاة، فإن ركبوا أو مشوا لغير جهة الاصطفاف بمقابلة العدو بطلت، وذلك إذا رفع الإمام رأسه من السجدة الثانية في الصلاة الثنائية وإذا قام من التشهد الأول في الرباعية، ثم تأتي الطائفة التي كانت في الحراسة فيحرمون مع الإمام، ويصلي بهم ما بقي من الصلاة، ويسلم الإمام وحده لتمام صلاته، ويتمون صلاتهم في مكانهم بعد فراغ الإمام ويقضون بقراءة لأنهم مسبوقين، أو يذهبون للحراسة. وتأتي الطائفة الأولى إن أرادوا أو يتمون صلاتهم في مكانهم

بلا قراءة لأنهم لاحقون فهم خلف الإمام حكماً ويسلمون ويمضون إلى العدو،وباقي الحالات فيها تفصيل يرجع إليه.

الصيام

والصيام شرعاً هو الإمساك عن المفطرّات، حقيقة أو حكماً، في وقت مخصوص (من طلوع الفجر إلى غروب الشمس)، من شخص مخصوص مع النية.

وأما شروط الصيام فهي أربعة على النحو التالي:

1- الإسلام لأنه عبادة فلا يجب على الكافر.
2- العقل فلا يجب على الصغير والمجنون والمغمى عليه.
3- البلوغ فلا يجب الصوم على الصبي المميز، لكن صومه صحيح، ويُؤمر به قياساً على الصلاة، ويضرب على تركه لِعَشر.
4- العلم بالوجوب لمن أسلم في دار الحرب، ويحصل بإخبار عدل أو امرأتين. أما من نشأ في دار الإسلام فلا عذر له بالجهل.

وشروط وجوب الأداء هي ثلاثة على النحو التالي:

1- الصحة من المرض.
2- الخلو من الحيض والنفاس.
3- الإقامة.

وشروط صحة الصوم هي ثلاثة على النحو التالي:

1- النية فلا تصح كل عبادة إلا بالنية،وتجب النية لكل يوم، لأن صوم كل يوم عبادة مستقلة.

2- خلوه عما يفسده ومفسدات الصوم ثلاثة وهي:

ا- الجماع عمداً والاستمناء عمداً.

ب- وصول أي شيء عمداً أو خطأ إلى ما يسمى جوفاً، أو ما كان في حكم الجوف وهو الدماغ، من منفذ مفتوح،فأما الشيء فيشمل الطعام والشراب، ويلحق به التدخين، وابتلاع ما لا يؤكل عادة كالدرهم والحصاة والخيط. ويستثنى غبار الطريق، ودخان السيارات، وما بين الأسنان إن كان دون الحمصة. وأما الجوف: فيشمل جوف الإنسان كله، سواء كان الداخل من الفرج أو الدُبُر أو الفم أو أي منفذ له، فلو أدخلت المرأة إصبعها في فرجها ولو للتنظيف أفطرت، و القطرة في الأنف والأذن تُفطر بخلاف القطرة في العين فإنها لا تفطر.

ج- الاستقياء فلو تعمد التقيؤ أفطر، أما لو ذرعه القيء فلا يضره ولا قضاء عليه، إلا إذا ابتلعه عمداً وكان ملء الفم فعليه القضاء.

3- خلوه عما ينافي صحته فلا يصح صوم الكافر ولا المرتد، والنقاء من الحيض والنفاس.

أقسام الصوم خمسة وهي:

1- الصوم المفروض وهو نوعان:

ا- مُعّين وهو ما كان له وقت خاص، ويشمل صوم شهر رمضان، والنَّذر المُعّين.

ب- غير معين وهو ما ليس له وقت خاص، ويشمل: قضاء ما فات من صوم رمضان، النذر المطلق، الكفارات: وتشمل كفارة الظِّهار، والقتل الخطأ، واليمين، وصوم جزاء الصيد، وصوم المُتْعة والقِران إن لم يهدِ، وفدية الأذى في الإحرام إذا اختار الصوم، وكفارة الإفطار العمد.

2- الصوم الواجب: ويشمل:

ا- قضاء ما أفسد من صوم نفل، لأنه يجب بالشروع فيه.

ب- إتمام ما شرع به من صيام النفل.

ج- صوم الاعتكاف المنذور.

3- الصوم المسنون وهو صوم يوم عاشوراء، فإنه يكفر السنة الماضية، بشرط أن يكون مع التاسع أو الحادي عشر.

4- الصوم المندوب ويشمل:

ا- صيام ثلاثة أيام من كل شهر، فيكون كمن صام الشهر. ويندب كونها أيام البيض أي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر.

ب- صوم يومي الإثنين والخميس من كل أسبوع.

ج- صوم ستة أيام من شوال.

د- صوم يوم عرفة لغير الحاج.

ه- صوم عشر ذي الحجة.

و- صوم الأشهر الحرم، وهي: ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ورجب، وأفضلها صوم محرم.

ز- صوم يوم وإفطار يوم.

ح- النفل المطلق وهو ما لم يثبت عند الشارع كراهته ولا يخصص بوقت.

5- الصوم المكروه وهو قسمان كما يلي:

ا- المكروه تنزيها ويندرج تحته: صوم يوم عاشوراء منفرداً عن التاسع أو الحادي عشر، إفراد يوم الجمعة بالصوم، إفراد يوم السبت بالصوم،صوم الدهر فلا يفطر، صوم يوم الشك، الوصال في الصوم حتى يتصل صوم الغد بالأمس، صوم المسافر إذا أجهده الصوم، يكره للمرأة أن تصوم تطوعاً وزوجها حاضر إلا بإذنه ويكره الصوم عن الكلام لأنه في غير شرع الإسلام وقد نسخه شرعنا.

ب- المكروه تحريماً وهو إن صامه انعقد صومه مع الإثم ويندرج تحته: صوم يومي عيد الفطر وعيد الأضحى، صوم أيام التشريق وهي الثلاثة التي بعد عيد الأضحى.

الزكاة

وهي شرعاً تمليكُ جزءِ مالٍ عيَّنه الشارع لمسلم فقير غير هاشمي لله تعالى مع قَطع المنفعة عن المملِّك من كل وجه.

والزكاة ركن من أركان الإسلام ثابتة في القرآن والسنة.

وأما شروط وجوب الزكاة فهي على شكلين وهما:

1- شروط تتعلق بالمالك (المكلف) وهي:

ا- الإسلام فلا تجب الزكاة على الكافر، ولا المرتد حالة ردته؛ ولو رجع وأسلم لا يجب عليه قضاء ما فاته حال ردته.

ب- العقل.

ج- البلوغ فلا تجب الزكاة في مال الصبي والمجنون، ولا يُطالب وليّهما بإخراجها لأنه عبادة محضة وليسا مخاطبين بها، وتجب عليهما الغرامات والنفقات والضمانات لكونها من حقوق العباد. كما يجب في مالهما زكاة الزروع وصدقة الفطر لأن فيهما معنى المؤونة فألحقت بحقوق العباد. والمعتوه إن استوعب عتهه الحول فلا زكاة عليه كالصلاة، وإن كان لا يستوعب الحول تجب عليه الزكاة.

د- الحرية فلا تجب الزكاة على العبد ولو كان مكاتباً.

ه- ملك النصاب والنصاب اسم لقدر معلوم من مال تجب فيه الزكاة، فلا زكاة فيما دونه، ويختلف باختلاف المال الذي تجب فيه الزكاة.

2- الشروط المتعلقة بالملك نفسه وهي:

ا- أن يكون الملك تاماً، أي أن يكون المال تحت يد المالك، فلا تجب الزكاة في مال مفقود ولا مغصوب، ولا في مال مدفون لا يعرف مكانه، ولا في مال مستملك للدولة.

ب- أن يكون المال فارغاً عن دين حان أجله مطالب به من جهة العباد. ويقصد بالدين المانع من الزكاة الدين الذي له مطالب من قبل العباد. سواء أكان دين اللّه كالزكاة (لأنه مطالب بها من قبل الإمام)، أو دين العباد كالقرض وصداق الزوجة والنفقات والكفالة.

أما دين اللّه الذي ليس له مطالب من قبل العباد، كالكفارات والنذور

والحج، فلا تمنع من وجوب الزكاة لعدم المطالب. أما زكاة الزروع والثمار فإنها متعلقة بعين الزرع لذلك لا يمنع وجود الدين من وجوبها.

ج- أن يكون النصاب زائداً عن حوائجه الأصلية. وذلك من الطعام والسكن والكتب والركوب. ولو كان عنده مال فأمسكه لحاجة أصلية، كشراء بيت أو زواج، وحال عليه الحول، وهو بيده، وجب فيه الزكاة.

د- أن يكون النصاب من الأموال التي نصَّ الشارع على وجوب الزكاة فيها.

ه- حَوَلان الحول (سنة قمرية واحدة) على جميع أنواع الأموال التي تجب فيها الزكاة باستثناء زكاة الزروع والثمار.

و- أن يكون المال نامياً، ويقصد بذلك الثمنية بالنسبة للدراهم والسَّوم للأنعام، ونية التجارة في العروض سواء أكانت هذه النية صراحة أم دلالة بالبيع والشراء.

وأما شروط صحة أداء الزكاة فهي ثمانية على النحو التالي:

1- النية: لأن الزكاة عبادة محضة.

2- الإسلام: لأن النية لا تُتَصوّر من غير المسلم.

3- أن يكون الأداء على الفور، وهو القول المُفتى به في المذهب وهو قول الإمام، فإن أخَّرها كان آثماً لأن تأخيرها مكروه تحريماً، ولأن الأمر بالوجوب معه قرينة حاجة الفقير وهي ملحة.

4- الدفع إلى المستحق (وهو أحد الأصناف الثمانية المذكورة في الآية الكريمة قال تعالى (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)(التوبة: 60)).

5- التمليك: فلابد لصحة أداء الزكاة من قبض الفقير لها أو وليه أو الوصي عليه. أما لو أطعم ونوى الزكاة فلا يجزئ. ولا يصح أداء الزكاة بإسقاط جزء من دين له على فقير، بأن يسامحه به أو بجزء منه بنية الزكاة عن ماله. لكن لو كان الدَّين نصاباً وسامحه به كاملاً سقطت الزكاة عن هذا النصاب. ولو كان المدين مستحقاً للزكاة فدفع الدائن له من زكاته ثم أعاده الفقير له على سبيل وفاء دينه جاز، أو قال: خذ من مَديني فلان مبلغاً من المال وكان ناوياً زكاة ماله صحّ.

6- توزيعها على فقراء بلده. ويكره نقلها إلى بلد آخر لاطّلاع فقراء بلده على ماله وتعلق آمالهم بها، ولأنهم أولى بها، إلا أن يعطيها لفقراء من ذوي القربى، أو يكون في البلد الآخر محاويج ومجاعات فيجوز نقلها.

7- أن يكون الأداء من وسط المال في زكاة الأعيان، لأن أخذ الجيد يضر المالك وأخذ الرديء يضر الفقير.

8- أن تخرج الزكاة من المال الحلال، فلا تجوز الزكاة بالمال الحرام القطعي.

وأما الأنواع التي تجب فيها الزكاة فهي خمسة أنواع وعلى التفصيل التالي:

1- النَّعَم وهي الإبل، والبقر ويشمل الجاموس، والغنم بنوعيه الضأن والمعز. والمراد بها الأهلية، فلا زكاة في الوحشية. ويشترط في وجوب الزكاة عليها إضافة إلى الشروط العامة ما يلي:

1- أن تكون سائمة. والسوم في اللغة معناه: أن ترعى الماشية بنفسها ولا تُعْلَف.

2- أن ترعى أكثر الحول في كلأٍ مباح.

ج- أن يقصد من سومها الدرّ والنسل والسمن وذلك لتحقق معنى النَّماء. فلو أسيمت للحمل أو الركوب أو سُوِّمت بدون قصد مالكها لا تدفع عليها زكاة. ولو سُوِّمت للتجارة فليس فيها زكاة السوائم، بل زكاة التجارة. ولو حُولت من التجارة إلى السوم أثناء الحول بطل حولها الأول وبدأ حول السوم من وقت التحويل.

وتقسم أنواع النعم إلى أربعة وهي كما يلي:

اولا: الإبل ونصابها خمسة من الإبل وتكون زكاتها حسب الجدول التالي:

عدد الإبل	مقدار الزكاة عليها
5	شاه
10	شاتان
15	ثلاث شياه
20-24	أربع شياه
25-35	بنت مخاض
36-45	بنت لبون
46-60	حِقَّة
61-75	جذعة
76-90	بنتا لبون
91-120	حِقّتان
121-150	وإذا زادت على عشرين ومائة تستأنف الفريضة فلا يجب على الزيادة حتى تصير خمساً فتجب فيها شاة. فإذا صار المجموع خمسين ومائة وجب فيها ثلاث حِقاق
199 -150	ثلاث حِقاق
200 فأكثر	حِقَّة على كل خمسين

ثانيا: البقر ونصابها ثلاثين وتكون زكاتها حسب الجدول التالي:

عدد البقر	مقدار الزكاة عليها
30	تبيع أو تبيعة من البقر
40	مسنّة من البقر
60	تبيعان
70	مسنَّة وتبيع
80	مسنتان
80 فأكثر	على كل أربعين مسنة

ثالثا: الغنم والماعز ونصابها أربعون وتكون زكاتها حسب الجدول التالي:

عدد الغنم أو الماعز	مقدار الزكاة عليها
40	شاه
121	شاتان
201	ثلاثة شياه
400	اربعة شياه
400 فأكثر	على كل مائة شاة واحدة

رابعا: الخيل ولا يجب في الخيل السائمة زكاة عند الصاحبين، وهو القول المفتى به، ويرى الإمام أبو حنيفة وزُفَر إذا كانت للدَرّ والنسل، وسائمة ذكوراً وإناثاً،

وحال عليها الحول فتجب فيها الزكاة. وإن كانت ذكوراً فقط أو إناثاً فقط فالأصح هو عدم وجوب الزكاة فيها. فإن كانت من أفراس العرب خيّر أن يدفع عن كل فرس ديناراً.

وأما إذا كانت للتجارة فتجب فيها زكاة التجارة بالاتفاق. أما إن كانت معلوفة، أو سائمة للحمل، أو الركوب، أو الجهاد، فلا شيء فيها لاشتغالها بالحاجة الأصلية.

وكما لا تجب الزكاة في البغال والحمير ولو كانت سائمة ، وكما لا تدفع عن الصغار (المولدة) زكاة إلا تبعاً للكبار ولو واحدة. فلو هلكت الكبار كلها قبل نهاية الحول فلا يدفع شيئاً عن الصغار حتى يحول حولها.

2- زَكاة الزرُوع والثِّمَار وتجب الزكاة في كل ما تنتجه الأرض بقصد الاستغلال والاستنبات سواء أكان صالحاً للبقاء كالحبوب أم غير صالح للبقاء كالثمار والخضار وزكاة الزروع والثمار بلا نصاب قلت أو كثرت وتجب بعد جنيها ولا يشترط فيها حولان الحول وقيمتها عشر المحصول أو الثمر فيما سقي بماء السماء ونصف العشر(5%) فيما سقي بالدلو أو الجهد بنقل الماء من البئر أو النهر.
وقد أجاز العلماء حساب تكاليف الزراعة من حرث وسقي وقطاف وغيره وحسمه من ثمن المحصول أو الثمار ثم تعشير ما تبقى من صافي المحصول والثمر (دفع 10% من صافي الربح).

3- زَكاة النّقد ويدخل في حكمه الذهب والفضة والأوراق النقدية وتفصيلها كما يلي:

ا- الذهب ونصابه عشرون مثقالاً (100 غرام) يحول عليها الحول وتكون قيمة الزكاة نصف مثقال أي 2.5% منها. ويدخل في الذهب النقد المسكوك والحلي والأواني وغيرها من المصنوعات.

ب- الفضة ونصابها مائتا درهم (700 غرام) يحول عليها الحول وتكون قيمة الزكاة خمسة دراهم أي 2.5% منها. ويدخل في الفضة النقد المسكوك والحلي والأواني وغيرها من المصنوعات.

4- الأوراق النقدية ويقاس نصابها على قيمتها من الذهب وتكون زكاتها 2.5% منها.

4- زَكاة العروض التجارية وقد أجمع الفقهاء على وجوب الزكاة في عروض التجارة مهما كان نوع المال المُتاجر به، لأن التجارة تجعل المال نامياً، وهي علة وجوب الزكاة.

ونصابها يقاس بقيمتها من الذهب أو الفضة ويشترط ان تصل النصاب وأن تُملك بعقد معاوضة أن ينوي التجارة بها عند الشراء، وأما قيمة الزكاة فهي كما في الذهب والفضة والنقد اما بإخراج القيمة أو بتقديرها من البضاعة والعروض.

5- زكاة المعدن والرِّكاز وهو شرعا مال مركوز تحت الأرض سواء كان بخلق اللّٰه من كل معدن منطبع ، أو كان مما كنزه الكفار في أرض عشرية، أو خراجية، أو مَفَازة، أو جَبَل، وجده مسلم أو ذمي. وهو إن كان من دَفْن الجاهلية ففيه الخمس وإن إن كان الركاز من دفن المسلمين، كأن يكون عليه طبع يدل على أنه بعد الإسلام، فحكمه حكم اللُّقَطَة،وإن وجد الكنز في أرض الكفار أو صحرائها فلا يخمَّس، بل هو

لواجده كله ولو كان مستأمنا وإن وجد الفيروز والياقوت والزمرد في جبل أو مفازة أي في مواضعها، فليس فيها شيء، فإن كانت من كنز الجاهلية ففيها الخمس لكونها غنيمة.

وأما الزكاة الواجبة من غير المفروضة فهي فقط زكاة الفطر:

زكاة الفطر تجب على كل من توفرت فيه شروط الوجوب من المسلمين، فتجب عن نفسه وعمن يَمُونُه، أي يجب أن يدفع عمن تقع عليه ولايته ومؤونته، فيدفع الأب عن ولده الصغير الفقير، وعن ولده الكبير الذي في عياله إن كان فقيراً ومجنوناً، وعن عبده ولو ذمياً. ولا تجب على الزوج عن زوجته أو ولده الكبير الفقير العاقل، لكن إن دفعها ولو من غير إذنهما أجزأت بشرط كونهما في عياله.ولا يجب على المكلف أن يخرجها عن أمه وأبيه ولو كانا فقيرين، إن أن يتبرع، أو كان أحدهما مجنوناً فقيراً فيدفع عنه لوجود المؤونة والولاية.ويدفع الجَدّ عن أولاد ابنه القاصرين الفقراء عند موت أبيهم. ولا يدفع عن أولاد ابنته ولو فقراء.وتدفع المرأة عن نفسها إن كانت غنية، ولا تدفع عن أولادها ولا عن زوجها.ومقدارها نصف صاع من القمح، أو صاع من زبيب أو تمر أو شعير.ويجوز دفع القيمة وهي أفضل عند وجدان الفقير ما يحتاجه، بأن كان الزمن زمن خصب، لأن الحكمة منها إغنائه. أما إن كان زمن شدة فإخراج العَيْن أفضل. وأما وقتها فأفضل وقت لإخراجها قبل الخروج لصلاة عيد الفطر، ويجوز إخراجها بعد دخول شهر رمضان، ولا يجوز تقديمها عنه، ويكره تأخيرها عن صلاة العيد.

الحج

والحج شرعاً هو زيارة مكان مخصوص، في زمن مخصوص، بفعل مخصوص.ويقصد بالمكان المخصوص: الكعبة وعرفات.وبالزمن المخصوص: الوقوف بعرفة يوم التاسع من ذي الحجة، والطواف بالبيت فجر يوم النحر إلى ما بعده. والفعل المخصوص: الإحرام بنية الحج وباقي الأركان.

وهو ركن من أركان الإسلام، وفرض عين على كل مستطيع، يكفر جاحده، وهو عبادة مالية وبدنية.

وأما شروط وجوب الحج فهي خمسة إن توفرت في شخص وجب عليه الحج مطلقاً، بنفسه، أو بالإحجاج عنه، أو يوصي بالحج إن مات ولم يحج. أي يترتب عليه ثبوت الحج دَيْناً في ذمته وهي:

1- الإسلام، لأن الكافر غير مخاطب بالتكاليف.
2- العقل والبلوغ: فلا يجب الحج على المجنون ولا على الصغير، ولو حجا ونوى عنهما وليهما صح الحج تطوعاً ولا تسقط فريضة حجة الفريضة، فلو بلغ الصبي أو أفاق المجنون وجبت عليهما الفريضة.
3- الحرية: فلا يجب الحج على العبد ولو مُدَبَّراً أو مكاتباً أو أم ولد، لأن فرض الحج لا يتأتى إلا بالمال ولا ملك لهؤلاء، وحتى لا يفوت حق السيد مدة الحج.

4- العلم بفرضية الحج، إن كان في غير دار الإسلام، بإخبار عدل، أو مستورين، أو رجل وامرأتين. أما إن كان في دار الإسلام فيجب عليه الحج ولو لم يعلم بفرضيته سواء أنشأ مسلماً أو لا.

5- الاستطاعة وفيها تفصيل يرجع إليه.

وأما أركان الحج فهي ثلاثة على الترتيب التالي:

1- الإحرام وهو شرعاً الدخول في حُرُمات مخصوصة؛ أي التزامها. والإحرام يكون من الميقات الزماني وهي أشهر الحج شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة، والميقات المكاني بحسب الجهة التي يأتي منها الحاج.

2- الوقوف بعرفة ويشترط أن يكون الوقوف في وقته المخصص، وهو يبدأ من زوال شمس يوم عرفة (التاسع من ذي الحجة)، ويستمر إلى طلوع فجر يوم النحر. ويجب أن يمتد الوقوف إلى ما بعد الغروب حتى يكون أخذ قسطاً من الليل.

3- الطواف بالبيت أربعة أشواط ويسمى طواف الركن لأنه الركن الثاني من أركان الحج، كما يسمى طواف الإفاضة لأن الحاج يفعله بعد إفاضته من منى إلى مكة. ويسمى ايضاً طواف الزيارة لأن الحاج يأتي من منى فيزور البيت ولا يقيم بمكة، بل يرجع إلى منى. ويشترط أن يكون قد وقف بعرفة قبله والطهارة من الحدثين الأكبر والأصغر وستر العورة وأن يطوف ماشياً إلا لعذر من مرض شديد أو غيره والتيامن بأن يطوف

عن يمين البيت والابتداء من الحجر الأسود في كل شوط وأن يكون الطائف خارجاً بجميع بدنه عن جميع البيت وإتمام الطواف إلى سبعة أشواط من الحجر الأسود إلى الحجر الأسود.

وأما واجبات الحج فهي خمسة على التفصيل التالي :

1- الواجبات المتعلقة بالأركان الثلاثة للحج.

2- الواجبات الأصلية غير المتعلقة بالأركان أو الشروط وهي:

أ- السَّعي بين الصَّفا والمروة.

ب- الوقوف بمزدلفة.

3- رمي الجمار وهي ثلاث: جمرة العقبة، والجمرة الوسطى، والجمرة الصغرى.

4- الحلق أو التقصير.

5- طواف الوداع (الصدر) وهو واجب على الحاج الآفاقي بشرط كونِه مدركاً مكلفاً غير معذور. فلا يجب على المكي ولا على المعتمر مطلقاً ولا المحصر ولا المجنون... الخ.

وأما سنن الحج فهي على التفصيل التالي:

1- السنن المتعلقة بالأركان وواجبات للحج ولها تفصيل على كل ركن وواجب يرجع إليها.

2- السنن غير المتعلقة بالأركان وواجبات الحج وهي:

أ- طواف القدوم: لمن دخل مكة محرماً بالحج أو قارناً، وهو سنة للآفاقي لا للمكي ولا لأهل المواقيت، ويسمى طواف التحية.

ب- المبيت في منى ليالي التشريق.

ج- أن يشرب من ماء زمزم.

د- ثلاث خطب يلقيها إمام الحج أو نائبه.

ه- التلبية عند التحول من حال إلى حال، كركوب أو صعود أو هبوط، أو إقبال ليل أو نهار.

و- المبادرة بطواف الإفاضة بعد رمي جمرة العقبة.

ز- الإكثار من الصلاة والطواف والاعتكاف في المسجد الحرام.

ح- يسن لمن نفر من منى إلى مكة أن يقف بالمُحَصَّب ساعة يدعو الله.

ط- يسن النفر الثاني وهو آخر أيام التشريق اقتداء بفعله صلى الله عليه وسلم.

ي- أن يوقع النية في أشهر الحج ويكره قبلها.

تم بحمد الله

المنهج القويم

في الدين والعقيدة والدعوة والفقه

محمد العزام

الطبعة الأولى

عمان 2024